# مجلة تبيين

مجلة تصدر عن مركز تبيين للتخطيط والدراسات الستراتيجية
وتعنى بالدراسات والسياسات الاستشرافية العامة

العدد الرابع
آب ٢٠٢٣

## أقرا في هذا العدد

- هوية العراق وثقافته في مواجهة التحديات الإقليمية والدولية
- الوضع الجيوستراتجي للعراق وأثره على التوازنات الإقليمية والدولية
- موقع الجوار الاستراتيجي للعراق في ضوء المتغيرات الاقليمية والدولية
- أمن الخليج وأمن العراق الاقتصادي المسارات والانعكاسات
- العراق بوصلة التوازنات الشرق اوسطية (نظرة وقراءة للواقع)
- مشروع طريق التنمية الاستراتيجي العراقي وتأثيره على التوازن المحلي والاقليمي

مركز تبيين
للتخطيط والدراسات الستراتيجية
CENTER OF TABYEEN FOR PLANNING AND STRATEGIC STUDIES

مركز تبيين للتخطيط والدراسات الستراتيجية
CENTER OF TABYEEN FOR PLANNIG AND STRATEGIC STUDIES

# مجلة تبيين

رئيس التحرير

الاستاذ الدكتور عبد الحسن حنون الجبرة الله

## الهيئة الاستشارية

الاستاذ الدكتور محمد علي آذرشب

جامعة طهران - كلية الآداب - ايران

الاستاذ الدكتور علي أبو الخير

خبير سابق في وزارة التعليم والتربية - مصر

الاستاذ الدكتور جاسم يونس محمد الحريري

أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية - العراق

الاستاذ الدكتور حسين عليوي ناصر الزيادي

جامعة ذي قار - كلية الآداب - العراق

الاستاذ الدكتور عبد الباري مايح ماضي الحمداني

جامعة ذي قار - كلية التربية الاساسية - العراق

الاستاذ الدكتور حيدر محسن الشويلي

جامعة ذي قار - كلية التربية للعلوم الصرفة - العراق

الاستاذ المساعد الدكتور ماجد جميل الزهيري

جامعة ذي قار - كلية الآداب - العراق

الاستاذ محمد كاظم كتوب المياحي

ذي قار - العراق

الاستاذ هاني مالك عطشان

مديرية تربية ذي قار - العراق

الطباعة والتنضيد

فؤادفاضل

يمكنكم مراسلتنا على

موقع المركز

tabyeen.p.s.s@gmail.com

الآراء المطروحة في المقالات والدراسات لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز أو المجلة

# محتويات العدد


| | |
|---|---|
| كلمة العدد ... ا.د عبد الحسن حنون جبرة الله العسكري - رئيس التحرير | أ - ج |
| هوية العراق وثقافته في مواجهة التحديات الإقليمية والدولية<br>الدكتور علي أبو الخير - مدير مركز الفارابي للدراسات – القاهرة – مصر | ١ – ٢٩ |
| الوضع الجيوستراتجي للعراق وأثره على التوازنات الإقليمية والدولية ومعالجة الأزمات الداخلية (رؤية استشرافية مستقبلية)<br>الفريق الركن حسن سلمان خليفة البيضاني / هيئة الحشد الشعبي | ٣٠ - ١٣٠ |
| موقع الجوار الاستراتيجي للعراق في ضوء المتغيرات الاقليمية والدولية<br>ا.د. حسين الزيادي – جامعة ذي قار | ١٣١ - ١٦٢ |
| أمن الخليج وأمن العراق الاقتصادي: المسارات والانعكاسات في ظل التوازنات الاقليمية والدولية<br>هاني مالك العسكري مركز تبيين للتخطيط والدراسات الستراتيجية | ١٦٣ - ١٩٢ |
| العراق بوصلة التوازنات الشرق أوسطية (نظرة وقراءة للواقع)<br>أحمد زايد عبد علي/محافظة ذي قار/العراق | ١٩٢ - ٢٠٨ |
| مشروع طريق التنمية الاستراتيجي العراقي وتأثيره على التوازن المحلي والاقليمي<br>م.م عبد الخالق شهد / ماجستير علوم سياسية | ٢٠٩ - ٢٤٥ |

## كلمة العدد

**ا.د عبد الحسن حنون جبرة الله العسكري**

**رئيس التحرير**

لاشك أن العراق يحتل أهمية ستراتيجية كبرى سواء على صعيد منطقة غرب آسيا أو العالم ، وقد أكسبته هذه الأهمية الموقعية عنصرا" فعالا" ومؤثرا" في السياسات الاقليمية والدولية ، وأن يكون محط أنظار القوى الاقليمية والدولية الفاعلة والمثابة التي تلتقي فيها مصالح تلك القوى سيما وأن المنطقة كانت وماتزال تعصف بها أزمات وقضايا وتحديات ذات أبعاد خطيرة ، ناهيك عن توظيف هذه الأزمات والقضايا من قبل القوى الاقليمية والدولية أو القوى السياسية الداخلية التي لاتزال لم تنفك صراعاتها حول توسيع دائرة النفوذ والسلطة والتشبث بالعنصر الأجنبي لتحقيق غاياتها وأهدافها الفئوية والمكوناتية والحزبية والسياسية .

وقد ساعد الفراغ الأمني والجيوسياسي مابعد الغزو الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣م في تصاعد حدة التنافس الاقليمي والدولي بأبعاده السياسية والاقتصادية والأمنية ومحاولة كل طرف تثبيت اقدامه وترسيخها ورسم خريطة توازنات جيوسياسية جديدة سواء على الأرض العراقية أو في المنطقة، وكل ذلك قد أسهم بشكل وبآخر في التأثير على سيادة العراق

واستقلاله التام وسلب مقدراته وثرواته وإشعال فتيل النزاعات العرقية والطائفية ، ومما يدل على ذلك بوضوح أن تزايد نشاط التنظيمات الإرهابية الممولة والمدعومة من قبل دول الغزو وحلفائها في المنطقة تحت ستار الطائفية والمصحوبة بتدخلات الدول العربية المجاورة ، كانت من بين العوامل والتحديات الخطيرة التي جابهت العراق وتهديد وجوده ووحدة أراضيه واستقلاله .

ويمكننا القول وبكل اريحية أن الباحثين الأفاضل قد أجادوا بدراساتهم وأبحاثهم القيمة في تحليل ومعرفة طبيعة الصراع الإقليمي والدولي وكيف ان هذا الصراع يؤثر بالسلب في زعزعة امن واستقرار العراق، مما يتطلب فهما وإدراكا للمواقف التي تمر بها المنطقة وطبيعة المخاطر التي تحيط بالعراق وكيفية مواجهتها والحد من تأثيراتها السلبية.

وقد أبدع الباحثين في الكشف عن سبر اغوار الوضع الجيوستراتيجي للعراق واثره على التوازنات الإقليمية والدولية وما لها من تأثير على رسم رؤية استشرافية مستقبلية للعراق من خلال تحديد المفاهيم العامة المرتبطة بالتوازن الجيوستراتجية والخوض في التوازنات الإقليمية والدولية القائمة في المحيط الإقليمي العراقي ، ولكون العراق لايزال يعاني من الكثير من التحديات الداخلية التي لها تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على مكانته الإقليمية مما يستدعي دراسة هذه الازمات الداخلية وتحديد القدرات الجيوستراتجية العراقية لمجابهتها وهذا الأمر ذو أهمية كبيرة كونه بشكل وآخر يحدد الأدوار المستقبلية للعراق .

كما لم يخفى على الباحثين أن العراق يمرّ ومعه دول المنطقة بأسرها بمرحلة خطيرة من تاريخه الطويل العريق ويواجه أكبر التحديات والتدخلات الإقليمية والدولية ولربما هي أخطر من كل مراحل التاريخ العراقي، لأن الخطر يأتي من محاولات طمس الهوية ومسح الثقافة، والهوية والثقافة هما خط الدفاع الأول ضد محاولات الطمس والتشويه والتبرير الاستعماري الخارجي والاستبداد الداخلي ، إذ أن تداخل القضايا بعضها البعض لابد أن يرصد التحدي الخارجي، الخارجي الإقليمي والدولي، بالإضافة إلى التحديات الداخلية، وكلها مرتبط بعضها البعض.

وفي الختام لابد أن نشير الى العامل الأول والمصيري في تدعيم حالة الاستقرار للدولة العراقية لاتتحقق إلا بتحقيق ونيل السيادة الكاملة للدولة العراقية وصيانتها واستقلالية قرارها السياسي والأمني على المستوى الداخلي او الخارجي ، وهذا حتما" سينعكس ايجابيا" في نهضة البلد وتسريع حركة التنمية بكل مواردها البشرية والمادية وتحقيق الرفاهية للشعب العراقي .

# هوية العراق وثقافته
# في مواجهة التحديات الإقليمية والدولية

**الدكتور علي أبو الخير**

**مدير مركز الفارابي للدراسات – القاهرة – مصر**

## مقدمة

يمرّ العراق ومعه المنطقة العربية بأشرها بمرحلة خطيرة من تاريخه الطويل العريق، ربما كانت أخطر كل مراحل التاريخ العراقي، لأن الخطر يأتي من محاولات طمس الهوية ومسح الثقافة، والهوية والثقافة هما خط الدفاع الأول ضد محاولات الطمس والتشويه والتبرير الاستعماري الخارجي والاستبداد الداخلي.

ويبدو الباحث في حيرة من أمره عند الحديث عن الشأن العراقي المعاصر، لأن كل القضايا متداخلة في بعضها البعض، فمن يتحدث عن الشأن الداخلي، لابد أن يرصد التحدي الخارجي، الخارجي الإقليمي والدولي، بالإضافة إلى التحديات الداخلية، وكلها مرتبط بعضها البعض.

ولكننا حزمنا أمرنا، ورأينا أن نكتب عن الهوية والثقافة في العراق، لأنهما (كما نرى) مهددتان، وبالتالي فإن المناعة الثقافية العراقية والهوية العروبية تمنعان من خطر التدخل الإقليمي والدولي في نفس الوقت[1]..

ينقسم البحث إلى عدة محاور وخاتمة..

المحور الأول :تأملات في الخريطة العراقية- نبذة تاريخية حول الهوية والثقافة

المحور الثاني : العمق التاريخي للهوية العراقية

المحور الثالث : التحديات الثقافية وأزمة العولمة في العراق

المحور الرابع : العراق بين خطري الاستبداد والاستعمار

المحور الخامس : التحديات والتدخلات الإقليمية والدولية في العراق

خاتمة وتوصيات

[1] - علي أبو الخير – المصريون في عراق صدام حسين – مركز الفارابي للدراسات– القاهرة – ٢٠٠٥ – ببعض تصرف من صفحات الكتاب

## المحور الأول

## تأملات في الخريطة العر اقية

## نبذة تاريخية حول الهوية والثقافة

إن مقولة " الجغرافيا تصنع التاريخ " صادقة وتنطبق على العراق؛ فالمتأمل لخريطة العراق يجدها تشبه تفاحةً تميل قليلاً نحو الغرب، وهذه التفاحة ليست محرَّمةً؛ لأنها لو كانت محرَّمةً، ما كان يمكن أن تلتقي فيها كل الأمم وتنصهر فيها كل الثقافات، والعكس هو الصحيح؛ فقدْ نال من رائحة التفاحة كل الأمم، وتمكَّن العراق أن يلقي بظلاله على جيرانه عَبْر مسيرته التاريخية، فقدْ أخذ من السامية أصْلها وجدد أروع ما فيها فكانت حضارات السومريين والأكاديين والبابليين. وفى العراق كانت قوانين حمورابي التي اعتُبِرَت أول قوانين مدوَّنة في تاريخ البشرية.

ولقد استقبل العراق أسرة آباء إبراهيم عليه السلام، فاستقرَّت في أور التي شهدَت دعوة أبي الأنبياء، وخرج أبو الأنبياء منها متوجهاً نحو الأرض التي بارَك الله فيها للعالمين، ولم تكن دعوة إبراهيم أول دعوة شهدها العراق للتوحيد؛ فقَبْله كانت دعوة نوح عليه السلام، واستقبل جبل الجودي في محافظة نينوى سفينة البشرية، كما شهدَت من بعد دعوة يونس بن متى الذي غطَّته شجرة قرع فأكل منها فتَجدَّد نشاطه[١] .

كل هذا أثرى الشخصية العراقية وجدد نشاطها، فارتبطت هوية العراق بالأرض والدعوة ومعرفة الخلود، فاستقى العراقيون من كل تلك الينابيع، فكانت هويته مرتبطة بخرافيته، وبالتالي بتاريخه وثقافته.

في الأسطورة العربية القديمة أن طائر العنقاء كلما تَعرَّض للنار، خرج من جمرها أَقْوَى جناحاً وأَقْدَر على الطيران، وقد أعطى العراق لهذه الأسطورة عَبْر مسيرته أبعاداً سياسيّةً

[١] - علي أبو الخير – المصريون في عراق صدام حسين – المصدر السابق

ودينيّةً واجتماعيّةً؛ فكلما تَعرَّض العراق لمحنة خرج منها أَكثَر قوّةً وأَكثَر قدرةً على الطيران، وهذا ما نجده في قراءتنا لتاريخ العراق الممتد.

عرف العراقيون التوحيد مبكرا كما ذكرنا، ولكن أيضا عاني من الاستبداد، قديما وحديثا، في عصر الحجاج الثقفي وعصر صدام التكريتي، وبينهما خلافات وشقاقات حول الحكم، وحول المحكومين، وتغلبت روح العقيدة في الهوية أو اندماجا في بعضهما.

ونحن لا ندين عصرا محددا، ولا نستهدف وقوع أي خلاف، فالاستبداد جاء بالاستعمار، والاستعمار الأمريكي الصهيوني، حاول ويحاول تغيير الهوية والثقافة، ولكن العمق التاريخي للهوية العراقية هو ما يمنع تلك المحاولات الاستعمارية.

## المحور الثاني

## العمق التاريخي للهوية العر اقية

هوية أي شعب تنبع من إرثه الحضاري وتكوينه البشري، وتختلف الشعوب حسب موقعها من الجغرافيا، وتتأثر الهوية بتداخل الثقافتان المختلفة.

وفي الحالة العراقية، نجد هوية العراق تأثّرت وأثرت وتفاعلت مع الشعوب المجاورة والثقافات المختلفة، دينية كانت أو سياسية.

والمتأمل من جديد لخريطة العراق يجدها تقع تقريباً في منتصف العالَم القديم، ولذلك لم يجد الإسكندر الأكبر بديلاً عن مدينة بابل ليجعلها عاصمةً لِمُلْكه، وفيها مات الإسكندر .

والجغرافيا صنعَت التاريخ في تلك البلاد؛ فقدْ سخت الطبيعة على العراق بمياه نهرين كبيرين دجلة الفرات، وأنهار أخرى أَصغَر حجماً، فسكن الإنسان الأول على ضفاف تلك الأنهار، وصنع حضارات امتدت واستفاد منها كل الجيران، وأصبحَت تربة العراق تميل إلى الخضرة، فأَطْلَق أهل البادية عليها "أرض السواد" السواد الذي يميّز التربة الناضجة للزراعة والفكر.

ومن ثَمّ أصبحَت ملاذاً للمهاجرين من أقصى جنوب الجزيرة عندما عمّ فيضان سد مأرب، فلم يجد اليمنيون ملجأً لهم سِوَى أرْض السواد فاستوطنوا الحيرة، ولم يجدوا أفضل من لقب " المياه " فاتخذوه لقباً، وتَسَمَّى النعمان وأبوه المنذر بـ" ماء السماء " .

وقد نظر العرب قديماً لتلك المنطقة فأسموها " بلاد الرافدين " أو "بين النهرين الكبيرين"، وهى ترجمة لكلمة MESOPOTAMIA الإغريقية والتي اشتهرَت بها البلاد في الأدبيات الغربية.

ولم تكن هضبة البادية الغربية حائلاً بين العراق وجيرانه في فلسطين وباقي دول الشام؛ فقدْ عَبَرها الساميون جميعاً، وتمكَّن نبوخذ نصر من كبْح جماح قبائل إسرائيل عندما انحرفوا بدعوة أبي الأنبياء وقصروها عليهم وعبدوا مع الله آلهةً أخرى، فكان

البابليون مِن ضِمْن عابِري الهضبة وحاصروا أورشليم وجاءوا بأبناء يعقوب أَسْرَى جزاءً من الله على العصيان[١] .

وتتنوع أَرْض العراق ما بين سهول وجبال وصحراء، تتحد مع شبه الجزيرة العربية، ولا تفصل بينهم، فصحراء السماوة تمتد من نجَد في الجنوب حتى تدخل في حدود العراق، وتنتهي ببادية الغرب لتشترك مع بادية الأردن.

أمّا الأرض الخضراء فتسير بمحاذاة النهرين الكبيرين، ولا تمنع الجبال في كردستان الخضرة من أن تنمو فوْقها عندما يهطل المطر، فتلتقي جميعها الشمال مع الجنوب ثم وسطهما فجنوبه في الشام، بحيث يبدو للمتأمل للخريطة هلالاً خصيباً، أدركه العرب من قبل أن توجَد الخرائط وتُرْسَم، واعتَبَروا الجميع وحدةً واحدةً تشترك في خصوبة هذا الهلال وخصوبة ساكنيه أيضا .

والغريب أن حركة الإسكندر كانت عولمةً قديمةً (إن صح التعبير) كان العراق مركزها وبابل عاصمتها، والعولمة الجديدة فيما بعد، جاءت بعد انهيار العراق على يد أحد الطغاة الذين يحكموه، فكأن العولمة إحدى المحطات البارزة في قديم العراق وحديثه، وكان أحد الأسباب الموجَّهة للدعوة العالَمية، سواء في فترات قوَّته أو ضَعْفه.

وأصبحَت بابل بعد الإسكندر ميداناً لصراع الأفكار؛ فقدْ ظَلّ معبد بابل القديم معهد عِلْم لطلاب اليونان، خاصة أنها أصبحَت دولة سلوقس، وهو اسم أحد قادة الإسكندر الأكبر، ووفد يهود فلسطين إلى إخوانهم في بابل الذين فضَّلوا البقاء مع السبي[٢]، واتخذوا بابل عوضاً عن أورشليم.

---

[١] - العهد القديم – سفر الخروج – بتصرف حيث السبي البابلي معروف ومدون في كل الكتب التي شرحت التوراة والتلمود

ووجد اليهود فيها تسامحاً لم يعهدوه من شعوب ما وراء البحر فيما بعد، عندما أقيمت لهم المذابح في أوروبا، وإن تَناسَى أحفاد صهيون هذا التسامح، وانتقموا من المجازر التي أقيمت لهم في أوروبا من فلسطين والعراق وباقي بلدان العرب.

كل ذلك تفاعل وحدد مفهوم الثقافة المتنوعة والهوية الضاربة في أعماق التربة العراقية، ولا يفوتنا هنا الحديث عن التنوع البشري العرقي والديني في أرض الرافدين.

- **انصهار الأعراق في العراق**

انصهرَت الأعراق في أرض العراق وانصهرَت الأفكار، والجغرافيا انصهرَت بناسها في تاريخه الممتد، ولم تكن كردستان غريبةً عن العراق؛ فرغم أن الأكراد عِرْق مختلف عن سكان الدولة، إلا أنهم رحلوا عَبْر جبالهم نحو الجنوب، وتَخَلَّى كثير منهم عن الجبال وعاشوا في السهول، واختلطَت العربية بالكردية، وكما خضع العراق للإسكندر المقدوني خضعَت كردستان وتبعوا الفُرْس والروم وبيزنطة ثم المسلمين، وازدادت الثقافة العراقية بالفكر الإسلامي، بل صار العراق مركزا للفكر الإسلامي، ووحَّد الإسلام بين الجميع، ولم تُفَرِّق اللغة بل جمعتهم، ووحَّد القرآن بينهم، وتآخَى الجميع في العراق وأَصبَح الموالي عرباً لساناً وعقيدةً، ومنهم كان أئمة في الفقه والحديث، والعباد والزهاد ومحبّو آل البيت، وتوحَّد الأكراد مع العرب مع الفُرْس، وأَصبَح الجميع واحداً في الكوفة والبصرة ..

وتظل خريطة العراق هاجساً لِمَا تحتويه من بقايا الآشوريين، مع بقايا دين الصابئة، ولا توجد دولة أخرى تتداخل فيها كل بقايا الأجناس القديمة والديانات المنقرضة وتظل دولةً واحدةً بهوية واحدة وثقافة محددة كما حصل في العراق.

- **الإسلام في العراق**

اقترنَت بغداد بالإسلام واقترن الإسلام بها، وامتزجَت فيها كل الثقافات، وشهدَت بغداد الخليفة المأمون مؤسِّساً لدار الحكمة، لكي تنصهر فيها أقوال أفلاطون وأرسطو وسقراط، مع آراء ابن سينا والفارابي والخيّام، ويعهد المأمون إلى الإمام علي الرضا عليه السلام بولاية العهد، فيمتنع العباسيون، ويقوم أحدهم بدس السم إليه في مشهد بايران، فيموت قتيلاً كعادة أهل البيت من الأئمة، مِثْلما حَدَث مع الإمام الكاظم من قبل عندما مات في سجون الرشيد[1] .. وهو ما تكرر كثيرا في العراق وخارج العراق، حيث قال الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (عبقرية الإمام علي) : "في سيرة ابن أبي طالب ملتقى بالعاطفة المشبوبة، والإحساس المتطلع إلى الرحمة والإكبار ... لأنه الشهيد أبو الشهداء، يجري تاريخه وتاريخ أبنائه في سلسلة طويلة من مصارع الجهاد والهزيمة، ويتراءون للمتتبع من بعيد واحد بعد واحد، إما شيوخا جللهم وقار الشيب، ثم جللهم السيف الذي لا يرحم، أو فتيانًا عوجلوا وهم في نضرة العمر يحال بينهم وبني متاع الحياة، بل يحال بينهم أحيانًا وبين الزاد والماء، وهم على حياض المنية جياع ظماء ... وأوشك الألم لمصرعهم أن يصبغ ظواهر الكون بصبغتهم وصبغة دمائهم"[2].

وهي مقولة صادقة، وهي التي تؤكد رؤيتنا حول امتزاج الهوية العراقية بفكر أهل البيت عليهم السلام..

---

[1] - كل أئمة أهل البيت نالوا الشهادة على يد الطغاة، حتى في عصور النهضة الإسلامية

[2] - عباس محمود العقاد – عبقرية الإمام علي – مكتبة الاسرة – القاهرة – ١٩٩٩ – مقدمة الكتاب ص ٧

- **أثر أهل البيت على الهوية العر اقية**

لا يمكن لأي باحث أن يغفل أو يتناسى دور فكر أهل البيت عليم السلام على الهوية العراق، كما نرى وبدق عفوي، إن كل المسلمين يحبون على اختلاف مذاهبهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويقدسونهم، ويتبركون بمقاماتهم عليهم السلام، وإذا كانت بغداد قد شهدت أوج الحضارة الإسلامية باعتبارها عاصمة العالم المتمدين، لكن في المقابل شهدت الاستبداد السياسي...

وارتبط العراقيون كلهم بأهل بيت النبي عليهم السلام، وليس من الغريب أن يوجد (جسر الأئمة) في بغداد يربط بين مقام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في الشرق بالإمامين الكاظم والجواد في الغرب، وترى العراقيون يتنقلون بين الجسرين بحب وهوادة، وروحانية، ومن الطبيعي أن يكون قطبان من الأقطاب الأربعة، من أئمة الصوفية في أرض العراق، وهما أحد الرفاعي وعبد القادر الجيلاني، وهما ينتسبان أيضا للنسل النبوي الشريف[١].

وقد أثر أهل البيت بصورة أساسية على الهوية العراقية، خاصة أن مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة وسيد الشهداء الإمام الحسين في كربلاء، ثم الإمامان موسى الكاظم ومحمد الجواد، وكما يوجد الإمام الحسن العسكري، ،كله أثر في الهوية العراقية، فصار العراق قطب الإسلام وهوية العروبة.

وفى الخريطة العراقية متسع لكل شيء ، ففيها محاورات وحروب أمير المؤمنين المتقين علي بن أبى طالب عليه السلام ضد المارقين القاسطين، وظلّت الكوفة، وظلّ النجف

[١] - السيد محمد أحمد حجاب – سيرة السيد البدوي – المطبعة الأميرية – القاهرة – ١٩٦٤، حيث ذكر محمد حجاب أن الأقطاب الأربعة من النسل النبوي الشريف، والأقطاب الأربعة هم أحمد البدوي وإبراهيم الدسوقي في مصر وعبد القادر الجيلاني وأحمد الرفاعي في العراق

الأشرف حيث مرقد أمير المؤمنين وقائد المساكين وباب مدينة العِلْم وحيث أَكبَر حوزة علمية كلها أثرت الثقافة العراقية، ورسّخت فيه عروبته.

وخلاف النجف وكربلاء والكوفة والسهلة والحلة والكاظمية وسامراء فهناك هيت والنهروان والرمادي، وكلها شهدَت رحلة الإمام علي المعذَّبة في سبيل إحياء الخلافة التي يجب أن تقوم على الورع، قَبْل قيامها على حد السيوف في ليالي مثل ليلة الهرير.

ولكنه عليه السلام قضى نَحْبه قَبْل أن يدرك ما كان يصبو إليه تاركاً لِشيعته إثم تَرْكهم لابنه الحسين للطغاة، فزمَّلوه بالدماء وساقوا نساء بيْته سبايا حيث يرفل يزيد في الحرير .

ولقد أحب أئمة أهل البيت العراق وأهل العراق، رغم محاولات الكارهين للعراق أو لأهل البيت اتهام أهل العراق بغير ما وصفه أئمة أهل البيت عليم السلا، ومن أجل تأكيد تلك المعلومة، نرصد مجموعة من أحاديث أهل البيت عليهم السلام التي تعبر عن محبتهم لأهل العراق وشيعته[1]..

- عن زرارة بن أعين، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «أهل خراسان أعلامنا، وأهل قم أنصارنا، وأهل الكوفة أوتادنا، وأهل هذا السواد (أي ارض العراق) منا ونحن منهم»[2]

[1] - ملاحظة : لن نذكر كل الكتب والمؤلفات التي تتحدث عن أهل البيت عليهم السلام في العراق، وذلك حتى لا يطول البحث، وللقارئ أن يستشف المعلومات من أمهات الكتب، وأغلبها حاليا موجود في شبكة المعلومات الدولية ....

[2] - السيد محمد باقر المجلسي - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار – مكتبة نور الإلكترونية ص ٢١٤ ح ٣٠.

- عن رزيق الخلقاني قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) يوما إذ دخل عليه رجلان من أهل الكوفة من أصحابنا، قال أبو عبد الله (عليه السلام): «تعرفهما؟» قلت: نعم هما من مواليك.

  فقال: «نعم الحمد لله الذي جعل أجلة مواليَ بالعراق»[1]

- عن عبد الله بن الوليد قال: دخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) فسلمنا عليه وجلسنا بين يديه فسألنا من أنتم؟، فقلنا: من أهل الكوفة، فقال «أما إنه ليس بلد من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة ثم هذه العِصابة خاصة، إن الله هداكم لأمر جهله الناس أحببتمونا وأبغَضَنا الناس وصدقتمونا وكذَّبنا الناس واتبعتمونا وخالَفَنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا»[2]

- قال باقر المجلسي: ثم هذه العصابة، أي هم فيها أكثر من غيرها من البلدان والمراد عِصابة الشيعة، فإن المحب أعم منها والعِصابة بالكسر الجماعة من الناس[3]

- وذكر المجلسي في السماء والعالم: فقال: من كلام له (عليه السلام) يعني أمير المؤمنين «عليه السلام» في ذكر الكوفة » :كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي، تعركين بالنوازل، وتركبين بالزلازل، وأني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء إلا ابتلاه الله بشاغل، أو رماه بقاتل.«، قال المجلسي :الأديم: الجلد المدبوغ، وعكاظ: بالضم موضع بناحية مكة كانت العرب تجتمع فيه في كل سنة، ويقيمون به سوقا مدة شهر، ويتعاكظون: أي يتفاخرون ويتناشدون، وينسب إليه الأديم لكثرة البيع فيه، والأديم العكاظي: مستحكم

---

[1] -بحار الأنوار:- المصدر السابق ٥٧ / ٢٢٢

[2] -محمد بن الحسن الطوسي - الأمالي - دار الثقافة للطباعة والنشر – قم المقدسة - – ١٤١٤ هـ - ص ٦٧٨

[3] -بحار الأنوار – مصدر سابق - 54 / ٢٢٢

الدباغ شديد المد وذلك وجه الشبه، والعرك: الدلك والحك، وعركه: أي حمل عليه الشر، وعركت القوم الحرب إذا مارستهم حتى أتعبتهم، والنوازل: المصائب والشدائد، والزلازل: البلايا، وتركبين: على بناء المجهول كالفعلين السابقين، أي تجعلين مركوبة لها أو بها على أن تكون الباء للسببية كالسابقة، والشدائد التي أصابت الكوفة وأهلها معروفة مذكورة في السير.

- وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا"
- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «تربة تحبنا ونحبها"
- وعنه (عليه السلام): «اللهم ارم من رماها وعاد من عاداها»[1]
- وذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج الخطبة كما ذكرها المجلسي، ثم قال قوله: تمدين مد الأديم، استعارة لما ينالها من العسف والخبط، وقوله: تعركين، من عركت القوم الحرب إذا مارستهم حتى أتعبتهم[2]
- وقال في المجمع: مدت: أي بسطت، ومد الأرض: أي بسطها طولا وعرضا
- ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج في فضل الكوفة قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قد جاء في فضل أهل الكوفة عن أهل البيت (عليهم السلام) شيء كثير نحو قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «نعمت المدرة"
- وقوله (عليه السلام): «إنه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفا وجوههم على صورة القمر.«
- وقوله (عليه السلام): «هذه مدينتنا ومحلتنا ومقر شيعتنا"

[1] - بحار الأنوار – مصدر سابق ٥٧ / ٢٠٩

[2] -ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة – مكتبة نور الإلكترونية - ج ٣ /ص ١٩٧ - ١٩٨.

- وقول جعفر بن محمد (عليه السلام): «اللهم ارم من رماها وعاد من عاداها:
- وقوله (عليه السلام): «تربة تحبنا، ونحبها"

والمدن المقدسة شهدَت ثورات ضد الطغيان على مَرّ العصور، من أول ثورة الإمام الحسين عليه السلام وحتى العصر الحديث، حتى ثورة العشرين والحبانية والكيلاني، كما شهدَت بغداد انقلابات عبد الكريم وعارف والبكر وصدّام .

وأصبح العراق منذ الإسلام عروبي إسلامي منفتح، وهي التي حددت هويته اليوم قبل الأمس، وتظل الثقافة في العراف في مقدمة الموانع التي تمنع التداخلات الاستعمارية، كما تمنع عودة الديكتاتورية في المستقبل، ولكن منابع الثقافة تنوعت وتعددت، وصار العالم قرية واحدة متفاعلة، وترصد قيام عولمة عبر الفضاء الإلكتروني، وهو تحدي للعراق وغير العراق في الدول العربية والإسلامية.

إن طوارئ الزمن التي أتت بفساد الدكتاتورية واحتلال استعماري صهيوني بغيض سوف تذهب ويَعود الشعب إلى قواعده التي حاول الطغاة أن يزيلوها من طريقه، لكي يَعود اللحن الجميل، ويهبه لمن يشاء من سائل أو صديق أو عابِر سبيل، فعابِرو السبيل كثيرون في تاريخ العراق؛ أتوا ثم رحلوا أو فضَّلوا البقاء في نعمة التسامح التي شهد بها الموالى قبل العرب.

- **أزمة الهوية العر اقية المعاصرة**

بعد الحديث عن الهوية العراقة التاريخية المتجسدة في الشعب والأرض، توجد أزمة في هوية العراق كما يحدث في باقي دول المنطقة العربية، وإن أزمة الهوية التي يعاني منها العراق تدعونا للتساؤل: هل الهوية الوطنية العراقية هوية متكاملة أم إنها تعرضت للتشرذم، لاسيما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وماذا تعني الهوية الوطنية، هل هي

مجموعة القيم والأخلاق والعادات والممارسات والمعتقدات التي تؤمن بها جماعة بشرية تجمعها أرض جغرافية مستقلة، لا تخضع لأي نوع من أنواع الهيمنة وتعكس أفعالها التقيّد بنُظم وأعراف المجتمع واحترام سيادة القانون فيه أم لا؟ وإذا كان الأمر كذلك هل يستطيع المجتمع العراقي الحفاظ على هويته الوطنية وفق هيمنة معايير وقيم الدول والتكتلات العظمى على مختلف مناحي الحياة؟[١]

الهوية الوطنية العراقية كما ترى الدكتورة (منى حسين عبيد)[٢] تعني الانتظام العام غير المشروط في الحفاظ على كل مكونات ومكتسبات ومصالح وقيم وعادات وتقاليد ونظم مجتمع، يحمل أفراده الجنسية نفسها في دولة ما، وفق مبدأ أخلاقي في إطار مجتمعي متماسك والالتزام، بما ينص عليه الدستور والقوانين المحلية والدولية، واحترام المبادئ الإنسانية المشتركة، والسماح بالاختلاف وتنوع الأفكار والرأي الآخر ومعتقده ووجهة نظره إن لم يمس الاختلاف والقيم والآراء والأفكار سيادة ووحدة الوطن، مع الاعتراف المطلق بأن تربية الأجيال على حب الوطن وحبها له وطاعتها لولاة الأمر والتضحية للحفاظ على مكتسباته وهويته والدفاع عن أراضيه وحدوده هي مسلمات لا تقبل التفاوض وتقديم التنازلات[٣].

---

[١] - د. منى حسين عبيد – أزمة الهوية الوطنية في العراق – بحث مقدم لمؤتمر الاستقرار الأمني والمجتمعي في العراق ما بعد داعش، الذي عُقد في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية جامعة بغداد بالتعاون مع مؤسسة النبأ للثقافة والإعلام بتاريخ ٢٣ تشرين أول|أكتوبر ٢٠١٧ – موقع النبأ annabaa.org|Arabic|studies

[٢] - د. منى حسين عبيد - المصدر السابق – بتصرف من ثنايا البحث

[٣] - د. منى حسين عبيد - المصدر السابق

- **الهوية الثقافية العر اقية وتحديات الو اقع الدولي**

من جانب آخر أن الهوية الوطنية منظومة مركبة معقدة، ليس بالسهولة أن يتم تجاهل معطيات التشابك فيها، فهي تحتوي بصورة طبيعية على مقومات وممارسات الولاء والانتماء واتّباع عادات وتقاليد وقيم معينة، يتحكم بها علاقة الفرد بخالقه والنفس والأسرة ومحيطه العائلي والقبلي والمجتمعي في القرية، أو الحي والمدينة ومن ثم الدولة ككل في ما يطلق عليه بصورة كلية مجتمع الهوية الوطنية، ولذلك، فإنه لنجاح أي خطة توضع لحل مشكلة الهوية الوطنية والانتماء يجب أن لا يغفل أي عنصر من عناصر مكونات التفاعل للبناء والمحافظة على الهوية الوطنية بصورة فردية ومجتمعية، لاسيما في ما يخص العامل المشترك الأكبر، ألا وهي اللغة وأهمية الحفاظ عليها كوسيلة تُخاطب لفظي وخطي وموروث أزلي.

وفي الواقع، قد تبتعد الهوية عن مجتمع ما، وفي ظروف زمنية محددة، ولكنها سرعان ما تعاود لبناء نفسها، فالمجتمعات المأزومة تعاني خللا" تركيبيا" في بنائها يقودها في بعض الأحيان إلى التفكك والتشرذم تحت عناوين وهويات فرعية (ثانوية) لا تقوى على الصمود والاستمرار لوحدها نتيجة للتزاحم المفترض فيما بينها، أو مع محيطها الإقليمي والدولي. فالعراق بعد ٢٠٠٣ /٩/٤ ومن خلال تعرضه للاحتلال والتدمير في بناه التحتية جميعا، وتعرض مؤسساته القانونية والشرعية للتدمير، قد دخل مرحلة الخطر، وأصبحت وحدته الوطنية مهددة بالشظية وغابت هويته الوطنية، تحت عناوين الهويات الفرعية القومية والدينية والطائفية ودخل في مرحلة مقدمات الحرب الأهلية الطائفية[١].

[١] - من متابعاتنا للوضع العراقي لوسائل الإعلام المختلفة منذ الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣

ولا بد لنا من أن نقول أن الهوية الوطنية لدى الفرد العراقي، كانت قد تعرضت للكثير من التشويه من جراء ما مارسه المجتمع السياسي، من خلال فهم أن الهوية الوطنية، يعني إلغاء (الذات) وتقمص ذات أخرى تفرض قسرا، وبهذا فإن الهوية الوطنية العراقية لم تنبع من ذات الأفراد بشكل تلقائي، بل تمت هذه العملية من خلال ما مارسته الدولة ونخبها المؤطرة بأيديليوجيا قومية اقصائية من عمليات الصهر والدمج القسري لجميع مكونات الشعب العراقي على اختلاف أطيافه الأثنية والدينية والمذهبية.

إن التنافر الذي حصل في علاقة الدولة والمجتمع سببه، إن الدولة دائما لديها مشروع سياسي بعيد عن تطلعات وثقافة المجتمع، أو يتقاطع مع الخلفية الثقافية لبعض المكونات، مما يفضي بالدولة إلى أن تمارس القسر والإكراه لفرض مشروعها السياسي.

ولكن الأمر أيضا يقتضي ضرورة وجود تنوع فكري، له أسسه المحددة، مثل اللغة وحب أهل البيت، ونشر ثقافتهم، ليس من شيعة العراق، بل من سنة العراق، الذين لا يقلّون حبا لأهل البيت من الشيعة.

ولتكن العروبة جامعة للجميع، صحيح أن العولمة الحديثة تهدد الثقافة والهوية العراقية. ولكن الحقيقة أن العولمة ونظم المعلومات والفضاء الإلكتروني، وغيرها من وسائل الاتصال الحديث، كل هذا هدد ويهدد هوية العراق وهوية الدول الأخرى، لأن النظام الرأسمال العالمي، يعتبر الرأسمالية هو نهاية التاريخ، كما قال كل من صمويل هننجتون وبرنارد لويس ، ويبشّرون بعالم واحد حضاري في مظهره، ولكنه استعماري في داخله، وهو ما يجعل وحدة العراقيين وكل العرب والمسلمين مهددة، فلابد من ضرورة التوحد الشعبي العراقي، والتعاطي مع باقي الدول العربية ومعها الدول الإسلامية، فالجميع مهدد في ثقافته وهويته..

## المحور الثالث

## التحديات الثقافية وأزمة العولمة في العراق

كما ذكرنا، فإن التحديات التي تواجه الثقافة والتنمية في المجتمع العراقي، وفهم دور وسائل الاتصال في ترشيد الوعي الشباب التنموي في عالم تزداد فيه الثقافة الرقمية أهمية[١].

حيث توجد مخاوف حقيقية، تنطلق من قلق أخذ يتزايد يوما بعد أخر في المجتمع العراقي، من ازدياد الاهتمام بالثقافة الرقمية المعلوماتية على علاقاتنا الاجتماعية، إذا لم يكن هناك وعي كافي لمواجهة الجوانب السلبية منها، والأخذ بالجوانب الإيجابية التي ينبغي أن نكون قادرين على التفاعل معها للدخول في عصر التطور والقدم.

وفي هذا الصدد ينبغي الانتباه إلى أن المجتمع العراقي يمر بحقبة تاريخية حرجة، تداعت فيها المخاطر من كل صوب، فهناك مشكلات داخلية ضخمة تتصل بالاقتصاد والثقافة والتعليم والقيم وأزمات الشباب ومخاطر خارجية محدقة ومتربصة بها على الصعد كافة[٢]

وقد تداخلت المشكلات الداخلية مع المشكلات الخارجية، بل أن جزء كبيرا من المشكلات الداخلية تعود إلى تحديات خارجية بدأت تتصاعد بشكل مكثف مع الاستعمار القديم ونهب خيراته من جهة ولأسباب أيديولوجية من جهة أخرى.

---

[١] - إبراهيم ذكري عبد المنعم - التحديات التي تواجه الثقافة العراقية والتنمية في زمن الثقافة الرقمية: تحليل لواقع الشباب العراقي ودورة التنموي على ضوء مفاهيم الانثروبولوجيا الثقافية – كلية الآداب – جامعة بغداد – ٢٠١٦ – بتصرف

[٢] - إبراهيم ذكري عبد المنعم - التحديات التي تواجه الثقافة العراقية – المصدر السابق

حتى إذا ما انقسم العالم إلى قطبين رئيسيين وقع العراق كسائر البلاد العربية تحت تأثير أيديولوجيتهما وثقافتهما، حتى إذا ما انهيار القطب الاشتراكي هيمن القطب الرأسمالي على العالم .

وقد مارس سياسات العولمة بأشكال متعددة على الشعوب الأرض، بحيث باتت هويته الثقافية مهددة مع تدفق ثقافة العولمة وتلاحق أزماته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[١]

ومع تصاعد موجة العولمة، وتنامي استخدام وسائل الاتصال الحديثة من قبل الأجيال الجديدة، تعرضت الثقافة فيه إلى التفتيت، فانقلبت مظاهر القيم الجمعية إلى قيم فردية، مع ظهور ثقافة الشباب المتأثر بأنظمة الثقافة الفنية السريعة التدفق، حتى بات هناك شعور وقلق عميق على هويته الوطنية وتحدي التقسيم.

وتزداد خطورة ذلك مع طرح مشاريع سياسية على الساحة العربية، منها مشروع الشرق الأوسط الجديد، الذي يجعل إسرائيل شريكا أساسيا فيه، كما كانت آخر الدعوات، الدعوة الفرنسية لإيجاد تكتل دول شمال البحر المتوسط ودول جنوب أوروبا كمحاولة لتهميش وتفتيت المنطقة بأسرها[٢].

إن المخاطر المحدقة بالهوية الثقافية العراقية، ولاسيما ثقافة الشباب في عالم مزدوج في طروحاته، فهو يدعوا إلى الديمقراطية وحقوق الإنسان واحترام الأخر، ويمارس في الوقت نفسه سياسة التهميش وطمس الهوية للشعوب الحرة ومنها شعوب المنطقة العربية.

---

[١] - إبراهيم ذكري عبد المنعم - التحديات التي تواجه الثقافة العراقية – مصدر سابق

[٢] - إبراهيم ذكري عبد المنعم - التحديات التي تواجه الثقافة العراقية – مصدر سابق

## المحور الرابع

## العراق بين خطري الاستبداد والاستعمار

عاش العراق تحت وطأة الاستبداد بصورة وحشية دموية، فالعراق الغني بثرواته الطبيعية والبشرية، كان المفترض أن يكون قدوة لغيره من العرب، ولكن الكارثة الكبرى جاءت مع الاستبداد، ونقولها بكل صراحة، إن نظام صدام حسين البعثي، هو أصل الداء، وللأسف فإن معظم الدول العربية دعمت استبداد صدام، ودفعته لحرب الثمان سنوات، ثم غزو الكويت، وبالتالي حصار العراق إثنى عشر عاما.

كل هذا أدّى إلى سقوط العراق تحت وطأة الاحتلال الاستعماري الأمريكي، فبسبب الاستبداد، جاء الاحتلال كنتيجة حتمية لذلك.

إن تجربة سنوات ما بعد الاحتلال الأمريكي وحتى اليوم تبرهن على أن المشاريع الأجنبية تبقى غريبة مهما كانت نواياها وغاياتها. كما أن القوى الجزئية من أقليات قومية أو طائفية أو هامشية اجتماعية وسياسية، لا تصنع غير التجزئة والعيش بمعاييرها. فهو أسلوب "ازدهارها" الوحيد. لكنه "ازدهار" سريع الزوال لأنه يتعارض مع حقيقة الهوية العراقية، بوصفها هوية تاريخية ثقافية وليست قومية أو عرقية أو طائفية أو جهوية[1].

وهي الحصيلة التي ينبغي وضعها في صلب الفكرة القائلة، بان نجاح أي مشروع كبير هو أولا وقبل كل شيء نتاج لتراكم الرؤية الواقعية عن طبيعة وحجم الإشكاليات التي تواجهها الأمة والدولة.

وفي الحالة المعنية يفترض "العيش المشترك" في العراق تفعيل الهوية الوطنية العراقية بوصفها مرجعية العيش المشترك، أي تحقيقها العملي من خلال صياغة الأوزان الضرورية للهوية العراقية العامة والهويات الجزئية، للدولة الشرعية والسلطة الديمقراطية.

---

[1] - من متابعاتنا للوضع العراقي لوسائل الإعلام المختلفة منذ الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣

إن بناء دولة عصرية يتطلب كخطوة أولى تجاوز أطر الجماعات الاثنية والمحلية لصالح بناء مؤسسات وأطر وطنية شاملة. أي إقامة جهاز سياسي وإداري على مستوى الوحدة السياسية للدولة ككل، وهذا لا يعني في كل الأحوال القضاء على خصوصية الجماعات الاثنية الفرعية ضمن إطار الجماعة الوطنية الشاملة التي تضم عموم الجماعات الوطنية. فالمواطنون العراقيون يجب أن يشعروا كأفراد بهويتهم الشخصية، محددًة بانتمائهم إلى وطنهم المحدد إقليميًا، وأن يتم ذلك من خلال تحقيق الحرية والمساواة وإعطاء الشعب دوره في المشاركة السياسية وبناء دولة دستورية شرعية تمثل كل مكونات المجتمع العراقي، وأن توزع الثروات دون إهمال أو تناسي.

وعلى المؤسسة السياسية بسلطاتها الثلاث أن تعالج الفقر وأن تشيع المساواة، وأن ترسخ العدالة، وأن تحد من القهر السلطوي، حتى تكون الدولة ممثلة للقوى الاجتماعية كافة، وبذلك يمكن التغلب على نوع من الصراع الاثني الذي يحدث بين أبناء الجماعة.

فضلا عن كل ما تقدم، فان تكوين وبناء الهوية الوطنية العراقية ليس بالعملية الشاقة، وبغض النظر عن المشاكل والصعوبات، فإن المسألة بحاجة إلى إعادة نظر بترتيب مكونات الهوية الوطنية، وأمر كهذا لا يمكن الوصول إليه إ لا من خلال الحوار الوطني بين المكونات الأساسية من أجل رفع هواجس الخوف والخشية وعدم الثقة التي تراكمت خلال الفترة الزمنية المنصرمة.

فالحوار يجب أن يتجه نحو الشعور بالذات بدلا من نحن والآخر، ويقبل الآخر والاختلاف عنه، لذا فان إشاعة الحوار بالتعرف على الآخر داخل الوطن هو بداية تكوين الهوية الوطنية، وإذا كان هناك إصرار على أن لا جماعة بلا أيديولوجية ولا فرد بلا رأي، فإن الضرورة تقتضي أن يكون الوطن هو الأيديولوجية التي تجمعنا[1].

[1] إبراهيم ذكري عبد المنعم - التحديات التي تواجه الثقافة العراقية – مصدر سابق

فضلا عن فتح جميع الآفاق في التوافق والاختلاف في حدود روح المواطنة الحقة، أي تتعدد الرؤى، ولكن لا تتعدى سقف مصلحة الوطن والمحافظة عليه، من خلال التأكيد على أسس الشراكة ونبذ المركز والأطراف أو حكم الأقلية والأغلبية، وإنهاء التميز غير العادل في توزيع الثروات في ظل الإيمان بضرورة التوازن العام في حركة القيم المختزنة في المجتمع وإدارته على قواعد إنسانية تضمن العدالة الاجتماعية.

والأهم من كل ما سبق هو عدم عودة العراق لمحن الاستبداد، والوقوف ضد كل من ينقلب على النظم المتعددة والأفق المشروع لوحدة العراقيين، والأمر يطول شرحه، لأن موضوع الاستبداد والاستعمار هو الداء، الذي يستشرى في الجسد العراقي، فيطمس الهوية ويغير الثقافة..

## المحور الخامس

## التحديات والتدخلات الإقليمية والدولية في العراق

في هذا المحور نسعى أن نرصد أثر التحديات الإقليمية والدولية على الداخل العراقي وسائر المنطقة، وقبل كل ذلك لا ننسى دور دول عربية محاورة للعراق، كان لها الدور في إسقاط العراق، ونخص السعودية بالذات، لأنها دعمت العراق مدة ثمان سنوات بالمال والفتاوى الوهابية التي تكفّر الشيع عموما، وبعد احتلال صدام للكويت جاءت فتاوى الوهابية بتكفير صدام، وهكذا ...

عموما وعلى المستوى الإقليمي شهد العراق الحديث هواجس إقليمية، من الدول المجاورة، خاصة الجارتان السعودية وإيران.

- **الحالة السعودية**

في الحالة السعودية، فقد ارتهن السلوك السياسي الخارجي للسعودية للرؤى الأميركية بشأن قضايا المنطقة بشكل عام والعراق بشكل خاص؛ فكانت الاستعانة السعودية بالقوات الأميركية عشية احتلال الكويت عام ١٩٩٠ بزعم صد اندفاعات عراقية "محتملة" صوب الرياض.

ثم فُتحت الأجواء السعودية وأراضيها ومياهها للقوات الأميركية في ما عُرف بـ"عاصفة الصحراء" مطلع عام ١٩٩١، وصولا إلى السكوت الواضح المقترن بدعم غير محدود للغزو الأمريكي للعراق، ثم احتلاله في عام ٢٠٠٣.

كل ذلك شكّل دلالات واضحة لحقيقة التوافق السعودي الأميركي، فكانت التحركات السعودية الإقليمية تسير إلى حد كبير وفق هذا الارتهان، فضلا عن حقيقة أخرى هي أوضح

دلالة وأعمق زمنا؛ وهي أن المصالح السعودية الإقليمية غير متعارضة بالأساس مع المصالح الأميركية، سواء الأمنية منها أو الاقتصادية[١].

وهذه الحقيقة لم تغب حتى في حالات التماثل السلوكي إقليميا مع العراق الطرف العربي الأكثر تعارضا مع الإدارات الأميركية ومصالحها في المنطقة.

ورغم القرار العربي بحظر النفط عن الدول التي تدعم الكيان الصهيوني في حرب أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٣، فإن السعودية اشتركت في الحظر شكليا ولم تلتزم به التزاما صارما كالعراق الذي التزم بالحظر.

وخلاصة القول، هو دائما كانت العلاقات السعودية العراقية بعد أحداث أغسطس/آب ١٩٩٠ غير ودية واستمرت كذلك بعد الاحتلال الأميركي للعراق ٢٠٠٣، رغم تغيير النظام السياسي العراقي ومساهمة الرياض في ذلك. وبقي العراق بعيدا عن اهتمامات معظم الدول العربية ومنها السعودية، رغم حالات الدمار التي شهدها العراق، والانفلات الأمني الذي بات يهدد المنطقة برمتها.

وتعود هذه المواقف إلى الإدارة الأمريكية التي استأثرت بالشأن العراقي، وحظرت على الأطراف الدولية والعربية التدخل فيه، واستمر الحال كذلك حتى جاءت نصائح أنتوني كوردسمان[٢] للإدارة الأميركية بضرورة فتح المجال أمام أطراف أخرى (دولا كانت أو منظمات المجتمع الدولي)، لتجرّب حظّها بالعراق لعلهم يشاركون الإدارة الأميركية فشلها في تحقيق ما وعدت به هناك.

ورغم هذه الفسحة فإن السعودية لم تقدم للعراق شيئا، وكان للفكر الوهابي والدعم السعودي المباشر هو الأب الروحي لتنظيم القاعدة في العراق بقيادة أبي مصعب الزرقاوي،

---

[١] -قحطان الخفاجي - ارتهان للرؤى الأميركية – موقع الجزيرة - 15/8/2017

[٢] - إبراهيم ذكري عبد المنعم - التحديات التي تواجه الثقافة العراقية – مصدر سابق

ثم تنظيم داعش الإرهابي، وقد دعمت السعودية داعش ماليا ومئات الإرهابيين، وتم تشويه ( الحشد الشعب)، بزعم أنه طائفي، رغم أن الحشد كان يضم المسلمين سنة وشيعة ومسيحيين وأيزيديين، وحاء انتصر العراق على التنظيم الداعشي ضربة على وجه الدولة الأمريكية والدولة السعودية معا.

حدث فيما بعد تقارب وعودة علاقات بين السعودية والعراق، ولكن الحذر العراق يبقى ماثلا، حيث يتم تتويج عودة العراق لبعده العربي، وتقارب كثيرا مع الأردن ومصر، وكان للعراق دور في التقريب من السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية.

بالإضافة إلى محاولة الدولة السعودية الخروج من بيت الطاعة الأمريكي، والتقارب من الصين وروسيا، ولو حدث وتمكنت السعودية من ذلك الخروج لتغير وجه المنطقة.

هذا بخلال الأفول الوهابي في الداخل السعودي، ومحاولة ولي العهد محمد بن سلمان تحديث المجتمع السعودي وخروج شرعية السلطة من العباءة الوهابية، خاصة بعد الاعتراف العلني من محمد بن سلمان بأن السعودية نشرت الوهابية بأمر من جهاز المخابرات الأمريكي.

هذه بعض التجليات الموجودة، ويمكن رصد التفاعل الإيجابي من قبل السعودية، مع التأكيد على أن التقارب السعودي مع إيران يسهم في تشكيل تحالف إسلامي يمنع التوغل الاستعماري في العراق وغير العراق.

**-الحضور الإيراني**

لن نستطرد في الحديث حول الحضور الإيراني في الشأن العراقي، حتى لا نُتهم بالانحياز، لأن الغرب والعرب دفعوا صدام حسين للحرب ضد إيران بعد نجاح الثورة الإسلامية، خرج العراق مدينا، فاحتل الكويت، ولكن ليس هذا موضوعنا.

ولكن ما نكتب عنه في هذه الدراسة حول الحضور الإيراني، بعد الانسحاب الأميركي من العراق عام ٢٠١١، توسع هامش الفعل الإيراني في العراق، وبعد تنامي الإرهاب وداعش بعد

يونيو/حزيران ٢٠١٤، واحتلاله مناطق واسعة في العراق والشام؛ تشكل تحالف دولي بإدارة أمريكا وكانت السعودية أحد أطرافه المشاركة.

وأخذ التحالف الدولي على عاتقه محاربة الإرهاب بالتنسيق مع العراق، فكان ذلك أحد المتغيرات التي مهدت لنوع من التفاهم -ولو كان شكليا- بين العراق والسعودية، وإن جاء ضمن تفاهمات متفاوتة المستوى مع أطراف التحالف.

وفي مقابل هذا التحالف الذي لم يضم إيران بالكيفية التي ضم بها السعودية؛ استشعرت إيران أن فرصتها في العراق ستحدد، باعتبار أن الحسم العسكري لوجود "داعش" عبر التحالف، قد لا يقف عند دلالات الفعل العسكري بل سيشمل البعد العقائدي أيضا.

ولذلك سعت لاستثمار ثلاثة متغيرات لتكون حاضرة في مشاهد محاربة "داعش" وما بعدها، وهذه المتغيرات الثلاثة هي: الأطراف السياسية العراقية المتوافقة -بشكل شبه كلي- مع إيران، وهذه المتغيرات -بالإضافة إلى مساهمات إيران العسكرية في سوريا إلى جانب روسيا مهّدت لحضور إيراني فعال.

ولا ننحاز عقائديا أو فكريا مع الموقف الإيراني من مساعدة العراق دون أدنى شعور بالطائفية، وتفرّق إيران بين العراق وبين المستبد صدام حسين، ولكن تلك المساعدة أخافت الاستعمار الصهيوني الأمريكي السعودي.

ولهذه المتغيرات؛ أدركت كل من أميركا والسعودية ضرورة العمل المشترك لاحتواء التوسع الإيراني في العراق باعتباره منطلقا لفعل إيراني إقليمي أشمل.

وهو فعل إيراني إيجابي، فقد أسهمت إيران بالفعل الكبير في هزيمة تنظيم داعش الإرهابي، وبعيدا عن التحالف الذي ضم السعودية وأمريكا، كان لإيران الدور الحاسم في الانتصار على داعش في العراق وسوريا، بالدعم العسكري بعيدا عن أي دور عقائدي، بل هو دور إسلامي خالص، أغاظ الأمريكان، فقاموا باغتيال الشهيدين قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس.

## خاتمة وتوصيات

لا نستطيع القول إن العراق في حالة سيئة، رغم كل محاولات محاربته، داخليا وخارجيا، وربما أن الوضع الحالي في العراق أفضل عن ذي قبل، فلقد كان على شفا حرب أهلية، أ'وام ٢٠٠٣ – ٢٠٠٧، لولا دور المرجعية في النجف الأشرف، وعلماء السنة، كان لهم فضل في منع الفتن الكبرى، التي هددت العراق.

ولكن اليوم أفضل عن ذي قبل، ولكنه أيضا يحتاج لبعض التوصيات على صعيد إعطاء هوية وطنية واحدة تعلو فوق كل الولاءات والانتماءات، لابد من تصحيح المسارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق، عليه نقدم المقترحات والتوصيات الخاصة بتماسك الهوية الوطنية العراقية، والتي تمثل خطوات مدروسة لواجهة التحديات الخارجية ، الإقليمية منها والدولية، ولا ننسى التحديات الداخلية، وكلها متشابكة ومرتبطة بعضها ببعض

وهذه التوصيات يمكن تلخصيها فيما يلي[١]:-

١ - الحد من التدخلات السياسية الإقليمية التي ساهمت من خلال تدخلها في تعقيد الهوية الوطنية العراقية وزيادة إشكالياته، خاصة وأن السياسات العالمية لا تريد الاستقرار في المنطقة العربية كلها، فلابد من مواجهة تلك الضغوط العالمي والإقليمية أيضا.

٢ - قيام نظام سياسي يؤمن بالتعددية، ويحفظ الحقوق والحريات العامة لكل أفراد الشعب من دون تمييز، ويضمن مساهمة الجميع في صنع القرار العراقي، وحصول أبناء الجماعات الوطنية على نصيب عادل من السلطة يتناسب مع وزنها السكاني.

[١] - د. منى حسين عبيد – أزمة الهوية الوطنية في العراق – مصدر سابق

٣ - العمل على تجاوز السلبيات التي حدثت داخل المجتمع العراقي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ ، من خلال تعزيز ثقافة التسامح وترسيخ روح المحبة بين المواطنين والابتعاد عن تصفية الحسابات.

٤ - نبذ العنصرية والطائفية ورفع مصلحة الوطن فوق الانتماءات الفرعية، وهو فرض عين وفرض شرعي وإنساني، فأي مجتمع لابد أن تنصهر عناصره المختلفة في بوتقة الوطنية.

٥ - إقامة حوار وطني لبناء قواعد ثقة متبادلة بين مكونات المجتمع العراقي، إذ سبق وأن تعرض العراق إلى الاحتلال البريطاني في بدايات القرن الماضي ونتج عنه تحديات كبيرة على الوحدة الوطنية، إلا أن ائتلاف كافة القوميات والمذاهب أفشل سياسة الاحتلال البريطاني في تنفيذ سياسة (فرق تسد) واستطاعت الإرادة الوطنية أن تؤطر الوحدة الوطنية وتنهي الاحتلال آنذاك.

٦ - في الجانب الاقتصادي، من الضروري توزيع الثروات بصورة عادلة، والعمل على تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مناطق العراق بما يعزز صهر المكونات الاجتماعية المختلفة في بوتقة واحدة، انطلاقًا من اعتبار الوطن جسدًا واحدًا وكيانًا متكاملا ينبغي أن يكون صحيًا وصلبًا من أصغر مواطن إلى أعلى مركز تنفيذي كي يمارس كل فرد دوره بكفاءة واقتدار ويتناغم مع منظومة المجتمع العراقي.

٧ - أما في المجال الثقافي، فان التعددية الثقافية في حد ذاتها ليست مشكلة، فمن حق كل فرد وكل جماعة أن يكون لها من الطرائق الفكرية والمذهبية ما تريد، شريطة أن تكون كل المرجعيات الثقافية قائمة على أساس المصالح الوطنية العليا، لذا يجب أن تأخذ الدولة بالحسبان الخصوصية الثقافية لأبناء الجماعات الوطنية، على أن لا تشكل تلك الخصوصية خرقًا لمسلمات الوطن، والهوية الوطنية يجب أن تحتوي التعددية مع ضرورة التلاقي الثقافي، وضرورة رفع مستوى التعليم في كل أنحاء العراق، لان انخفاضه يساهم في تنامي النزعة الانقسامية والانفصالية في المجتمع العراقي مع ضعف الإحساس الوطني.

٨ - على أي حكومة وطنية أن تمتنع عن دعم الأحزاب والشخصيات والهيئات المؤيدة لتوجهاتها وخصها بالامتيازات والمنافع والظهور لها كممثل شرعي ووحيد، كذلك الامتناع عن ضرب العناصر المناوئة لسياساتها، وهذا يتطلب إيجاد آلية تساهم في ترسيخ اندماجها الوطنية من أجل تكريس الوحدة الوطنية، وعن طريق اللجوء إلى الأساليب المبنية على أسس التحاور في إيجاد مخرج للجوانب العالقة، والإيفاء بالوعود والالتزامات، وعدم الاحتكام إلى لغة العنف والسلاح.

٩ - على صناع القرار السياسي العراقي إيلاء قضية حقوق الإنسان (كتطبيق وممارسة) مزيدًا من الاهتمام والرعاية بعيدًا عن الشعارات والكلام، والاهتمام بحقوق الإنسان قولا وفعلا يعكس السلوك الحضاري للدولة، كما يزيد من ارتباط الشعب بالوطن.

١٠ - استحداث مجلس خاص يعني بالوحدة الوطنية، ويضم جميع التيارات الفكرية والقوى السياسية والزعامات المحلية التي تمثل كل أطياف المجتمع العراقي، فضلا عن الاستعانة بخبراء متخصصين في كل المجالات الواجب الاستشارة فيها، وطرح برنامج وطني لبناء العراق يستند إلى فكرة المواطنة الصادقة والنقية بغض النظر عن الجنس والعرق والطائفة، واعتبار رابطة المواطنة هي المعيار المشترك ومن أجل الخروج من هذه الأزمة لابد أن يكون هناك حوار صريح وهادف وجدي بين مكونات الشعب العراقي لإرساء أسس وطنية تستند إلى الموروث الثقافي والحضاري والتاريخي للعراق وتكون قادرة على إعادة اللحمة إلى المجتمع العراقي.

١١ - إعادة تشكيل العديد من الأحزاب والحركات السياسية العراقية على أسس المواطنة وليس الطائفة أو القومية أو الدين، وضرورة أن تتخلى هذه الأحزاب والحركات عن صيغتها المناطقية كأن تكون الأحزاب الفلانية ممثلة للمناطق الشمالية وأخرى للمناطق الجنوبية والوسطى وثالثة للمناطق الغربية، وهي أحزاب لا تمثل فكرة محددة، فقط مطالب مناطقية، ولا تمثل أي فطرة حزبية.

١٢ - ضرورة أن يكون خطاب الرموز السياسية والدينية العراقية خطاباً وطنياً موحداً، وليس خطاباً ضيقاً نظراً لما يمكن أن يتركه الخطاب الأخير من انعكاسات سلبية تؤدي إلى توليد المزيد من حالة الاحتقان الطائفي والحقد بين أبناء الشعب الواحد.

إن اليقظة لجميع اللاعبين السياسيين، وشعورهم بحافة الهاوية، إزاء نزيف هائل من الدماء العراقية، جعلهم يتراجعون، لان الخسارة سوف تعم الجميع، فحدث الهدوء عمّا كان من قبل، وصارت المتطلبات الشعبية حول الأوضاع الاقتصادية، بصرف النظر عن الانتماء المذهب أو العرقي.

ومن هنا تحديداً تراجع العنف ومعه تراجع شبح الحرب الأهلية، وعاد الجميع للبحث عن المشتركات مع الآخر لردم الهوة التي خلفها الاحتلال، فقد عاد الجميع للبحث عن الهوية العراقية، وأصبحت معطيات الواقع هي أقرب لتبني الهوية المحلية (الهوية الوطنية العراقية) وهي هوية المواطنة المستقبلية.

وفي الختام نردد ونكرر دور فكر أهل البيت عليهم السلم في نشر التسامح والأريحية والمساواة، وهو ما يتفق عليه كل شعب العراق بكل أعراقه ومذاهبه،.

إن كل المسلمين يقدّسون ويحترمون فكر أهل البيت، والإمام علي عليه السلام قال ضمن وصاياه لمالك الأشتر "الناس صنفان ... إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"[١]

وعلى الله قصد السبيل ...

---

[١] - علي أبو الخير - مالك الأشتر ... سيرة ومسرة – مكتبة الرحمة المهداة – المنصورة – مصر – ٢٠٠٩ – ص ٥، وقد تم وضع العبارة في مقدمة الكتاب وتعليق كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة الأسبق ، حيث قال إن كلمة علي بن أبي طالب الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، هي التي تنشدها البشرية طوال عمرها.

# الوضع الجيوستر اتجي للعراق و أثره على التوازنات الإقليمية والدولية ومعالجة الأزمات الداخلية (رؤية استشر افية مستقبلية)

الفريق الركن حسن سلمان خليفة البيضاني / هيئة الحشد الشعبي

**المستخلص**

الدراسة هي محاولة لسبر اغوار الوضع الجيوستراتجي للعراق واثره على التوازنات الإقليمية والدولية مع الاخذ بنظر الاعتبار التحديات القائمة وما لها من تأثير على رسم رؤية استشرافية مستقبلية للعراق من خلال تحديد المفاهيم العامة المرتبطة بالتوازن الجيوستراتجية والدخول وبشيء من التفصيل في تحديد مقومات الوضع الجيواستراتيجي العراقي ومن ثم الخوض في التوازنات الإقليمية والدولية القائمة في المحيط الإقليمي العراقي , وبالتأكيد فان دراسة القدرات العراقية الجيوستراتجية التي يمكن لها ان تكون قادرة على مواجهة وتعديل مسارات التوازنات الإقليمية والدولية امر لابد منه . ولكون العراق وكما هو معروف لايزال يعاني من الكثير من التحديات الداخلية التي لها تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على مكانته الإقليمية فان دراسة الازمات الداخلية وتحديد القدرات الجيوستراتجية العراقية لمجابهتها هو الاخر امر ذو أهمية كبيرة كونه يحدد الأدوار المستقبلية للعراق وهنا لابد من التوصل في نهاية الدراسة الى جملة من التوقعات التي يمكن ان نطلق عليها تسمية السيناريوهات المحتملة وهي وحسب وجهة نظر الكاتب تتلخص في أربعة احتمالات لكل منها عوامل او دوافع تجعلها ممكنة التطبيق مع الاخذ بنظر الاعتبار احتماليتها .

- **المقدمة**

حملت السنوات التي أعقبت انهيار النظام العراقي في نيسان ٢٠٠٣ الكثير من المتغيرات ذات الابعاد الاستراتيجية التي جعلت من العراق بلد يختلف من حيث الثوابت السائدة حينها اختلافا جذريا فلم يعد العراق مصدر تهديد للجوار الإقليمي ولم يعد كما يتصور الكثيرون الند والمنافس للقوى الصاعدة على المستوى الإقليمي كما ان الصراع العربي الصهيوني وفق عباءته الإعلامية المزوقة قد فقد لاعبا كان يعتقد المغررون بالطروحات القومية بانه يمثل قوة المواجهة الأكبر ومن هنا فان قراءة متأنية للوضع القائم الان تمنح القارئ صورة مغايرة تماما لما كان الامر عليه قبل التغيير , ومن هذا المنطلق فان ما يجب التركيز عليه بالوقت الحاضر هو الاجابة على التساؤل الحرج هل ان الوضع الجيو ستراتيجي للعراق مصدر قوة ام ضعف وهل ان الوضع الحالي او المستقبلي للعراق جيوستراتيجيا سيكون ذو تأثير مباشر او غير مباشر على طبيعة التوازنات القائمة ام انه سيترنح في زاوية غير مفعلة تنظر الفرصة لتفعيلها .

العالم باسره ادرك بعد مطلع القرن الحالي ان ما بعد مرحلة الحرب الباردة وتلاشي فكر القطب الواحد قد ولدت واقعا جديدا يحتاج من تلك الدول إعادة نظر جذرية في طبيعة علاقاتها القائمة مع باقي الدول وان التوازنات القائمة باتت اكثر تأثيرا من سواها على الصعيد الإقليمي والدولي وان اللوذ خلف قوى كبرى لم يعد هو الحل الأمثل لتلافي طبيعة الصراعات والنزاعات القائمة , فالتجارب التي مرت بها البشرية منذ أيلول عام ٢٠٠١ حيث كارثة مانهاتن وحتى الان والعالم في حالة تغير دائم فلم تعد الواجهة الغربية هي المرغوبة من قبل الدول الضعيفة كما ان بقايا الكتلة الشرقية تعاني من التشتت والتمزق والانحسار الأمريكي من العراق وأفغانستان وفشله في صد الدب الروسي من تمزيق جدار الغرب باقتحامه للبوابة الأوكرانية و تراجع السعودية امام قوة وبسالة انصار الله و فشل الالة

الامريكية الصهيونية في منع تساقط الالاف من الصواريخ على المستعمرات الصهيونية كل تلك المتغيرات الحاسمة تطلبت من الغالبية العظمى من الدول مراجعة دقيقة لمواقفها تجاه التوازنات القائمة .

العراق لا يختلف من حيث تفاقم أزمات الداخل وتأثيرها على طبيعة علاقات العراق الخارجية عن باقي دول العالم فالعراق ومنذ عام ٢٠٠٣ وهو يعيش حالة من اللاستقرار السياسي التي رافقها انعدام للاستقرار الأمني والعسكري لسنوات في حين كان الاقتصاد العراقي يعاني هو الاخر من التذبذب والتراجع والانكفاء لاسيما في سنوات تصاعد الاعمال الإرهابية وسقوط الموصل و تراجع أسعار النفط لأدنى مستوياتها , اجتماعيا لم يكن الامر افضل مما كان عليه لباقي مفاصل إدارة الدولة العراقية فالقبلية والعشائرية باتت اكثر قدرة وحسم من أجهزة الدولة العاجزة عن إيقاف نيران ترسانة الأسلحة التي باتت مؤشر على قوة تلك القبلية او العشيرة قياسا بسواها , امام هذا كله نجد ان هنالك تصاعد مقابل في الأداء الحكومي على مختلف الأصعدة لتلافي ما حصل من انتكاسات سببتها السياسات الغير منضبطة والتدخلات السياسية والاجندة الأجنبية التي دفعت بالعراق ولأكثر من سنتين في فوضى عارمة أدت الى نكوص عام في كل الميادين .

استشراف المستقبل لا يمكن ان يمر عبر بوابة التفاؤل المفرط فالعالم والجوار الإقليمي في حالة من الاضطراب الدائم رغم حالات الاستقرار المشوب الحذر التي تسود بين الحين والأخر وعليه فان رسم صورة مستقبلية للعراق لابد ان يمر عبر بوابة عدة سيناريوهات محتملة جميعها قد لا تكون تحمل كل ما يتنى المواطن العراقي المغلوب على امره الا انها وفي كل الأحوال تتوقف في نتائجها النهائية على جملة من المدخلات التي سينجم عنها بلا شك حزمة من المخرجات التي يكون لها القول الفصل في رسم المستقبل للعراق على

ضوء الوضع الجيو ستراتيجي العراقي المحاط بتوازنات إقليمية ودولية لها اكبر الأثر في تحديد الأطر العامة للصورة المستقبلية للعراق على اقل تقدير للعقدين القادمين .

- أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في انها تحاول ومن بوابة الجوانب الأمنية والعسكرية ان تتوصل الى قراءة واقعية لمدى تأثير الوضع الجيو ستراتيجي العراقي على مجمل الحالة القائمة واثر ذلك في طبيعة التوازنات الإقليمية والدولية القائمة او المستقبلية , وهل ان العراق مرشح ليكون البلد الأكثر أهمية ام انه لن يتجاوز حالته القائمة لأسباب متعددة تقف في مقدمتها التحديات الداخلية التي تحد من قدرته في فرض وجوده كدولة توازن من خلال ابراز مقومات القوة التي يمتلكها , ام انه قادر على تجاوز حالة الغياب القسري الإقليمي للانطلاق الى فضاء قيادة التوازنات او على اقل تقدير ان يكون هو من اللاعبين الأساسيين فيها .

- اهداف الدراسة

تهدف الدراسة الى التوصل الى ما يلي :

١. قوة ومتانة العراق هل تكمن في وضعه الجيو استراتيجي ام انه يشكل في بعض مفاصله حالة ضعف تستوجب المعالجة .
٢. العراق وبحكم ما حوله من توازنات إقليمية ودولية هل امتلك بعد التغيير القدرة على التأثير في تلك التوازنات ام ان التوازنات هي التي اثرت في أداء العراق على مختلف الأصعدة .
٣. هل ان القدرات العراقية الجيوستراتجية قادرة على مواجهة التوازنات المضادة وتعديل مساراتها بما يضمن امن العراق القومي .

٤. ما المدى الذي يكون فيه للازمات الداخلية التأثير على القدرات الاستراتيجية وتوظيفها في معادلة القوة او في التوازنات .
٥. التوصل الى قراءة مستقبلية من خلال تحديد عدد من السيناريوهات المحتملة لمستقبل العراق في ظل التوازنات القائمة او المحتملة .

- مشكلة الدراسة

قد لا تكون مشكلة الدراسة مرتبطة بطبيعة ما سيرد فيها بل انها وهذا ما يبزر في الغالب عند تقديم أي دراسة عن عراق ما بعد عام ٢٠٠٣, وانما هو ان المشكلة في فهم الاخر لما يتم تناوله لاسيما أولئك الذين لايزالون يشعرون بان ما كان عليه العراق قبل التغيير هو افضل بكثير مما هو الحال القائم الان من حيث القدرات الجيوستراتجية دون ادراك منهم ان قراءة دقيقة او مقارنة علمية بين الحالتين ستثبت ان العراق لم يكن كما هي الصورة المرسومة له إعلاميا من قبل القوى المؤيدة للنظام السابق .

- هيكلية الدراسة

لتغطية موضوع الدراسة من جميع جوانبه جرى تقسيمها الى المباحث التالية :

- المبحث الأول : مقومات الوضع الجيو استراتيجي العراقي
- المبحث الثاني : التوازنات الإقليمية والدولية القائمة في المحيط الإقليمي العراقي .
- المبحث الثالث : القدرات العراقية الجيوستراتجية في مواجهة وتعديل مسارات التوازنات الإقليمية والدولية .
- المبحث الرابع : الازمات الداخلية والقدرات الجيوستراتجية العراقية لمجابهتها
- المبحث الخامس العراق والمستقبل على ضوء القدرات الجيوستراتجية (رؤية استشرافية مستقبلية )

## المبحث الأول

## مفاهيم عامة ومقومات الوضع الجيو استر اتيجي العراقي

### أولا : مفهوم الجيوستر اتجية

غالبا ما يدخل الباحثون بالشؤون الدراسات السياسية والاستراتيجية في دوامة التداخل واللبس بين المصطلحات التي تزاحم الجيوستراتجية كالجيوسياسية الجيوبولتيك، والاستراتيجية.... إذ يتألف مصطلح الجيوستراتجية من مقطعين هما ( GEO) بمعنى الأرض، و (stratage) بمعنى الاستراتيجية - إلا أن الاستراتيجية هنا لا تنصرف إلى مفهومها القديم الذي يدل على التخطيط العسكري - وبعبارة أخرى فإن الجيوستراتجية تجمع بين معنيين هما الأرض والاستراتيجية لتنتج معنى ثالث تعرف به هو التخطيط السياسي والاقتصادي والعسكري الذي يهتم بالبيئة الطبيعية من ناحية استعمالها في تحليل المشكلات الاقتصادية والسياسية ذات الصفة الدولية[١]. الجيوستراتجية هو الاتجاه الجغرافي لسياسة الدولة الخارجية وبتعبير أدق فإن هذه الأخيرة تصف المكان الذي تركز الدولة جهودها نحوه، وذلك من خلال إظهار القوة العسكرية وتوجيه النشاط الدبلوماسي، إذ أن الافتراض الأساسي هو أن الدول لديها موارد محدودة، وبدلا من ذلك يجب أن تركز هذه الدول سياسيا وعسكريا على مناطق محددة من العالم لذا تصف الجيوستراتجية فحوى السياسة الخارجية لدولة ما ولا تتعامل مع الدوافع أو عمليات صنع القرار، لذلك فإنها ليست بالضرورة مدفوعة بعوامل جغرافية أو سياسية، فقد تقوم الدولة بإعطاء الأهمية لموقع جغرافي ما الأسباب أيديولوجية أو مجموعة من المصالح، أو ببساطة لمصلحة

[١] . نافع القصاب واخرون , الجغرافية السياسية , دار الكتب للطباعة والنشر , الموصل , ط١, ١٩٩٧ , ص ١٦

ما أو حباً بالانتقام وعليه فأن الجيوستراتجية لا يمكن تخيلها في أي فترة أخرى من التاريخ إلا في عصرنا، إنه المنتج المميز للسياسة العالمية المضطربة في القرن العشرين[1] والقرن الحادي والعشرين.

## ثانيا: مفاهيم في الجيوستر اتجية

لايزال ينظر الى علم الجيوستراتجية على انه علما حديثا نسبيا بدأ يتبلور بعد الحرب العالمية الثانية ، وإن كانت هناك مجموعة من المفاهيم التي تعتبر من صلب مبادئ الجيوستراتجية وكانت تطبق منذ القدم كمفهوم أو مبدأ السيطرة التوسع والهيمنة[2]، إلا أن صياغة مجموعة متكاملة من المفاهيم والمبادئ الجيوستراتجية يحتاج إلى تطبيق وتطوير ودراسة علمية في حين ان هنالك العديد من المفاهيم التي تقترب او تتناغم مع المفهوم العام ومنها اللاعبون الجيوستراتيجيون والتوازن الجيوستراتيجي والمصلحة الجيواستراتيجية والتي نجد من الضروري ايضاحها للوصول الى ادراك متكامل لما تعنيه الجيوستراتجية .

- **اللاعبون الجيوستر اتيجيون :**

يجدر هذا التوقف عند أهم الاستراتيجيين المعاصرين الذين مارسوا هذا العلم في الواقع بحكم عملهم مثل برجنسكي" و "هنري كيسنجر "هذا الأخير الذي شغل منصب وزير الخارجية الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية والذي نظر وطور بعض المفاهيم في هذا المجال ومنها مفهوم التحرك المتعمد لتحويل قطبية النظام الدولي من ثنائي القطب إلى متعدد الأقطاب، ومفهوم دول الاستقرار الإقليمي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية التي

---

[1] . مسعود مقعاش , التفاعل الجيو ستراتيجي الصيني الأمريكي في شمال شرق اسيا , أطروحة دكتوراه غ م , جامعة بانة الحاج خضر , الجزائر , ٢٠٢١, ص ٢١

[2] . وائل شديد , الجيو استراتيجيا بين النظرية والتطبيق , سلسلة الإدارة التطبيقية,ط١ ,٢٠٢٠ ,ص ٢٠

ستحصل على مساعدات أمريكية كبيرة مقابل توليها مسؤولية الاستقرار الإقليمي كإيران سابقا ( عهد الشاه) وإندونيسيا .أما برجنسكي اشغل منصب مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس جيمي كارتر والذي طرح مفهوم التحول في الجيوستراتجية الأمريكية لتجنب الانهيار الهائل الذي يتنبأ به العديد من المفكرين. بالإضافة إلى جورج كينان سفير الولايات المتحدة الأمريكية لدى الاتحاد السوفيتي سابقا الذي صاغ مصطلح "الاحتواء والذي مازال يُعمل به إلى يومنا هذا على الرغم من أن المصطلح سوف يعني شيئا مختلفا كثيرا عن الصيغة الأصلية لكينان حيث دعا إلى ما كان يسمى احتواء نقاط القوة أي حماية المناطق الصناعية المنتجة في العالم من هيمنة الاتحاد السوفييتي. إن مصطلح اللاعبين الجيوستراتيجيون النشطين هم الدول التي تمتلك القدرة والإرادة القومية على ممارسة القوة أو النفوذ في ما وراء الحدود بغية التغيير، وبدرجة تؤثر في المصالح الأمريكية - حالة الشؤون الجيوبولتيكية الراهنة - تمتلك هذه الدول أيضا القدرة الكامنة أو الاستعداد لأن تكون سريعة التأثير جيوبولتيكيا، وهكذا نجد أن بعض الدول تسعى فعلا ولأي سبب كان لتحقق الهيمنة القومية أو الإنجازات الايديولوجية، أو الطموحات الدينية أو التوسع الاقتصادي، وتحولها إلى تحقيق السيطرة الإقليمية أو الهيمنة العالمية، وهي تكون مدفوعة بحوافز عميقة الجذور ومعقدة.[1]

- **التوازن الجيوستراتجي**

يمكن القول بان مفهوم التوازن الجيوستراتجي بات من المفاهيم المركزية في العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية وبداية العصر النووي ، ويشير هذا المفهوم الى حالة من التعادل النسبي في القدرات والإمكانيات لمجموعة من الدول التي تملك قوة تفاوضية وتأثيرا

[1] . زبينغنتو برجنسكي , رقعة الشطرنج الكبرى , السيطرة الامريكية وما يترتب عليه جيو استراتيجيا , مركز الدراسات العسكرية , دمشق , ط٢, ١٩٩٩, ص ٤٢

في السياسة الدولية، و تشمل هذه الإمكانيات قدرات الدولة المادية و في مقدمتها القدرات العسكرية. ويعرف التوازن الجيوستراتجي بأنه " التعادل النسبي المتكافئ في عناصر القوة المادية والسلوكية و القيمية التي تملكها القوى الدولية، ضمن المجال الجيوعالمي، و هذا يتّضح في الأداء الاستراتيجي لهذه القوى، لاسيما ما يتعلق بسيطرة القوى العظمى على مقادير الدول الأخرى وذلك لأنها تملك الإمكانيات و المقومات التي تمكنها من الهيمنة والسيطرة في مختلف المجالات الحيوية وبالتالي يرتبط التوازن بالجيوبوليتيك الجيوستراتجية.[١]

- **المصلحة الجيوستراتجية**

غالبا ما يتم تعريف المصلحة الجيوستراتجية على أنها المصلحة الوطنية المرتبطة بالأمن؛ المهددة إما بالقرب من البر الرئيسي الوطني أو في مناطق ذات مصالح وطنية معينة في الخارج، والتهديدات المتعلقة بالأمن إما موجهة إلى القوى العظمى نفسها أو على مجال نفوذها على الدول التي ترتبط ارتباطا وثيقا بها في الحالة الأخيرة، تشعر القوى العظمى بإحساس الالتزام بحماية حليفها. قد توضح فكرة المصلحة الجيوستراتجية الصلة بين الأمن والسلطة والمنطقة الجغرافية في النظام العالمي الدولي في هذا السياق، تعني القوة والتأثير والسيطرة على الأراضي والموارد، ومن ناحية أخرى. يتعدى أمن الدولة إلى حماية الدول الأخرى والواقعة تحت تأثير صاحب القوة الجيوستراتجية، وذلك عن طريق القوة إذا لزم الأمر، ونظرًا لأن الصراع يهدد المصالح الاستراتيجية أو يهدد بالانتشار إلى المناطق التي توجد بها مصلحة وطنية استراتيجية، يصبح أمرًا ضروريًا لصاحب القوة الجيوستراتجية للتدخل من أجل القضاء على التهديد وبالتالي فإن القوى الكبرى ذات المصالح

[١] . مسعود مقعاش,التفاعل الجيو ستراتيجي الصيني الأمريكي في شمال شرق اسيا,مصدر سبق ذكره , ص١٢

الجيوستراتجية ستتدخل في النزاعات التي ترى أنها تنطوي على إمكانية تأكل هيكل السلطة والبنية التحتية الإدارية لدولة صديقة وتعتبرها تشكل تهديدا لمصالحها الجيوستراتجية كما حصل في الخليج العربي عند اجتياح العراق للكويت عام ١٩٩٠ . البعد الآخر لتهديد المصالح الجيوستراتجية هو البعد الذي يمكن أن يأتي بطريقة غير مباشرة يشير هذا إلى حالة لا تشكل فيها الدولة المعنية نفسها تهديدًا مباشرًا، ولكنها قد تخلق بيئة تصبح فيها ملاذا آمنا للآخرين الذين قد يهددون مصالح القوة العظمى مثلما حصل لأفغانستان عام ٢٠٠١. لذلك هناك خوف عام من أن تصبح الدول "الفاشلة" ملاذات آمنة للإرهابيين أو القوات العسكرية الخارجة عن القانون التي تعمل في وضع ينعدم فيه القانون، وهذا من شأنه أن يشكل سببا مشروعًا للتدخلات التي تحركها المصلحة الجيوستراتجية. والملاحظ أنه غالبا ما تهدف التدخلات التي تحركها المصالح الغربية الجيوستراتجية إلى تغيير النظام.[١]

- تأثير موقع الدولة الجغرافي على الوضع الأمني و العسكري :

في الحسابات العسكرية تقف الجغرافيا شاخصة امام كل ماله علاقة بالحرب فهي المتحكم حتى في العصر النووي وعصر التقنيات الحديثة في مسار الحروب ولاشك ان للجغرافيا تأثيرات كبيرة وحاسمة على طبيعة ومقومات بناء قوة الدولة من حيث الحسابات العسكرية فالعامل الجغرافي ومنذ الازل كان عاملاً حاسماً في تحديد قوة وقدرة الدولة على الصمود و بهذا الصدد يقول (رافستان) في كتابه (جيوبولتيكيا وتاريخ ) معيدا ما ذهب اليه (ما كندرا) حيث يوكد على (من ان القوة البحرية تتميز بقدرتها على التحرير واعلاء شأن الحرية ، وعلى مواجهة القوة البرية المشاغبة والمرتدة) [٢]. و نجد ان من الضروري هنا التأكيد على ان الموقع الجغرافي لا يزال حاكماً في تأمين القدر الأكبر من القوة و المتانة للدولة

---

[١] . المصدر نفسه , ص ١٣

[٢] . معين حداد ، الجيوبوليتيكا ، قضايا الهوية و الانتماء بين الجغرافية و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ط١ ٢٠٠٦ ص ٩٧

وفي كل الأحوال فأن هنالك صلة أساسية بين الجغرافيا و الوضع الأمني و العسكري وكذلك وبصورة حتمية بينهما وبين مدخلات الحرب وخرجاتها فالحرب لا يمكن ان تخاض دون ان يكون لتحليل منطقة العمليات الحضور المباشر فيها , لذلك نجد ان أي موقع او مكان او بقعة او منطقة لها خصائصها الفريدة في السمات الجغرافية التي تتفاعل لتشكيل بيئة مميزة، فبيئة العمل العسكري وكما هو معروف هي بناء مكون من مجموعة عوامل تتداخل فيها الجيوبولتيك مع مقومات القوة والوضع الاجتماعي والتجانس الاثني فضلا عن المكانة الاقتصادية والحجم السكاني الفاعل التي تصوغ وتتحكم بمجموعها بمراحل إدارة الحرب ومعاركها [١].

و غالباً ما تحدد الخصائص الجيوعسكرية و الأمنية و التي تمثل بحد ذاتها الجيوستراتجية العسكرية باعتبارها عنصراً اساسياً في تحديد المهام والغايات الاستراتيجية للحرب وكذلك اعداد مسارح العمليات و طبيعة التحركات للقطعات العسكرية تنفيذ خطط المناورة على المستويات الثلاثة التعبوية و العملياتية والسوقية حيث من خلالها يتم متابعة سير العمليات الحربية و من هنا فأنها تحدد و بقدر تعلق الامر بالوضع الأمني و العسكري للدولة ما يلي[٢] :

١. البيئة الاستراتيجية للأمن الوطني او القومي ومتطلبات تفعيلها عند تصاعد المخاطر.
٢. وضع الخطوط العريضة و الاتجاهات والاهداف والمصالح القومية .
٣. تحديد أماكن النزاع القائم او الفعلي او الوشيك او المحتمل .
٤. تحديد مكامن الخطر والتنبؤ بها او استقرائها مسبقا على ضوع معطيات الوضع الأمني القائم سواء الداخلية منها او الخارجية .

---

١ . اللجنة الوطنية للسياسات السكانية ، تحليل الوضع السكاني في العراق ، ٢٠١٢ بغداد ص ٩١

٢ . د. محسن عبد الصاحب المظفر ، المسرح البيئي العسكري ، شركة العارف للمطبوعات ، ط١ ٢٠١٤ ص ٤٣

٥. من خلال الاستنتاجات يجري تحديد مسبق لاحتمالية خوض الحرب وتحديد مجمل لتوقيتاتها المحتملة و الأماكن المحتملة للصراع او النزاع او حتى المعارك بمحتواها السوقي او العملياتي .
٦. الأطر العامة لمسالك عمل العدو القائمة والمحتملة إضافة الى تحديد عدد المقتربات و طبيعة كل مقترب ومكامن الخطورة فيه على مجمل الوضع الأمني و العسكري .
٧. أماكن التحشد المحتملة للعدو القائم او المحتمل و كذلك الاتجاهات العامة لتحركاته .
٨. تحديد اسبقيات استخدام القوة الناعمة او الصلبة للدولة على ضوء المعطيات التي فرضها الموقع الجغرافي لها، و حسب اسبقية التهديد المحتمل .

أن الخصائص الجيوعسكرية والأمنية هي التي تعطي القيادات العسكرية والأمنية في البلاد القدرة على تطويع الأوضاع الجغرافية القائمة مع الغايات العسكرية بغية اعداد الاستراتيجية العسكرية الشاملة و العليا للدولة كونها احد الاستراتيجيات التخصصية فيها ، ونظراً لمفاهيم وقيم الحروب المعاصرة أضحت الحرب لا تقتصر على معارك الجيوش و مسارح العمليات فحسب بل تشمل جميع عناصر وخصائص الجيوعسكرية والأمنية و التي تتضمن [١] :

١. الطبوغرافيا و مدى علاقتها بالعمليات العسكرية .
٢. الجو و الفضاء و مقدار القوة المتيسرة للسيطرة عليها .
٣. التنوع الديمغرافي للبلاد و مدى مساهمته في مقومات الدولة .
٤. التضاريس الأرضية بالمستويات التعبوية و العملياتية و مساهمتها في تأمين الدفاعات او الاندفاعات عند خوض الحرب .

---

[١] . فرانسيس جالجانو ، الجغرافية العسكرية الحديثة ، مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ، ط١ ، ٢٠١٠ ص٧٩

٥. البنى التحتية و المنشأت ذات الطبيعة الخدمية الداخلة في التكوين الجغرافي للبلاد مثل السدود و الجسور وغيرها و التي يطلق عليها في أحيان كثيرة تسمية (المفاصل اللينة) و التي تستهدف عند اشتداد الضغط العملياتي من قبل العدو او من قبل قطعاتنا .
٦. شبكات وعقد المواصلات و أنظمة الطرق و السكك الحديد و الموانئ و المطارات وشقق النزول و الوديات التي تساعد على الاختباء .
٧. الحالة المناخية و الطقس و مدى تأثيرهما على العمليات العسكرية حسب المواسم

- موقع العراق الجغرافي وتأثيره على وضعه الأمني و العسكري :

العراق ومنذ البدايات الأولى للصراعات والحروب كان الفضاء الأكثر جذبا للطامعين والغزاة في ذات الوقت الذي كان هو ذاته منطلقا لأول شكل من اشكال المناورات العملياتية حينما جالت العربات الاشورية السهول والصحارى لتصل الى تخوم افريقيا فارضة وبالوقد الوجود العراقي هناك ومن هذا المنطلق فان هنالك صلة أساسية بين الجغرافيا و الحرب ، ويظهر لكل موقع مجموعة فريدة من السمات الجغرافية التي تتفاعل لتشكل بيئة مميزة وهذا ما حفل به العراق على مر العصور ، فبيئة العمل العسكري و الأمني هي في حد ذاتها عبارة عن جملة من العوامل التي تساهم في تشكيل المشهد الطبيعي و السكاني و الاجتماعي و الثقافي و التي تصوغ و تتحكم بمراحل الصراع او النزاع مع الدول الأخرى او مع التحديات الداخلية الناجمة عن بروز أعداء في الداخل كما حصل في عمليات مكافحة الإرهاب ، ومن هنا لا بد من بيان موجز لهذه المكونات .

١. <u>الموقع :</u> يقع العراق في نصف الكرة الشمالي في اطار مكاني ينحصر بين دائرتي عرض (٩٢,٥) وشمالاً و (٣٧,٥) شمالاً اما بالنسبة لخطوط الطول فانه ينحصر بين خطي (٣٨,٤٥) شرقا و (٤٨,٤٥) شرقاً اما موقعه بالنسبة للمسطحات المائية فانه نظريا يتوسط خمسة بحار تتمثل ببحر قزوين في الشمال الشرقي و البحر الأسود في الشمال و البحر المتوسط في الغرب و البحر الأحمر في الجنوب الغربي والخليج العرابي و البحر العربي في الجنوب ، الا ان أهمية تلك البحار اما ان تكون معدومة

بسبب البعد الجغرافي او وجود الحواجز الصحراوية كالبحر الأحمر وبحر قزوين و الأسود الا ان تأثير البحر المتوسط يظهر جليا من خلال انفتاحه من دون عوائق ، اما الخليج العربي فانه يعد المنفذ البحري الوحيد للعراق والذي شهد انحسارا في امتداداته نتيجة الحروب التي خاضها النظام السابق [١].

٢. المناخ : يتميز المناخ بالعراق بانه حار و جاف صيفاً و معتدل شتاءً مع كميات قليلة الى معتدلة من الامطار ، و مع ذلك فأن هنالك اختلافات محلية كثيرة عن هذا النمط و يشكل الصيف (من حزيران الى ت١) و الشتاء من (ك١الى نيسان) الفصلين مع فترة انتقالية من شهر واحد بين كل منهما . و عادة ما تتجاوز درجة الحرارة ٤٣ درجة مئوية وقد تصل في بعض الأحيان لاسيما في جنوب العراق الى اكثر من ٥٠ درجة مئوية (١١٠فهرنايت تقريباً) في الصيف. و نادراً ما تنخفض الى ما دون الصفر المئوي خلال فصل الشتاء ما عدا مناطق كردستان العراق . ومتوسط الامطار اقل من ١٢,٥ سم (٥ انشات تقريباً) و تمر بعض الأمكنة بفترات جفاف تمتد لسنوات دون ان تشهد هطول أي امطار خلالها . وعادة ما تكون السماء صافية على مدار العام بسبب استقرار الجو السائد ، و مع ذلك يمكن ان تزداد كثافة الغيوم خلال اشهر الشتاء و الرؤية عموماً تكون افضل في الشتاء و تصل اضعف مستوى لها في فصل الصيف بسبب الجو المغبر وتصاعد حدة العواصف الترابية ويؤدي انتشار الجفاف وانعدام الغطاء النباتي و الرياح السائدة جنباً الى جنب مع المواد السطحية ذات الحبيبات الناعمة و المكشوفة الى حدوث رياح الشمال (العواصف الترابية) التي تحدث بشكل رئيسي خلال اشهر الخريف و الشتاء[٢].

٣. التكوين السكاني والديمغرافي : مكونات الشعب العراقي هي ثلاثة ذات نسب عالية مع أقليات ذات عدد محدودة انخفضت الى حد كبير على اثر تصاعد الصراع و العمليات

---

[١] . صلاح حميد الجنابي و سعدي علي غالب ، جغرافية العراق الإقليمية ، دار ابن الاثير للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ ص١١

[٢] . فرانسيس جالجانو ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٥٤

الإرهابية في العراق ويشكل العراب الغالبية العظمى من السكان يليهم الاكراد ثم التركمان وهنالك اليزيدين و المسيحيين بمختلف طوائفهم يضاف الى ذلك ان هنالك تنوع كبير في الطوائف الدينية والعرقية ضمن القومية الواحدة.

لابد من التذكير على الدوام بان تأثير عوامل الموقع و الشكل والمناخ و التكوين السكاني اثرت بشكل او باخر على مجمل الوضع الأمني و العسكري العراقي وهذا ما تم تشخيصه اثناء الحرب العراقية الإيرانية حينما لعبت طبيعة الأرض وتقلبات المناخ دور كبير في تحديد نتائج المعركة وهذا ما ينطبق أيضا على ما حصل في الحربين اللاحقتين الخليج الثانية والخليج الثالثة ولم يكن التأثير مقتصرا على القوات العراقية بل ان العدو المقابل قد عانى كثرا من تلك العوامل ويمكن اجمال تلك العوامل من خلال ما يلي[١] :

١. سعة و حجم العراق الكبير نسبياً يحتاج الى قطعات كبيرة للدفاع عنه كما انه و في حالة مهاجمته و من قبل دولة أخرى يحتاج الى قطعات متنوعة ذات اختصاصات متعددة تبعا لطبيعة التضاريس التي تتمتع بها المنطقة المستهدفة .
٢. رغم ان هنالك تغيرات واسعة في مجال المناورة العملياتية والسوقية للغالبية العظمى من الجيوش وبضمنها جيوش الجوار الإقليمي على ضوء المستجدات التقنية الحاصلة الا ان طبيعة التكوين الجغرافي للعراق يجبر المهاجم على العمل على خطوط الخارجة و على المناورة من مسافات بعيدة في حين تمنح هذه الطبيعة المدافع إمكانية جيدة في ترتيباته الدفاعية عدا ما يتعلق منها بالحدود الإيرانية التي تتميز بسيطرة الجانب الإيراني على المناطق المرتفعة في اغلب مناطقها .
٣. طبيعة المناخ غير المستقرة هي الأخرى تحتاج الى اعداد مسبق لمسارح العمليات خاصة في المناطق الغربية والجنوبية الغربية حيث تسبب السيول غير المتوقعة ، كذلك الحال في المناطق الجبلية ذات الطقس المتقلب . في حين تسبب الرياح الموسمية تصاعد غبار يؤدي الى شل العمليات العسكرية في اغلب الاحيان لاسيما في المناطق الغربية والجنوبية اما المناطق الشرقية فان الطقس ورغم اعتداله الا

[١] . جغرافية العراق العسكرية ، الكلية العسكرية ، جامعة الدفاع للدراسات العسكرية ، ٢٠١٤ ص٢٧

انه قد لا يكون مستقرا في بعض الحالات وهذا ما يحصل بشكل مفاجئ دون أي انذار مسبق .

٤. التنوع الواسع النطاق في التكوين الديمغرافي فرض على العراق نوع من عدم التجانس و ولد الكثير من القلق وانعدام الثقة لاسيما بعد سقوط النظام السابق عام ٢٠٠٣ و بروز النزعة الطائفية و العراقية و العمل بمبدأ المحاصصة التي عززها دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ والذي أورد مفردة مكونات لمرات عديدة دون ان يذكر كلمة شعب عراقي حتى في ديباجته الأولية [١].

- التحديات و التهديدات التي يشكلها الموقع الجغرافي امنياً وعسكرياً على العراق

يمكن اجمال تلك التحديات و التهديدات بما يلي :

١. تحديات الموقع الاستراتيجي للعراق . بالنسبة لموقع العراق الاستراتيجي فقد وصفه المختصون بالشؤون الاستراتيجية بانه غاية في الأهمية كونه يقع ضمن الجسر الأرضي الذي يربط قارات العالم القديم ويوصل بين البحر المتوسط و المحيد الهندي ، وقد برزت هذه الأهمية خلال سنوات الحرب العالمية الأولى و الثانية فضلاً عن الحرب الباردة . كما تبرز الأهمية الاستراتيجية لموقع العراق الجغرافي كونه يقع على اقصر الطرق الجوية التي تربط غرب اوربا وجنوبها بجنوب شرق اسيا ، وتعد بغداد مركزاً مهماً لملتقى الطرق البرية في الشرق الأوسط ، وما سكة حديد (بغداد ـ برلين ) الا شاهداً على ذلك[٢] وما تلاها من مشاريع لسكك حديد وطرق تربط مختلف دول العالم منها ما ينطلق من العراق ومنها ما يكون العراق جزء حيوي منها مثل طريق الحرير وطريق التنمية والربط السككي وغيرها .

---

[١] .ف ر حسن البيضاني . العراق وجيشه – الواقع الديمغرافي و اثره على بناء الجيش ، مركز حراب للدراسات والبحوث ، ط١ ٢٠١٩ ص ٢٣٨

[٢] . علي حسين علي ، تحديات بناء الدولة العراقية بعد عام ٢٠٠٣ (دراسة جيوستراتيجية) ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم السياسية ، جامعة النهرين ، ٢٠١٦ ص٤

اما بالنسبة لموقع العراق من نظريات السيطرة الاستراتيجية فهو حسب نظرية ماكندرا (قلب الأرض)يعد جزء من الجسر الذي يربط بين قلب الشمال و القلب الجنوبي و عندما قسم ماكندر العالم الى ثلاثة مناطق استراتيجية رئيسية هي القلب الروسي و الهلاليين الداخلي و الخارجي ، فأن العراق يقع ضمن منطقة الهلال الداخلي التي تحيط بالقلب الأوراسي الذي يشمل جميع قارة اوربا وأجزاء من قارة اسيا و كان العراق و لازال بشكل عام اكثر مناطق الهلال الداخلي تنافساً بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفيتي سابقاً(روسيا حالياً) حيث انه يشكل مرتكز السيطرة على المياه الدافئة في الخليج العربي وبحر العرب و يمكن اعتبار ما يجري من احداث دائرة في المنطقة كالصراع في سوريا والصراع الأمريكي الإيراني ومحاولات التوسع التركي جميعها دليل عملي على ذلك [1] .

٢. تحديات الواقع البحري . يبلغ طول ساحل العراق على الخليج العربي بنحو(٥٨كم) بعد ان كان يقارب ٧٦ كم (خسرها نتيجة احتلال صدام للكويت ) و في حالة مقارنته بالنسبة للمجال البري للدولة يتضح ان نسبة طول الساحل الى المجال البري للدولة تبلغ (١: ٧٥٣٥) و هذا يعني ان كل واحد كيلو متر من الساحل يقابله (٧٥٣٥كم$^{٢}$) من المجال البري و بمقارنته بالمعدل العام لدول الجوار الذي يبلغ (١: ٣٦٣) ، يتضح ان طول ساحل العراق البحري محدود جداً و صغير جداً بالنسبة لمجاله البري ، وهو ما يجعل الغالبية من أجزاء الدولة لا تتمتع بميزة القرب من البحر و تبلغ المساحة الاجمالية للمجال الحيوي البحري العراقي في حدود المنظمة الاقتصادية الخاصة بنحو (٧٠٠٠كم) و بقياس طول الشاطئ العراقي بالنسبة لها يتضح ان نسبة طول الشاطئ الى مساحة المجال البحري تبلغ (١٢:١)من المجال البحري وبمقارنته بالمعدل العام لدول الجوار و الذي يبلغ (٤٦:١) نجد ان المجال البحري العراقي محدود المساحة ، مما يدل على محدودية درجة الانتفاع العراقي

[1] . مروان عوني كامل ، الهيمنة الامريكية في ضوء نظرية ماكندر ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ،٢٠٠٦ ص١٥٤

بالبحر في المجالات العسكرية و الاقتصادية[1] مما يجعل العراق اقرب الى حالة الدولة الحبيسة .

٣. تحديات خصائص موقع الجوار الجغرافي . لأهمية هذا التحدي وتأثيراته المباشرة وغير المباشرة فسيتم التوسع بها في فقرة خاصة .

٤. تحديات شكل الدولة العراقية . و يمكن تلخيص ذلك بمجوعة الانبعاجات الحاصلة في شكل الدولة العراقية وهي :

أ. الانبعاج الإيراني : هو ذو تأثير سلبي على الدفاعات العراقية خاصة وانه يقترب كثيراً من العاصمة بغداد حيث تبلغ مساحته قرابة ٢,٧٪ من المساحة الكلية للعراق .

ب. الانبعاج التركي وتبلغ مساحته اكثر من ٢٠٠ كم و رغم أهميته الا انه لا يشكل خطراً على الدولة من الناحية الاستراتيجية لبعده عن العاصمة بغداد الا انه ذو تأثير استراتيجي على الموصل ومدن إقليم كردستان .

ج. نتوء البصرة : وتقدر مساحته٧٢٢٥كم$^{٢}$ أي ما يعادل ١,٦ من مساحة العراق و قد ظهرت أهميته خلال الحرب العراقية الإيرانية حيث شكل نقطة الضعف في الوضع جيوبولوتيكي للعراق مما اثر كثيرا على مقومات العراق في جوانبها الجيوستراتجية ومنح ايران حرية اكبر وقدرة على التهديد ولفترات طويلة اثناء الحرب .

د. نتوء الرطبة : وتبلغ مساحته ٣٧٠٠٠ كم$^{٢}$ ولا يمثل كما يصفه الاستراتيجيون عيباً في جيوستراتيجية العراق كونه بعيد نسبياً و في منطقة بعيدة ومتخلخله سكانياً الا انه برز كنقطة ضعف اثناء عمليات مكافحة الإرهاب لسعة المنطقة وصعوبة السيطرة عليها وتمكن المجاميع الإرهابية من خلق بيئة امنة لهم فيها كانت تمثل قاعدة انطلاق لعملياتهم الإرهابية

[1] . د قاسم محمد عبد، جيوبوليتك الامن الوطني العراقي(دراسة في التحديات) مجلة الدراسات الدولية العدد ٣٨ لسنه٢٠١٧ جامعة النهرين ص ٢١٧

هـ . نتوء بنجوين : هو عامل مساعد للدولة حيث يمتد في عمق الأراضي الإيرانية بمساحة تقدر ب٣٠٠كم٢ الا انه غير مستغل امنيا او عسكريا اذ لا تتواجد فيه أي قطعات عسكرية من المركز .

٥. تحديات إدارة الامن و المناطق المتنازع عليها .شكلت مشكلة (المناطق المتنازع عليها) احد اهم القضايا المختلف عليها بين الحكومة الاتحادية وحكومة إقليم كردستان بعد عام ٢٠٠٣ نتيجة للاختلافات الكبيرة في ما بينهما سواء اكان ذلك فيما يتعلق بالتسمية والدلالة الجغرافية او طرق المعالجة او الحدود الإدارية اوإدارة الامن ، لاسيما وان الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ لم يعرف المناطق المتنازع عليها باستثناء كركوك التي ورد ذكرها في المادة (١٣٣/ثانياً) و المادة (١٤٠/ثانياً)[١] . وفي ضل ذلك الاختلاف تبنت بعثة الأمم المتحدة في العراق(يونامي) موضوع تسوية الحدود الداخلية المتنازع عليها من خلال تقرير ممثلها (دي مستورا) الصادر عام ٢٠٠٨ اذ حدد هذا التقرير المناطق المتنازع عليها بغض النظر عن مدى مقبولية هذا التحديد من قبل طرفي النزاع[٢] . و بذلك برزت العديد من التحديات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و كان اخطرها تحدي إدارة الامن في تلك المناطق و تداخل الصلاحيات الأمنية بين الحكومة الاتحادية وحكومة إقليم كردستان ، خاصة بعد احداث حزيران عام ٢٠١٤ بعد احتلال داعش الإرهابي لمدينة الموصل و بعض المناطق الأخرى و معظمها يقع ضمن ما يسمى (المناطق المتنازع عليها)[٣] .

---

١ . دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥

٢ . هادي حسين محسن ، المناطق المتنازع عليها في كتابات الضباط و السياسيين البريطانيين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد، العدد ١٠١،ص ١٥٤

٣ . د قاسم محمد عبد، مصدر سبق ذكره ص٢١٨

- تحديات موقع الجوار الجغرافي للعراق (الجوار الإقليمي) على الامن الوطني :

قبل الخوض في تحديات موقع الجوار الجغرافي لدول الجوار الإقليمي لابد من التذكير ان جميع دول الجوار وبلا استثناء قد دخلت في اتون نزاعات حدودية مع العراق او اختلاف في توزيع الموارد او في الرؤى تجاه مستقبل التوازنات في المنطقة , ورغم الاختلاف بين طبيعة نزاع واخر الا انها جميعا كان فيها العراق هو المستهدف , فالنزاع مع ايران والكويت يمثل اعلى مستويات النزاع وصولا الى المواجهة العسكرية في حين ان تركيا لاتزال تعلن وبشكال صريح عن مطامعها في العراق ,اما ما يتعلق بسوريا فان طبيعة الصراع قائم على أساس الاختلاف حول تقاسم المياه في بادى الامر حتى وصل الامر الى جفاف الفرات بسبب املاء سد الطبقة السوري في ذات الوقت الذي كان الصراع الأيدولوجياً بين الطرفين الحاكمين حول من يمثل البعث وبعدها تصاعد ملف الإرهاب الذي كانت سوريا تمثل طرفا فيه بعد ان أصبحت أراضيها من عام ٢٠٠٣ وحتى عام ٢٠١١ بمثابة محطة تأهيل وتدريب لها , الا ان السحر انقلب على الساحر حينما حوصرت دمشق من قبل تنظيمات جند الشام والقاعدة وداعش لتتغير دفة السياسة ولتصبح سوريا طرفا أساسيا في مكافحة الإرهاب . في حين ان الأردن لايزال يهدد بورقة عودة البعث وما حصل مؤخرا من الموافقة على افتتاح مقر للعث العراقي في عمان دليل على ذلك فضلا عن ان الغالبية العظمى من قيادات البعث والعناصر المناوئة للنظام القائم حاليا في العراق يجدون في الأردن الملاذ الامن لهم . اما السعودية فهي الأخرى تجد في العراق القوي تهديدا مباشر لمطامحها في قيادة المنطقة ولم تتوقف الا من فترة قصيرة جدا عن محاولتها لتقويض النظام القائم في العراق او على اقل تقدير عدم منحه الفرصة لالتقاط الانفاس .

وبالعودة الى الخصائص السمات الجغرافية و المعطيات المكانية التي تميز الدولة وتحدد علاقاتها في محيطها الإقليمي مع دول الجوار فأنها تشكل أهمية كبيرة في قدرة الدولة على مواجهة التحديات الخارجية ، و يرتبط بهذه الخصائص عدد من المؤشرات هي عبارة

عن نسب توضح مدى الضغوط الناجمة من الموقع المجاور ، والتي يمكن ان تتعرض لها الدولة جراء خصائص ذلك الموقع ، أي هي عبارة عن مقاييس نظرية تعطي للدولة دلالات بوجود تهديدات محتملة من دول الجوار ضد سيادة الدولة و كيانها الإقليمي[١] .

و يمكن اجمال هذه التحديات بما يلي[٢] :

١. ان الدول المجاورة للعراق هي (٦) دول و تختلف اطوال حدودها مع العراق لكن كمعدل عام فأن كل دولة من الدول يقابلها جزء محدد بنسبة مئوية من مساحة العراق الكلية مما يجعل التعامل امنياً وعسكرياً مع تلك الدول يحتاج الى تعامل خاص ولكل دولة على ضوء تلك المساحات .
٢. العراق حدودياً يعتبر دولة اقرب الى الحبيسة فمن مجموع اطوال حدوده مع دول الجوار و البالغة (كم٣٦٣١) في حين ان مجموع اطوال حدوده البحرية لا يتجاوز (٥٩كم)
٣. الفراغ السكاني في المناطق الحدودية اثر سلباً على طبيعة اعداد الدولة للحرب و اعداد مسارح العمليات.
٤. حجم السكان هو الاخر يميل الى دول الجوار خاصة تركيا وايران.
٥. ان العراق دولة شبه قارية حيث يشترك مع ستة دول وهذا ما يجعل احتمال تعرضها للخطر امر وارد لتعدد دول الجوار واختلاف نظرتها تجاه العراق لاسيما بعد مرحلة التغيير عام ٢٠٠٣.
٦. طول الحدود عامل خطر يهدد امن الدولة وخاصة اذا ما ترافق ذلك مع عدم وجود توافق سياسي مع دول الجوار وهذا ما يحصل الان مع تركيا وخروقات الدائمة .

---

[١] . محمد محمود إبراهيم الديب ، الجغرافية السياسية(منظور معاصر) ، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ،٢٠٠١ ص١٤١

[٢] . د قاسم محمد عبد، ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٠٩

- **الموقع الاستر اتيجي للعراق تاريخيا**

ساعد الموقع الجغرافي للعراق في تسببه بالكثير من الأحداث التاريخية، والتغيرات التي حصلت في هذا البلد، إذ منحه من مقومات القوة بقدر ما منحه من نقاط الضعف، وعلى الرغم من القدرات التي اكتسبها من موقعه والكفيلة بجعله متحكما في إقليمه، وقادراً على المستوى الدولي، إلا أنه أصبح في الوقت نفسه عرضة لأطماع الإمبراطوريات التوسعية، وهدفاً للغزوات وطريقاً لها على مر العصور والتاريخ"[١]. يقع العراق جغرافيا وحضارياً في نقطة الاحتكاك والالتقاء المكاني والزماني بين حضارات كبرى هي العربية الإسلامية والفارسية، والتركية( العثمانية ) وهو على حدود منطقة شهدت انقسامات اجتماعية وسكانية وصراعات كبيرة، أثرت في مسار علاقاته التَّاريخيّة، وأسهمت في تغيير مستمر لحدوده الجغرافية، وحددت شكل الروابط التاريخية للبيئة الإقليمية التي يقع ضمنها ؛ وعليه فإن موقع العراق أدى دورا لافتا في التأثير الكبير على تفاقم مشكلات وأزمات العراق مع دول الجوار في الماضي والحاضر، فالموقع الجغرافي العراقي، ومجاورته لست دول مختلفة السياسات والاتجاهات، وذات امتدادات حدودية ومائية وسكانية معه رتب عليه أن يتحمل الكثير من الضغوط التي تمارسها دول الجوار عليه ولا سيما في أوقات ضعفه [٢]ولا تعد أهمية الموقع الجغرافي ثابتة فهي : تتغير عبر الزمن ويرجع ذلك لتغير العلاقات الاقتصادية للدولة ولا سيما في التجارة الدولية فضلا عن تطور وسائط النقل، أو بسبب إيجاد طرق جديدة للمواصلات ونقل أقل تكلفة وزمناً للسلع والبضائع، وهذا ما حصل في العراق بعد ما كان بفضل موقعه الجغرافي المائي يعد حلقة الوصل التجارية بين دول الخليج العربي،

---

[١] . علي عبد الهادي المعموري , سياسة الامن الوطني في العراق , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت , ٢٠١٦, ص١١٣

[٢] . عباس فاضل السعدي , جغرافية العراق الإقليمية , مكتبة النهضة , بغداد , ط١ , ٢٠١٢, ص٢٢

ودول البحر المتوسط وأوروبا وآسيا، إذ تراجعت أهمية موقعه الجغرافي في عملية النقل بعد فتح قناة السويس، فبات هناك طريق بحري يبدأ من البحر المتوسط قناة السويس البحر الأحمر البحر العربي ومنها إلى دول جنوب وجنوب شرق آسيا، وهو أقصر بكثير من الطريق البري البحري السابق الذي تمثل بالبحر المتوسط أراضي بلاد الشام ، والأراضي العراقية، ثم مياه الخليج، والبحر العربي ومن ثم إلى جنوب وجنوب شرق آسيا، وبهذا احتلت مصر حلقة الاتصال الأولى بين الشرق والغرب .

كان العراق وبحكم موقعه الاستراتيجي عقدة الطرق للقوافل التجارية الصحراوية، غير أن اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في القرن الخامس عشر الميلادي ثم فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ قد قصر المسافات؛ مما أفقد العراق هذه الميزة، غير أنه احتفظ بأهمية موقعه جوا بموجب طريق الدائرة الكبيرة " Great circle Route" الذي يعد أقصر الطرق الجوية، إذ يربط أوروبا بالهند والشرق الأقصى .ويشكل العراق منطقة جغرافية استراتيجية مفصلية مهمة بحسب الرؤية الأمريكية وباحتلاله يكمل السيطرة على الشرق الأوسط، والأقصى، ويتم الحد من امتداد روسيا الاتحادية والصين في وصولها الى المياه الدافئة لتكونا بديل عن الوجود الأمريكي في الخليج العربي ، ويقيّد من انتشار المصالح الأوروبية في منطقة الشرق الأوسط خارج الحدود المرسومة له أمريكيا لاسيما التحرك الفرنسي وألماني في مجال خلق توازنات عسكرية في المنطقة والذي يقلق والى حد كبير الإدارة الامريكية ، ويقع العراق أيضًا على حدود دولتين مناوئتين لأمريكا وهما: إيران وسوريا وهما بشكل او باخر يعتبران مع العراق الخطر الداهم والدائم تجاه الكيان الصهيوني المتصدع حدوديا بسبب فصائل المقاومة الإسلامية والوطنية التي اثبتت قدرتها على تغيير معادلة الصراع التي كانت تميل وعلى مدى ٦٠ عام لصالح الكيان الصهيوني ، فضلا عن ذلك فان

العراق هو الأقرب إلى آسيا الوسطى لاسيما الدول الخارجة من العباءة السوفيتية ، ويعد حلقة الوصل بين الخليج وتركيا .

إن حساسية موقع العراق الجغرافي في قلب الشرق الأوسط جعلت المتغيرات الإقليمية، هي العوامل الأكثر فاعلية وتأثيراً عليه، إذ ظهر أنَّ الكثير من التفاعلات الداخلية لها بعدها الخارجي، وهي انعكاس مباشر لتفاعلات إقليمية تتدفّق من خارج حدود البلد، فلا يمكن للعراق وبحسب موقعه أن يتجنب تلك التأثيرات والتفاعلات مع الدول المجاورة كونه تشارك تاريخيا معها في تشييد الحضارات، وبناء الأمم ، مما جعل العراق جسراً لتبادل الثقافات مع المحيط العربي؛ لذا أصبح المجتمع العراقي يؤثر ويتأثر سلباً أو إيجابًا مع المجتمعات المحيطة به أكثر من بقية الدول العربية؛ لما تربطه من صلات ذات عمق تأريخي مع دول المنطقة، وله امتداد جغرافي واسع إذ يقع في جنوب غرب آسيا، وتحده ست دول هي تركيا من الشمال وإيران من الشرق، ومن الغرب تحده سوريا والأردن والسعودية، أما الكويت فتحدّه من الجنوب .[1]

ومن الملاحظ في هذه الدول هو اختلاف المجتمعات والأنظمة الحاكمة فيها، وكذلك اختلاف طبيعة التوجهات والميول، وقد كان للموقع الجغرافي العراقي تأثير سلبي وايجابي على دوره الإقليمي، إذ على الرغم من المميزات التي منحها الموقع والكفيلة بجعله قائدًا في محيطه بَيْدَ أَنَّه كذلك جعله عرضة للأطماع الإقليمية. وتبرز نظرية الموقع الاستراتيجي العراقي أهم محرض ودافع لاحتلاله عام ٢٠٠٣، فالعراق يطلُّ على الفضاء الآسيوي، ويجاور ثلاث دول من أهم دول المنطقة وهي تركيا، وإيران والسعودية؛ وهذا ما يجعل أي وجود عسكري لأميركا في بلاد الرافدين أمراً في غاية الأهمية على الصعيد الجيوستراتجي ولا سيما مجاورته لإيران،

[1] . فراس فاضل البياتي, الحرب والسكان دراسة تحليلية لأبعاد الحرب على السكان , دار غيداء للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠١٤, ص١٥

التي تمتلك موقعا جغرافياً مهما عبر الأزمنة التاريخية ، إذ إنَّها تمثل حلقة الوصل بين الشرق والغرب وهي بمنزلة ممر طبيعي للتجارة العالمية بين الشرق الأقصى وحوض البحر المتوسط؛ لذلك أطلق عليها اسم مفتاح الشرق، فضلا عن موقعها المطل على مضيق هرمز الاستراتيجي، وأضيفت إلى أهمية الموقع العراقي وقربه من إيران الاعتبارات السياسية والعسكرية والاستراتيجية الأمريكية التي ظهرت مؤخراً؛ نتيجة الصراع الأمريكي الإيراني، وعليه فإن دوافع احتلال العراق لم تكن بسبب نظرية النفط التي لا يمكن اعتبارها كعامل مؤسس لوحده لقيام الحرب على العراق عام ٢٠٠٣، وذلك أن رئيس النظام السابق كان مستعداً لإعطاء الشركات الأمريكية مكانة أوّلى في استغلال النفط العراقي مقابل رفع الحصار عنه، فضلا عن أن خسائر واشنطن في حربها على العراق فاقت أرباحها من التحكم المرحلي بالنفط العراقي.

لقد شكل الموقع الاستراتيجي المهم للعراق وثرواته الاقتصادية النفطية الهائلة مغنماً مهما للولايات المتحدة الأمريكية، التي أرادت أن تكون المسيطرة على العراق ونقطة انطلاق لترتيب معادلات الشرق الأوسط بحسب استراتيجيتها ومصالحها ، وأن يكون العراق ضمن فلكها، وداعماً لمخططاتها السياسات في المنطقة , ويحتل العراق حيّزاً من اليابسة في الكرة الأرضية له خصوصياته وتنوعه، وامتداده في جغرافية العالم، إذ تبلغ مساحته (١٦٨،٧٥٣) ميلا مربعاً ويعادل (٤٣٧ ٠٧٢) كيلو متراً مربعاً، بما فيها حصته بالتناصف بعد تقسيم منطقة الحياد المشتركة بين العراق والسعودية والكويت على مساحة (٣٥٢٢) كيلو متراً مربعا والتي حسمت عام ١٩٨١ ، والرقم المعتمد في العراق لمساحته هو (٤٤٦ ، ٤٣٨ ) كيلو متراً مربعًا ومن ضمنها (٩٢٤) كيلو متراً مربعا من المياه الإقليمية، ويكون بذلك أكبر مساحة من المملكة المتحدة بريطانيا، ويجتاز العراق نهرين معروفين، هما: دجلة والفرات، إذ ينبع كلاهما من الأراضي التركية، ويبلغ طول دجلة في الأراضي العراقية حوالي (١٤٠٠)

كيلو متر، بينما يبلغ طول الفرات داخل العراق ١١٦٠ كيلو متر، ويمر بسوريا قبل دخوله العراق . أما موقعه في البحار فإنه لا يمتلك سوى (٥٩) كيلو متراً من الساحل في الجزء الشمالي من الخليج العربي؛ وهذا ما يجعله من الدول شبه المغلقة ( الحبيسة ) التي يصعب عليها التواصل الخارجي عبر البحار، وأما موقعه على اليابسة فإنَّه يتوسط القارات الثلاث آسيا وأفريقيا، وأوروبا، والذي أعطاه ميّزة المحطّة الرئيسة للتجارة الدولية البرية وطرق الانتقال تاريخيا. من منظور الجيوسياسية و الجيوستراتجية والعلاقات الدولية فإنَّ العراق مع ما يمر به حاليًا من تبعات من الناحية الجيوسياسية نتيجة ضيق ممره المائي المؤدي إلى البحر وعدم السيطرة التامة على مناطق من حدوده مع تركيا وإيران، يبقى ذا قيمة جيوسياسية لافتة، وذلك لمركزيته في إقليمه وكونه عقدة الاتصال بين الأقاليم والأنظمة الجيوسياسية الفرعية، وأنه القناة الجافة التي تربط الاتحاد الأوروبي عبر تركيا بالخليج العربي، ثم البحر العربي، والمحيط الهندي ، وقد عزّزت من قيمته الجيوستراتجية الطاقة والمياه والأراضي الخصبة، فضلاً عن البعد الحضاري؛ مما دفع ذلك إلى أن يكون هدفًا للغزوات سواء من الشرق أم الغرب.

- مقومات العراق الجيوستراتجية

إنَّ إدراك الدول الكبرى لموقع العراق يتمثل في سعيها ضمن استراتيجياتها الخاصة للحصول على المكاسب من خلال الاستثمار في موارده الاقتصادية ولا سيما النفط والغاز، فضلا عن موقعه في قلب الشرق الأوسط وبين القارات الثلاث القديمة. وإن التغيرات والتطورات التي حصلت في النظام الدولي الجديد ما بعد الحرب الباردة الآن عززت الاهتمام الدولي بموقع العراق بشكل كبير في الجوانب الأمنية والسياسية والاقتصادية، "الأمر الذي سيؤدي إلى تصاعد أهميته في المستقبل القريب أو البعيد من خلال الجانب السياسي، والجانب الاقتصادي، والجانب الأمني الذي يتجلى اليوم في أخطر أشكال التعارض والتضاد

بين القوى الكبرى والمجاورة للعراق، المتنافسة نحو اتجاهات التحول في النظام السياسي الدولي، وموقع القوة العسكرية المؤثرة في الأحداث الأمنية الدولية، إذ أصبح احتلال العراق عسكريا في صلب الصراع والتنافس الدولي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية سنة ٢٠٠٣م، ومعارضة كل من روسيا والصين وفرنسا وألمانيا احتلال العراق.[١]

اما عن مقومات العراق الجير استراتيجية والتي سبق ان اوضحنا الجزء الأهم منها فأنها تتمثل بما يأتي :

١ - المقوم الجغرافي

٢ - المقوم الاقتصادي

٣ المقوم الديني والمذهبي

٤ - المقوم الأمني والعسكري

سنحاول تسليط الضوء بقدر تعلق الامر بموضوعة الدراسة على مقومين اساسين يمثلان الأهمية الاكبر في الجوانب الجيوستراتجية وهما المقوم الجغرافي والمقوم الأمني والعسكري وبالتأكيد فان باقي المقومات وهما الاقتصادي والديني والمذهبي ورغم اهميتهما فان هنالك من الباحثين من سيسلط الضوء عليهما بشكل تفصيلي

- المطلب الأول: المقوم الجغرافي

كان ولا يزال العراق بموقعه الجغرافي يمثل محورا أساسيا في الدراسات الجيوبولوتيكية؛ لأن الجغرافية لأي بلد ما تلعب دورًا مهمًا في رسم سياسات الدولة من حيث البناء الداخلي، وكذلك على الصعيد الخارجي مع الدول المجاورة لحدودها الجغرافية. والعراق يتمتع بموقع جغرافي سياسي محوري بين هذه الأطراف المتصارعة على منطقة

[١] .علي لطيف محمد القريشي , العراق ف الادراك الاستراتيجي الإيراني , دار ومكتبة عدنان , بغداد , ط١ , ٢٠٢٢, ص ٣٢

الشرق الأوسط الكبير ويُعد الموقع الجغرافي عند الباحثين المختصين لأي بلد من أهم المقومات الجيوستراتجية التي يُعتمد عليها في تقويم قوة هذه الدولة أو تلك؛ تأثيره الواضح في سياسة الدولة ومستقبلها؛ ولأنَّ الموقع الجغرافي هو الأساس في التحليل الجغرافي السياسي لأي كيان سياسي قائم. ولقد عبر الجغرافيون السياسيون عن الموقع الجغرافي وأهميته الاستراتيجية بثلاثة طرق هي :

١ - الموقع الفلكي

٢ - الموقع الأرضي

٣ - الموقع الإقليمي

ومن منطلق هذه الأبعاد الثلاثة احتل العراق مرتبة بالغة الأهمية في سياسة النفوذ والاستقطاب العالمي، ولأهمية العراق الاستراتيجية بين بلدان الشرق الأوسط الكبير أصبح الموازن الإقليمي بين هذه السياسات المتناحرة على أراضيه، وقد لعبت هذه المضامين والمقومات الجيوسياسية لموقع العراق بعدا استراتيجيا مهما، ، حيث ان لموقع العراق تأثير في مصالح وأمن دول الجوار الإقليمي في سلمها وحربها.

- موقع العراق والتأثير الإقليمي

إن الموقع الجغرافي المتميز للعراق يؤهله لدور إقليمي بارز في محيطه غير أن الجغرافيا إلى جانب هذه الميزة الفريدة حملته أعباء كثيرة في ذات الوقت، فالدور له إغراء في العلاقات السياسية الدولية، وكلما ارتقى مستوى هذا الدور ساعد في رفع المكانة السياسية للدولة، ولكن لهذا الدور كلفة تتطلب من الدولة تراكم دائم لإمكاناتها ، وتأهيل مستمر لها، حتى تتكافئ مع تبعات الدور السياسي في اداء الواجبات السياسية، وتنفيذ لإدوار مخططة؛ وعليه فإن دور العراق بات في مأزق، إذ أمام مميزات الدور المغرية هناك في

المقابل بيئة إقليمية ترفع من شأن كلف تطويعها، ولا سيما أنَّ لبعض دول الجوار طموحات وأدوارًا تصطدم مع ما تصبو إليها الدولة العراقية نظراً إلى الاختلاف القومي والسياسي مثل السعودية وتركيا وإيران، وللبعض الآخر تحالفات سياسية دولية تمكنها من الحصول على إمكانات وموارد، فضلا عن إمكاناتها الذاتية، مثل: تركيا، ودول مجلس التعاون الخليجي. وبسبب الموقع الجغرافي فإن إيران وتركيا من أكثر دول البيئة الإقليمية تأثيراً على السياسة العراقية، وليست هناك مقايسة بين تأثيرهما بالقياس إلى الدول العربية المجاورة للعراق، ويشعر بضغط ذلك صناع القرار، وكلّما اشتدت الخلافات والتنافسات والمشكلات السياسية في العراق ظهر التأثير الواضح لكل من إيران وتركيا، إحداهما أو كلتيهما على الأوضاع السياسية العراقية، وهناك أحداث تاريخية مفصلية شاهدة على ذلك منها عام ١٩٧٥ حينما دعمت إيران في عهد الشاه رضا بهلوي المعارضة الكردية المسلحة ضد النظام حزب البعث المنحل آنذاك، والتي انتهت بمساومة عبر اتفاقية الجزائر وبموجبها قدم العراق تنازلات عدة من أراضيه ومياهه ولا سيما في شط العرب، ومنها الموقف التركي بعد عام ١٩٩١ وتسخير قاعدة "إنجرليك" للطائرات الأمريكية والبريطانية والفرنسية لانتهاك سيادة العراق، والاجتياح التركي المتكرر للحدود والاستقرار في قواعد ومعسكرات داخل الأراضي العراقية، وبناء نقاط ارتكاز في الشريط الحدودي في الجانب العراقي، وإن التماس الجغرافي لإيران يعد الأوسع بحدود طولها (١٣٠٠) كيلو متر بالمقارنة مع تركيا؛ مما يوفر إمكانيات كبيرة للتأثير سلباً أو إيجاباً على العراق، وعلى جميع الأصعدة، ولكن الأمر لا يقتصر على دور العوامل الجغرافية لإيران ثم تركيا في التأثير على العراق وسيادته ولاستيلاء على أراضيه، إذ إنَّ هناك أراض حدودية عراقية قد ضمت إلى كلٌّ من الأردن والسعودية ولا سيما في منطقة الحياد الغنية بالمعادن، وإن إصرار الكويت على التمسك بالحدود الجديدة مع

العراق التي رسمت على وفق قرار (٨٣٣) في ١٩٩٣ الصادر من مجلس الأمن الدولي. دليل آخر على تعامل دول الجوار الجغرافي مع الحدود العراقية وقضمها.[١]

أن العلاقة بين العراق ودول الجوار الجغرافي تخضع المجموعة حقائق تشكل قاعدة أساس تترسخ منها الحقيقة الجغرافية بما تشير إلى تداخل الأراضي بينها، وما تعكس من موارد جغرافية مشتركة كالمياه وموارد الطاقة الأخرى كالنفط والغاز إن المهتمين بالشؤون الاستراتيجية للدول يعدون العراق أحد أهم مفاصل التحكم في منطقة الشرق الأوسط، ومن خلالها بالعالم ليس بسبب موارده النفطية إذ أكد ديك شني نائب الرئيس الأمريكي الأسبق أنه يجلس على ١٠٪ من احتياطات النفط العالمية. وكان للأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة الشرق الأوسط دور بالغ في تطويع حقائق الجغرافيا بحسب المتطلبات السياسية والبشرية، وإن سقوط الدولة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى أدى إلى رسم الحدود في المنطقة بموجب اتفاقيات سرية بين الدول المنتصرة وهما: بريطانيا وفرنسا على أساس اتفاقية (سايكس بيكو) المعروفة ومع ظهور الدولة العراقية الحديثة إلى الوجود عام ١٩٢١ أصبحت محاطة بالدول العربية بنسبة حدود ٥٢ % ، ومع دول غير عربية بنسبة حدود ٤٨٪ . وإن العلاقات العراقية الإقليمية لها أبعاد استراتيجية غاية في الأهمية إذ يفرض الموقع الجغرافي محدّداته على تلك العلاقات.

يبرز العراق انموذجا شاخصا بين الدول في تدخل الموقع الجغرافي لتوجيه استراتيجيته العامة، وإنَّ الأحداث السياسية الداخلية من ثورات و انتفاضات و انقلابات واضطرابات على الساحة العراقية في مجملها تحمل الكثير من التأثيرات الوافدة بسبب هذا الموقع على سياسة العراق الداخلية والخارجية، وقد شكلت دول الجوار العربية الإسلامية المكوّنات

---

[١] . حسين حافظ وهيب , العراق ودول الجوار , دراسة في الفاعلين التركي والإيراني , مجلة الدراسات الدولية , مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية , العدد ٣٣ , بغداد , ٢٠٠٧, ص ٣٤

الجغرافية الأكثر تدخلاً في العراق بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، إذ تحول العراق إلى مجال حيوي للتنافس الإقليمي والصراع الدولي عليه، وقد تمت الاستفادة في ذلك من الانقسام الداخلي في الواقع السياسي العراقي، الذي فتح شهية دول الجوار العربية وغير العربية لممارسة لعبة الأمم والتنافس على النفوذ على تفاوت في الأدوار، وقوة التأثير، وحجم التدخل في الشأن الداخلي للبلد".[١]

أثرت العوامل الجغرافية على الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية في العراق، وجعلته محاطًا بدول ذات طموحات إقليمية مثل: إيران وتركيا والسعودية، والتي تعمل على تهميش الدور العراق الإقليمي، ومع أهمية موقع العراق الاستراتيجي هناك تبعات وكلف باهظة تحمله بسبب هذا الموقع، فالعراق منذ ظهوره كدولة حديثة أصبح يخسر جزء من أراضيه، ويقضم من حدوده من قبل جيرانه؛ بسبب الحروب، والأزمات والأطماع التوسعية، ولأن العراق بلد شبه قاري فإن أغلب وارداته وصادراته تمرآن من خلال بلدان الجوار، وهذا يشعل التنافس فيما بينها على العراق، واستغلاله، وتسعى كل دولة إلى أن تحظى بحصة الأسد من ذلك مما يتطلب مهارة فائقة في توزان علاقاته أقل استفادة من العبور ستعمل على العبث بالأمن والاستقرار الداخلي؛ ومما ضاعف سلبية تأثير العوامل الجغرافية هو عدم وجود استراتيجية بعيدة المدى لتطويع حقائق الجغرافية للتغلب على منعكساتها السلبية .

كان الصراع على الحدود سبباً في نشوب حروب مدمرة لسنوات طوال بين العراق وإيران، وفي أثناء غزو الكويت، وإنَّ المشاريع المطروحة للتغلب على تداعيات الموقع شبه القاري لا تزال تصورات حالمة، ومكلِّفة ماليا، وصعبة تنفيذيا، مثل: مد الخليج حتى مناطق

[١] . مالك دحام متعب , قراءة سياسية في علاقات العراق الخارجية مع دول الجوار , مجلة السياسة الدولية , العدد ٢٣ ٢٠١٣, الجامعة المستنصرية , ص ٩٠

الجنوب العراق إلى حدود الناصرية والسماوة، أو فتح قناة من البحر المتوسط عبر سوريا إلى العراق ثم الخليج، ويمكن اعتماد القناة الجافة بين الخليج، وأوروبا وآسيا الوسطى عبر العراق لتكون عاملاً على ربط الدول بمصالح متشابكة.

- حدود العراق والدولة الحبيسة:

تبلغ حدود العراق مع تركيا في الشمال (٣٧٧) كيلو متراً، وأكثرها سلاسل جبلية، وأما حدوده في الشرق مع إيران فتمتد (١٢٠٠) كيلو متراً، وتعد عبارة عن جبال، وسهول، فضلاً عن مياه، وللعراق حدود مع أربع دول عربية ، من الغرب مع سوريا والأردن، ومن الجنوب الكويت والسعودية، ويبلغ إجمالي حدوده مع تلك الدول العربية(١٧٨٥)كليو متراً إذ إن طول حدوده مع السعودية (٨١٢) كيلو متراً ومع سوريا (٦٠٠) كيلو متراً ، ومع الكويت (١٩٥) كيلو متراً ، ومع الأردن (١٧٨) كيلو متراً . ا، مع (٦٠) كيلو متراً حدوداً مائية على الخليج العربي. إن الحدود الطويلة للعراق مع كلٌّ من إيران وتركيا تتيح لهما التأثير على الأوضاع في بلاد الرافدين، وتيسّر تدخلهما بشؤونه ، وهذا ما حصل بنحو جلي بعد عام ١٩٩١، لأسباب داخلية عراقية وأخرى تتعلق بالمتغيرات الدولية والإقليمية، إذ كانت مجاورة الاتحاد السوفيتي سابقًا لهاتين الدولتين تركيا وإيران دورًا في توجيه سياستهما الخارجية؛ بسبب التوجس منه، والتركيز على خطره على أمنهما القومي واستقرارهما؛ مما دفعهما إلى الانضواء تحت مظلة الغرب والحصول على حمايته، وتعطيل بعض أدوارهما الإقليمية، إذ أصبحت تركيا جزءً من الحلف الأطلسي عام ١٩٥٢، وإيران الشاه كانت حليفة قوية لأمريكا والغرب وتحظى بالرعاية منها غيرا أنَّه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ زال ضغط هذه القوة العظمى عن الدولتين، وتفككت إلى دول صغيرة وضعيفة؛ مما أعطى لهاتين الدولتين إيران وتركيا حرية التحرك ومركزاً وقوة وأدوارًا في أحداث المنطقة، ولا سيما تجاه العراق عقب غزوه الكويت، وبعد أن استنزفته الحروب المتتالية ،

وخروجه مهزوماً ضعيفًا يرزح تحت وطأة العقوبات والقرارات الدولية المقيدة لدوره في البيئة الإقليمية .

إن جزء كبيراً من الحدود العراقية مع إيران قد رسمت بموجب معاهدات بين الدولة الفارسية والدولة العثمانية. وبعد ظهور الدولة العراقية الحديثة لم يحسم ملف الحدود بنحو نهائي، وكانت المشاكل الحدودية العراقية الإيرانية من أهم أسباب التوتر في العلاقات بين البلدين، ولعل حرب ثماني سنوات ١٩٨٠ - ١٩٨٨ خير شاهد على ذلك، ولا تزال مسألة الخلاف الحدودي من الملفات العالقة بين الدولتين، وعلى الرغم من استقرار الحدود مع تركيا وعدم وجود مشكلة على هذا الصعيد، ولكن بين مدة وأخرى تبرز في الإعلام التركي إثارة مسألة عائدية ولاية الموصل. مع أن الأمر حسم بموجب اتفاقية أنقرة ١٩٢٦ بين تركيا وبريطانيا، والمملكة العراقية.أما الحدود مع الدول العربيَّة: السعودية والكويت، والأردن وسوريا، فقد تم رسمها على الخريطة أثناء تقاسم المشرق العربي بين البريطانيين والفرنسيين، وسويّت الخلافات الحدودية كافة مع الدول الثلاث السعودية، والأردن وسوريا بموجب اتفاقات ثنائية نهائية، مع الأردن عام ١٩٨٠ ، ومع السعودية ١٩٨٩.وكانت المشكلة الكبرى في الحدود مع الكويت التي لم تنته إلَّا بعد غزوها عام ١٩٩٠ ، وثم تحريرها بعملية سميت بعاصفة الصحراء من قبل قوات التحالف الدولي التي شاركت فيها ٣٣ دولة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وفي أعقاب ذلك فرضَ ترسيم جديد للحدود بين العراق والكويت عام ١٩٩٣ بموجب قرار مجلس الأمن رقم (٨٣٣)، واستنادًا إلى القرار الأممي رقم (٦٨٧) في نسيان ١٩٩١ والذي يعد من أهم القرارات الخاصة بمعالجة آثار الغزو, وهكذا أصبح العراق من خلال حدوده الجديدة دولة شبه قارية بعيدا عن خطوط الملاحة الدولية ما عدا ساحل ضيق على الخليج لا يتجاوز طوله (٥٩) كيلو متراً يمتد من رأس البيشة إلى أم قصر، وإن هذا الانحسار البحري والقناة الضيقة ستدفع بالسكان في نشاطهم الاقتصادي إلى التركيز على الطرق البرية وبالتالي الاعتماد على دول الجوار في

الوصول إلى الموانئ البحرية سواءً في الاستيراد أم في التصدير، وقد عرفت هذه الدول كيف تستغل حاجة العراق الماسة إلى موانئها وطرقها، وتضغط بذلك اقتصادياً وسياسياً عليه، وكذلك أثر محدودية منفذه البحري على سياسته وعلاقته الخارجية، فضلا عن طبيعة جيشه وتشكيلاته التي ركزت على القوات البرية بدلاً من الأساطيل والقوة البحرية , وتبين من خلال ما تقدم أنَّ للموقع العراقي تأثيراً سلبياً على علاقاته الإقليمية والدولية، وكان السبب في التدخل في شؤونه الداخلية وإحاطته بقوى إقليمية كبيرة ذات طموحات توسعية سيجعل العراق في حالة شد وتوتر في علاقاته الخارجية وعدم استقرار أوضاعه الداخلية، وأن التغلب على هذا العامل المعيق يتطلب سياسة حكيمة وعلاقات متوازنة وتشابك اقتصادي وتطوير سلة مصالح مع دول الجوار.

اطوال الحدود بين العراق ودول الجوار الإقليمي

| الدولة | الطول بالكيلومتر | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| الاردن | ١٧٨ | 5,14 |
| الكويت | ١٩٥ | 5, 63 |
| سوريا | ٦٠٠ | 17, 33 |
| السعودية | ٨١٢ | 23, 45 |
| تركيا | ٣٧٧ | 10, 90 |
| ايران | ١٢٠٠ | 37, 55 |
| المجموع الكلي | ٣٤٦٢ | ٪١٠٠ |

**الجدول من اعداد الباحث وبالرجوع الى ما هو مثبت في قيادة قوات الحدود / وزارة الداخلية حتى حزيران ٢٠٢٣**

## المبحث الثاني

## التوازنات الإقليمية والدولية القائمة في المحيط الإقليمي العراقي

قد يكون النظام السابق القائم في العراق سببا أساسيا في اندفاع العديد من الدول باتجاه البحث عن التوازنات والتحالفات سواء على المستوى الإقليمي او على المستوى الدولي اذ انه وخلال سنوات حكم البعث الممتد من عام ١٩٦٨ وحتى عام ٢٠٠٣ لاسيما الفترة التي قاد فيها صدام الحكم والتي بدأت من صيف عام ١٩٧٨ كانت حبلى بالصراعات ومحاولات الاستفزاز والتصعيد ومحاولة استظهار واستعراض القوة والتلويح باستخدامها مع تصعيد اعلامي من قبل النظام على انه هو من يقود الوطن العربي والقومية العربية كبديل لمصر الداخلة لتوها تحت عباءة( اتفاقات كامب ديفيد) وانه يمثل لواء المواجهة مع الكيان الصهيوني دون ان يحرك ساكنا بهذا الاتجاه عدا مشاركته في حرب تشرين عام ١٩٧٣ , ودعم لا محدود لكتائب كميل شمعون اثناء الحرب الاهلية اللبنانية , وصولا التي التصعيد العسكري الذي وصل الى مستوى اعلان الحرب مع ايران التي لاتزال في وضع غير مستقر بعد سقوط الشاه وإعلان الجمهورية الإسلامية , بعد ان الغى النظام الذي سبق لرئيسه التوقيع على اتفاقية الجزائر هذه الاتفاقية ليخوض حرب مدمرة دامت قرابة لثماني سنوات أدت الى تراجع عام في كل مستويات التقدم في العراق مع مئات الالف من الخسائر البشرية ومديونية فاقت في ارقامها الفلكية مجموع موازنات العراق لأكثر من عشر سنوات , هذا السلوك دفع الجميع حتى أولئك المؤيدين للنظام الى التوجس من سلوكياته العدوانية واوجد مئات الذرائع للدخول في احلاف وتكتلات وتوازنات أدت الى ظهور اقطاب متنافرة ضمن المحيط الإقليمي للعراق .

- مفهوم توازن القوى والعلاقات الدولية

إن فهم العلاقات الدولية على ضوء توازن القوى بدأ منذ أكثر من (٥٠٠) سنة مضت، وهو من أكثر المفاهيم والنظريات التي يتم تناولها في الكتابات السياسية المعاصرة، التي بواسطتها يمكن معرفة الخصائص الأساسية للعلاقات الدولية مدى علاقتها بتوازن القوى ، وذلك أن توازن القوى يمتلك العناصر الأساس التي تتطلبها معرفة مرونة النظام الدولي المعاصر للدول الذي بات ومنذ نهاية الحرب الباردة في حالة تغير دائم ميالا اكثر من ذي قبل نحو التوازنات ذات الاتساع الانتمائي من حيث اعداد الدول مثل ما حصل للانساف كتجمع عسكري لمواجهة الإرهاب في أفغانستان و ما يحصل الان للبرنكس ، ومثل هذه التوازنات توفر الأسس التي تساعد على الفهم الشامل للعلاقات الدولية وإن جوهر نظرية التوازن يتجسد في مفهوم موازنة هيمنة الدول.[١]

- مفهوم التوازن

التوازن هو حالة من التعادل أو التكافؤ النسبي بين مجموعة من المتغيرات المترابطة في النسق الدولي، ويعني التساوي في القوة بين دول سواء كانت قوة اقتصادية أو تسليحية أو سياسية، مما تجعل سلوك الدول مع بعضها البعض يتسم بالمرونة والتفاهم وتقبل اللجوء للوسائل السلمية في التعامل عوضا عن الدخول في صراعات وحروب , والتوازن يتحقق سواء على المستوى الدولي أم الإقليمي حينما تصدر عن قوة كبرى مؤشّرات تدل على محاولة السيطرة على النظام الدولي أو الوضع الإقليمي؛ وهذا سيدفع قوى كبرى أخرى إلى أن تتحالف من أجل حماية أمنها الخاص عبر بناء قوّة مقابلة للتوازن مع القوة الأولى الطامحة بالسيطرة، وأنَّ جميع القوى تدرك أنَّه سيكون هناك رد فعل تجاه أيه مجازفة تهدف إلى السيطرة ؛ وعليه تحجم عن بناء قوة هائلة مسيطرة ضمن النظام الدولي

[١] . ريتشارد ليتل , توازنات القوى في العلاقات الدولية , دار الكتاب العربي , بيروت , ط١, ٢٠٠٩, ص ١١

أو الإقليمي؛ وبهذا فإنَّ توازن القوى مثل في طبيعته التطبيقية ومبتغاه الجيوستراتجي قانوناً ذاتي التحقيق، وفضلا عن ارتباط توازن القوى بالتحالفات المضادة للسيطرة، فهو مرتبط أيضًا بفكرة أنَّ الدّول معتادة على السعي للحفاظ على أمنها وتعزيز مصالحها عبر التعاون وتظافر الجهود فيما بينها.

فاذا تحالفت عدة دول من أجل تعزيز مصالحها المشتركة فإنَّه وحسب فرضية توازن القوى تقتضي بالضمن إن دولاً أخرى لا تقف مكتوفة الأيدي بل تشكل تحالفًا مضادا او مقابلا ؛ وهنا وبدلا من تأسيس تحالف ضد الطامح بالسيطرة، سيكون هناك تحالفان متنافسان يقيمان توازن القوى إن توازن القوى التقليدية الذي استمرّ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية تأسس على فكرة مفادها العمل باتجاه المنع أو الحد من محاولة إحدى الدول أو مجموعة منها أن تعمل على تنمية قدارتها الذاتية بنحو يفوق قدرات غيرها من الدول الأخرى؛ بغية الحفاظ على استمرارية الوضع الراهن، ويرى الباحثون في في الشأن الدولي الاستراتيجي أنَّ التوازن هو السياسة التي لا تسمح أن تمتلك دول ما قوة تجعل جيرانها من الدول في عجز عن الدفاع عن مصالحها الحيوية بموجبها ، بينما هناك من يرى بأن التوازن ( تعادل أو قدر نسبي من الاستقرار في العلاقات الدولية بحيث ينبثق تحت أوضاع ملائمة من تحالف دول أو من ترتيبات وأدوات أخرى، في حين يرى البعض الاخر من الباحثين التوازن بأنه الحالة التي تمتاز بالتوزيع المتوازن أو شبه المتوازن للقوة والتأثير بين القوى الأساس داخل النظام السياسي الدولي، أو أنظمة سياسية فرعية إقليمية فقط، وأثر ذلك في بناء التكافؤ في العلاقات المتبادلة فيها بينها). [1]

[1] . فراس محمد الجحيشي , التوازنات الاستراتيجية في ضوء بيئة متغيرة , الاكاديميون للنشر والتوزيع , عمان , الأردن , ط١, ٢٠١٤, ص ١٠٢

إن توازن القوى نتيجة حتمية لظاهرة الصراع الدولي، والصراع ليس أمرا طارئًا في حياة الدّول بل ملازم لها، وجزء من طبيعة الدولة وهو بمنزلة غريزة البقاء وأكسير حياة الدّولة ، فما من دولة نشأت إلا كانت غايتها الدائمة . زيادة قوتها ونفوذها إلى أقصى درجة ممكنة، وليس هناك ما يسمى بالدولة العاقلة التي تقتنع بما عندها من قوة، فهي إن رضيت بما لديها فإنّها تضع نفسها تحت رحمة سلطان الدول الأخرى، وبما أن الصراع يعد ظاهرة طبيعية فمن البديهي أن تصل عدة دول إلى غايتها نسبيًا بحيث تبلغ حداً من القوّة المتقاربة، فيتشكل فيما بينها توازن القوى الذي ينبثق منه النظام الدولي أو النظام الإقليمي الفرعي. وإنَّ التوازن ذو طبيعة حركية غير جامدة، فالأطراف التي تشكله تبقى متصارعة وراغبة في التفوق، ولكن تعادلها النسبي في القوى يقتضي منها الالتزام بطريق معين، وتسعى كلُّ دولة إلى زيادة قوتها بطريقة غير محسوسة حتى لا تستفز الآخرين، وإن أهم وسيلة لزيادة القوة هي سياسة التحالف، وهذا ما يجعله توازناً حركيًا؛ وعليه فإن التوازن هو حالة من التوزيع المتعادل وشبه المتعادل للقوة، والتأثير بين القوى الدولية الأساسية أو الإقليمية الرئيسة، وهذا التوزيع يخلق نظاماً دولياً يجعل هذه القوى المؤثرة تتصرف في ضوء مجموعة من القواعد المحددة بما يحفظ الاستقرار الدولي، ويحافظ على وجود الأطراف الأساسية في زمن التوازن .[١]

إن توازن القوى التقليدي ينبغي أن يتوافر على شروط وخصائص من بينها، ما يلي :

١ - وجود عدد من القوى الدولية أو الإقليمية.

٢ - وجود قواعد أو آلية تتحكم بالتفاعلات الدولية في حالة التعادل أو التكافؤ.

٣ - وجود نوع من الاستقرار النسبي بين القوى المتكافئة.

٤- وجود توزيع متعادل أو شبه متعادل لمصادر القوة بين القوى الدولية.

---

[١] . إبراهيم أبو خزام , الحروب وتوازن القوى , دار الكتاب الجديد , القاهرة , ط١, ٢٠٠٩, ص ٦٧

أما المفهوم المعاصر للتوازن فانه التوزيع المتعادل أو شبه المتعادل لجميع مفردات القوة الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية بين دولتين او أكثر, ينبثق عن نوع من التحالفات الإقليمية والدولية، ويساعد في حالة السلم والاستقرار وضمان المصالح المشتركة والابتعاد عن ساحة الصراعات والحروب، وبهذا المعنى أصبح التوازن ينطوي على عناصر اقتصادية وتكنولوجية، فضلا عن اعتبارات القدرة في مجال تعزيز التجارة والاستثمارات وتكنولوجيا المعلومات ووسائل نقلها والدفاع عن العلاقات حقوق الإنسان والبيئة، وذلك لزيادة أهمية هذه العناصر في ا الدولية، ومواكبة المتغيرات والتحولات الهائلة بعد الحرب العالمية الثانية وانتهاء الحرب الباردة .

- السيادة الاستراتيجية وتوازن القوى

السيادة Supremacy هي كلمة إنكليزية الأصل تم اشتقاقها من الكلمة اللاتينية (Supremus) والتي تعني ( أعلى مراتب السلطة والنفوذ). وجاءت كلمة السيادة (Supremacy) في قاموس أكسفورد لتعبر عن "الحالية أو ظرف يتفوق على الآخرين في النفوذ والسلطة", والسيادة في اللغة العربية من ساد سيادة وسؤددا وسيدودة وسودا: شرف و مجد وقومه : صار سيدهم ومتسلطاً عليهم. استخدم مصطلح السيادة الاستراتيجية في مجال الاعمال ويعني أن الفوز في مجال الاعمال و يتطلب انماطا خاصة من القوة، التي لا تعكس فقط ابراز المساحة الخاصة به، وانما للتأثير في المواقع والمناورة، وهذه القوة تعطي القدرة على تحديد مجال المنافسة كوسيلة للتغلب على الفوضى والنماذج العالمية الملائمة، فهذه القوة تسمى بالسيادة الاستراتيجية ويوفر مفهوم السيادة الاستراتيجية نظرة موحدة عن الاستراتيجية، وكذلك القدرة على تأسيس قواعد اللعبة في أي نقطة معطاة من الزمن، ونشوء السيطرة هي جزء من السيادة الاستراتيجية، وتحدد

المنظمة ذات السيادة الاستراتيجية القواعد باستعمال نماذج مختلفة من الفجوات . ويتمثل جوهر السيادة الاستراتيجية في أن الكفاءات الأساسية والتميز التشغيلي والقيمة الفريدة قد يكون أساس لنجاح واستدامة استراتيجية لكن هذا ليس كافيا فيما يتصل بالمنظمة او الدولة لكي تكون ناجحة، ومؤثرة على المدى البعيد وإنما ذلك يتطلب منها استراتيجية للقوة (النفوذ)، وان توازن القوى هو الشي الوحيد الذي سيأتي بالاستمرارية والابتكار والكفاءة على مستوى المنظمة او الدولة وعلى مستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والأمني والعسكري ، وتهدف استراتيجية القوة التي يتم تطويرها من خلال السيادة الاستراتيجية إلى قوة سليمة تصب في مصلحة المجتمع، وليست القوة المدمرة التي ينجم عنها دخول حروب ستؤدي لاحقا .

- التوازن وفق مستجدات ما بعد الحرب الباردة

يكشف لنا التاريخ أن الخطر الذي يهدد استقلال هذه الأمة أو تلك يأتي عامة أو إلى حد ما- نتيجة للهيمنة المفاجئة لدولة مجاورة تتمتع بقوة عسكرية وكفاءة اقتصادية وطموح لتوسيع حدودها أو نشر تأثيرها، ويتناسب الخطر بشكل مباشر مع درجة هذه القوة وكفاءتها القتالية والعسكرية وحتمية" طموحاتها والضابط الوحيد لسوء استغلال الهيمنة السياسية الناتجة عن مثل هذا الوضع كانت تتمثل دائماً في وجود معارضة من منافس كبير مكافئ لها، أو من تحالف بين عدد من الدول تشكل كتلة دفاع واحدة. ويعرف التوازن الذي يتحقق عن طريق مثل هذه القوى المتجمعة من الناحية الفنية بتوازن القوى , كما يعرف على انه ترتيب الأمور بحيث لا تكون أي دولة في وضع يسمح لها بالهيمنة المطلقة على الآخرين .. يعمل توازن القوى بشكل عام على إبقاء متوسط قوة الدول منخفضًا , كما يشير توازن القوى إلى الوضع الفعلي للشؤون التي يتم فيها توزيع السلطة بين عدة دول بالتساوي على وجه التقريب. المبدأ الأساسي للتوازن... هو أن تتجه جميع القوى غير المهددة

إلى التدخل إلي صالح الجانب الذي يبدو أنه معرض للخطر في الحرب الدائرة للتأكد أن الخاسر لم يتم إزاحته من النظام نهائيا، بل تم استيعابه في النظام الناشئ .[١]

- موازين القوى والأحلاف الدولية

يأتي تحليل علاقات القوة عبر تحليل دور القوة في العلاقة الثنائية بين دولتين أو عدة دول، أو تحديد اتجاهات تأثيرها في صراع ما، وهو لا يتوقَّف على حجم عناصر قوة طرف واحد ونوعيتها، وإنما على شكل ميزان القوة بين قدرات الطرفين ومضمونه. فالقدرات التي تمتلكها دولة من الدول مقارنة بقدرات الدول الأخرى، تعتبر من العناصر الأساسية في عملية التفاوض أو المساومة التي تشكل جوهر صدام الإرادات الدولية وحوارها. فأهمية موازين القوة كمفتاح لفهم التفاعلات الدولية تأتي من عدم وجود قواعد ملزمة وأدوات تنفيذية عامة في معظم فترات التاريخ تحكم علاقات الدول، مثل القوانين داخل الدول، فالمخالفة أو الجريمة داخل الدول تواجه بالعقوبة، أما على المستوى الدولي فذلك لا يحدث إلا في حالات استثنائية لا يمكن الركون إليها، فالدول قد قد تستخدم نوع من أنواع القوة المفرطة كالقصف مثلا ضد الأطراف الأخرى، أو تحاصرها اقتصاديًا، وربما تغزوها، من دون أن تجد بالضرورة ما يوقفها وقد تختلق اعذار او مبررات لذلك كما حصل بين ايران والعراق او العراق والكويت او ما يحصل حاليا بين روسيا وأوكرانيا .

إلا أن العقود الأخيرة شهدت تحولاً بارزًا لاسيما بعد نهاية الحرب الباردة التي تشكَّلت فيها أسس العولمة، والتي شهدت نوعًا من التبلور لما يسمى مجازًا قواعد لعبة تحيط بسلوكيات الدول، وتنظِّم بعض أنماط علاقاتها في ظل قيم عالمية كالتدخل الإنساني والأمن الجماعي، وضبط التسلح والاعتماد المتبادل. لكن انضباط العلاقات الدولية لم يصل إلى الدرجة التي تجعل من العالم أشبه بدولة ذات حكومة مركزية فلا تزال القوة تستخدم استنادًا على رؤى الدول لمصالحها الخاصة، ولا يزال من المتعذِّر الاستناد على نوايا الآخرين أو أخلاقياتهم، وبالتالي ظلَّت قدرات الدول هي المعيار الأكثر استقرارًا. وتأتي في هذا السياق أهمية موازين

[١] . مالك شيهان , توازن االقوى التاريخ والنظرية , المركز القومي للترجمة, القهرة , ط١ ٢٠١٥ , ص١٣

القوة التي تتحكَّم بالتفاعلات بين الدول في إقليم معيَّن أو على المستوى الدولي، إذ أنها مفهوم متعدِّد الأبعاد ويستخدم في ظل عدم وجود تعريف دقيق، فيشير بعض التعريفات إلى ان التوازن هو نمط توزيع القوة بين أطراف إقليم معيَّن، أو في النظام الدولي، ويستخدمه بعض الكتابات بمعنى توازن القوى الذي تحكمه نظريات وقواعد معقدة تتصل بالتحالفات أو التحالفات المضادة التي تقوم بها الدول لمنع الهيمنة والحفاظ على الاستقرار. وبعيدًا عن المعنى الأخير، يمكن رصد أهم الإشكاليات المتصلة بموازين القوة في أمرين أساسيين:[1]

- الأولى: مستويات علاقات القوة بين الدول. فعناصر القوة المقارنة للدول تطرح بشكل عام كمستوى لقدراتها الشاملة ولقدراتها العسكرية ومن أبرزها:

١ - مفهوم التوازن الاستراتيجي: ويقصد به العلاقة بين محصلة القوة لأطراف علاقة دولية ما، وهو بهذا المعنى يتخطَّى مفهوم الميزان العسكري الشائع الاستخدام، إذ يتضمَّن أبعادًا اقتصادية وثقافية وسياسية، إضافة إلى البعد العسكري والأمني . فهو حالة التوازن الناتجة عن قياس عناصر القوة القومية لطرف ما مقارنة بقياس العناصر نفسها لدى الطرف الآخر، بما في ذلك تحالفاتها الدولية وعلاقاتها الثنائية والمتعددة الأطراف في النظام الإقليمي الذي ينتميان إليه. فحالة التوازن أو التعادل أو التكافؤ في القوى تخلق موقفًا من الشعور بالقدرة على الحركة، وإمكان المناورة والمساومة، وتتيح فرصًا وبدائل متعددة. أما حالة الاختلال الاستراتيجي فتخلق وضعًا مختلفًا، ففيها يشعر أحد الأطراف أن بوسعه حسم الأمور بالقوة، وأن الطرف أو الأطراف الأخرى لن تغامر باللجوء إلى السلاح، بحكم كون النتيجة معروفة مسبقًا. أما الطرف الآخر فيجد نفسه في مأزق عليه أن يكافح باستمرار للبقاء في إطار اللعبة بأقل خسائر ممكنة. وبينما تؤدى حالة التوازن إلى نوع من الردع المتبادل والحسابات الدقيقة لكل طرف قبل الإقدام على خطوة حادة، فإن حالة الاختلال تفتح الطريق إلى احتمالات عدم الاستقرار في ظل رغبة طرف في الهيمنة، ومقاومة الطرف الآخر لذلك.

---

[1] .مايكل شيهان , توازن القوى التاريخ والنظرية , المركز القومي للترجمة , القاهرة , مصر , ط١, ٢٠١٥ , ص١٦٢

٢ - مفهوم الميزان العسكري: ويعتبر أشهر مفاهيم علاقات القوة إذ يشكل العنصر الأساس في عملية التأثير خلال الاستخدام المفرط للقوة ، باعتباره يحدِّد عامل القدرة على الإيذاء واستخدام العنف المسلَّح أو التهديد به خلال عملية التفاوض أو المساومة، لذا لا توجد موازين اقتصادية أو ثقافية أو دبلوماسية وإنما عسكرية وامنية فحسب وقد دخلت الحروب السيبرانية كطرف حاسم فيها . ويعنى الميزان العسكري الوضع الناتج عن قياس عناصر القوة العسكرية، تقليدية كانت أم غير تقليدية وبمختلف مكوناتها لطرف من الأطراف مقارنة بمثيلاتها لدى الطرف الآخر، فهو محصلة الأوزان المقارنة لتلك العناصر بين دولتين، وهو مصطلح محايد لا يشير إلى حالة معيَّنة لعلاقات القوة كالتوازن أو الاختلال. وتكمن أهمية المفهوم في أن الميزان العسكري يمثِّل مفتاح البحث في إمكان نشوب حرب أو عدم نشوبها في منطقة ما، فالطرف الأضعف لا يقوم عادة باستخدام القوة المسلحة بحكم واقع الميزان الذي يميل ضده، أما الطرف الأقوى فإنه يمتلك خيار التهديد بالحرب في ظل تقديراته الخاصة لحجم ما يمكن أن يحصل عليه مقابل خسائره المحتملة، وهى قاعدة قد تكون صحيحة في الكثير من الحالات او بشكل عام. ولقد أدى ظهور الأسلحة النووية تحديدًا، ودخولها ضمن علاقات القوة بمستواها الاستراتيجي والعسكري، إلى جعل مفهوم القوة ذاته أكثر تعقيدًا، فالتطورات التكنولوجية تؤدي كل عدة أعوام لا تتجاوز الخمسة إلى انقلابات في نظم التسليح، والدول تواجه بألفاظ مثل التفوُّق والتوازن والتدمير المؤكد من دون تفسير واضح لأهميتها في مجال التطبيق من الناحية العسكرية، وبالذات من دون اتفاق على ما تتضمَّنه سياسيًا. وما تزال الأسلحة النووية ومعها الأسلحة الاستراتيجية غير النووية كالبيولوجية والكيميائية مصدرًا لتعقيدات لا نهاية لها بالنسبة إلى موازين القوة , الا ان الواقع يشير الى ان كل تلك المقاسات في ميزان التوازن او التفوق العسكري قد لا تكون دقيقة عند مواجهة عدو هلامي غير مسيطر عليه كما حصل مع التنظيمات الإرهابية في العراق وسوريا ومصر وبلدان افريقية و مقاتلي طلبان والمواجهات بين فصائل المقاومة الإسلامية والوطنية وبين الكيان الصهيوني في فلسطين و لبنان وبين انصار الله والتحالف الدولي الذي قادته السعودية في عملية عاصفة الحزم التي انتهت بالفشل الذريع .

- الثانية: أنماط علاقات القوة بين الدول: ترتبط أنماط علاقات القوة بين الدول، على المستوى الدولي أو الإقليمي، بمقوِّمات قوة الدول داخل كل نطاق إضافة إلى طبيعة العلاقات القائمة بين الدول على مستوى ذلك النطاق ، وبخاصة طبيعة استخدام القوة بين دول النظام المعني. فالعالم أو أي من أقاليمه يتكوَّن من دول، وتختلف عناصر قوة كل دولة عن الأخرى، وبالتالي قدرتها على التأثير في التفاعلات الدولية أو الإقليمية، اختلافًا كبيرًا، إلى درجة يمكن الإشارة معها إلى أن بضع دول تمتلك قدرة حقيقية على التأثير في الأحداث والتطورات الرئيسة التي يشهدها العالم في الوقت الذي تكون فيه دول أخرى عاجزة تماما عن التأثير في محيطها الإقليمي . و يتم عادة تصنيف الدول في العالم إلى عدة فئات رئيسة، أكثرها شيوعا هي:

١ - القوى العظمى التي تمارس تأثيراتها في معظم أنماط التفاعلات على مستوى العالم كالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي السابق ورسيا والصين بالوقت الحاضر.

٢ - القوى الكبرى التي تمارس تأثيراتها في نطاقات متعدِّدة على مستوى العالم، كفرنسا واليابان وبريطانيا.

٣ - الدول المتوسطة التي تمارس تأثيراتها في معظم أنماط التفاعلات على مستوى الأقاليم كالبرازيل ومصر والهند وإندونيسيا وجنوب افريقيا وتركيا وايران والسعودية .

٤ - الدول الصغيرة التي لا تمارس تأثيرات ذات أهمية خارج حدودها، ودائرة الجوار المباشر كنيكاراغوا وكينيا والبحرين وبلجيكا والكثير من الدول الأخرى .

وقد مرَّ العالم خلال القرون الماضية بعدة حقب زمنية اتسمت كل منها بوجود شكل معيَّن لهيكل القوة فيه، استنادًا إلى توزيع القوة بعناصرها وتأثيراتها، بين أطرافه، بخاصة أطرافه المحورية التي تتحكَّم في التفاعلات الأساسية خلال كل حقبة. وعادة كانت كل حقبة تُنسب إلى نمط هيكل القوة المسيطر فيها، والذي يمكن من خلاله فهم معظم ما يدور خلالها من تطورات. ويتمّ التمييز في هذا الإطار بين ثلاثة أشكال رئيسة من هياكل القوة الدولية التي ظهرت في فترات تاريخية مختلفة وهي:

أ - نظام القطب الواحد : الذي يتسم بتركز القوة أو مواردها إلى حدٍّ كبير في دولة واحدة، أو تحالف محدود من الدول، وقد شهد العالم تاريخيًا هذا الوضع عدة مرات، عندما سادت الإمبراطورية الرومانية في العالم، وعندما شكَّلت بريطانيا العظمى ما سُميَّ الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، كما كادت ألمانيا أن تحتل هذا الموقع مرتين خلال فترات حكم بسمارك في أواخر القرن التاسع عشر، وهتلر في القرن العشرين. وقد عاد هذا الهيكل في مرحلة ما بعد نهاية الحرب الباردة في ظل سيطرة الولايات المتحدة نسبيًا على التفاعلات الرئيسة في العالم. وقد عمل كل قطب مهيمن على فرض قيمه وسياساته على الكتلة الفعالة من العالم في ما عُرف باسم السلام الروماني قديمًا، ويشار إليه باسم السلام الأميركي في المرحلة الحالية.

ب - نظام القطبية الثنائية ويتسم بتركز موارد القوة وقدراتها، واتجاهات التأثير في دولتين أو كتلتين رئيستين بشكل جامد أو مرن، في ظل وجود صراع أو تنافس كبير بينها، وتمركز للتفاعلات الدولية حول مواقعها. وقد شهدت فترات تاريخية سابقة مثل هذه الهياكل، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبداية القرن العشرين؛ وأشهرها نظام القطبية الثنائية البريطاني . الفرنسي الذي تمَّ خلاله اقتسام مناطق النفوذ في أقاليم مختلفة من العالم خلال مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى كما حدث في المنطقة العربية، وكانت أهم نماذجه هي التي سادت خلال النصف الثاني من القرن العشرين حتى العام ١٩٩١ بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفياتي.

ب - نظام تعدد الأقطاب ويتسم هذا النظام بانتشار القوة في ما بين عدد كبير نسبيًا من الدول، تقوم بينها عادة حالة من توازن القوى التي تكون في معظم الأحيان غير مستقرة، بفعل تأثير التحالفات والتحالفات المضادة المستمرة عليها. وتدور التفاعلات داخل هذا النظام حول أكثر من صراع دولي رئيس. وقد شهد العالم كذلك مثل هذا النظام عدة مرات، خصوصًا خلال فترة ما بين الحربين العالميتين في القرن العشرين ١٩١٩ . ١٩٣٩، إلا أن أهميته تأتي من وجود عناصر أساسية منه في إطار النظم الأخرى، أو كونه إطارًا انتقاليًا ينشئ أحد الهياكل لفترة مؤقتة، أو يميل إلى التحوّل مع الوقت إلى نظام آخر، إضافة إلى أنه أكثرها تعقيدًا لجهة ما يدور داخله. إن مثل هذه التصنيفات تعبّر عن أنماط مثالية قد لا

توجد بشكلها الجامد كما هي عليه، وإنما يمكن الاستناد إلى ملامح مختلفة لها في تحليل نمط علاقات القوة القائم في العالم خلال فترة ما، خصوصًا في الفترات الانتقالية التي تتسم بالسيولة، فقد كان النظام الدولي يبدو بعد انهيار القطبية الثنائية العام ١٩٩١ وكأنه يتجه نحو تعددية أقطاب قبل أن تتضح سيطرة الولايات المتحدة، كما أن سيطرتها هي في النهاية ناقصة، وتتعرَّض لتحديات مثيرة، فهناك مراكز قوى مختلفة تشكل شبكة تأثير اقتصادية، عسكرية، إعلامية معقدة، وفاعلون غير دوليين يمارسون أفعالا غير مسبوقة في التأثير على الدول، بما يجعل نظام القطب الأوحد الحالي مختلفًا تمامًا عما كان عليه تاريخيًا.

- **أهمية المتغير الجغرافي في قوة وعلاقات الدول وخلق التوازنات**

يعد الموقع الجغرافي للدولة من العناصر الثابتة، غير أن أهميته قابلة للتغيير، وقد يفقد هذه الأهمية أو تتم الاستفادة منه بنحو جيد، وذلك وفق التطورات الإقليمية والدولية، وإن الموقع الجغرافي ينهض بدور فاعل في سياسة الدّول، ويعد رأسمالاً طبيعياً وسياسيا ظاهراً، ومن منابع الثروة القومية، ويدخل عاملاً مؤثراً في التخطيط الاستراتيجي؛ وعليه تاريخيا كان واضحًا العلاقة بين الجغرافية من جهة، وبين الهيمنة وتقاليدها الاستعمارية المفروضة بالقوة العسكرية من جهة أخرى، إذ كان الاحتلال للأراضي ذات المواقع الاستراتيجية الآلية الأبرز للتوسع والضم والتوسع الإمبراطوري أو الاستعماري، وهذا مما عرض العراق قديماً وحديثاً وبسبب موقعه الجغرافي المتميز إلى الاحتلال والغزو[١] , وبهذا الصدد ويقول الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية عمرو موسى إلى أنَّ "الطريق إلى فهم السياسة يبدأ بالنظر بالخريطة" ويؤكد أنها مقولة متداولة عند من يشتغل بالسياسة، وقضايا الأمن القومي، والعلاقات الدولية، وإن هناك دولاً إقليمية كبرى تجاور العالم العربي من الشمال والشرق، وهي بالدرجة الأساس تتمثل في إيران وتركيا اللتين تشكلان مع عدد من

[١] . سهام مهدي صالح العيساوي , مستقبل العراق بعد الاحتلال , منشورات زين الحقوقية , بيروت , ٢٠١٨, ص ٢٩

الدول العربية ما يصطلح عليه في الدراسات الجيوسياسية بإقليم الشرق الأوسط ويمثل العراق البلد العربي الأكثر تماسا مع القوتين الإقليميتين إيران وتركيا؛ بسبب موقعه، ويشكل البوابة الشرقية لهما على العالم العربي؛ ولهذا التماس الجغرافي تبعاته وتداعياته على الواقع الأمني العراقي .

وعلى الرغم من أهمية الجغرافيا إلَّا أنها بمفردها لا يمكن أن تحدد هوية منطقة الشرق الأوسط، فصحيح أن الهوية الإجمالية لها هي الإسلامية من حيث الديانة، والعربية قومياً، ولكن هناك شعوباً لا يستهان بها . وهي كثيرة، وتمثل ديانات ومذاهب وطوائف وقوميات وأعراقاً وإثنيات أخرى.[١] وهناك من يقلل من دور الجغرافيا من دون التجربة التاريخية، ولكن تبقى الجغرافيا حاضرة بوضوح في تشكيل الوعي عند الشعوب بهويتها وفي علاقاتها ببعضها، حيث يبرز دور الجغرافيا أكثر حيثما تقترن بالتجربة التاريخية لأكثر من شعب بينهم خصائص يتشكّل منها الواقع الثقافي والسياسي، والدِّيني لتلك الشعوب، وإن علاقة إيران وتركيا مع الدول العربية ليست استثناءً من هذه القاعدة، وعلاقات العراق مع جواره الإسلامي والعربي تخضع لهذه الحقيقة، والتشابك في البنى التحتية للعلاقات بين البلدين، ومع أهميَّة البعد المكاني الجغرافي غير أنَّه لا يمثل في الواقع سوى حاضن للتاريخ وأحداثه التي تصنعهما إرادة الشعوب والمجتمعات .[٢]

يعد الموقع الجغرافي من أهم عناصر الجيوستراتجية التي تقاس بها قوة الدولة، وعلى الرغم من التطور العلمي التقني، والأسلحة الحديثة العابرة للقارات وتقنيات الحرب السيبرانية ، والتقدّم في أدوات التواصل الاجتماعي ووسائل الاتصالات غير أنَّ ذلك لا يقلل

---

[١] . عمرو موسى , كتابيه, دار الشروق , ط٢ , القاهرة , ٢٠١٧, ص ٤٩٨

[٢] . احمد نوري النعيمي , السياسة الخارجية الإيرانية بين الثوابت والمتغيرات , دار امجد للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠١٧, ص١٧

من دور الموقع بل يبقى رأس مال الدولة ومن موارد ثروتها القومية .وإن للمتغيرات الجغرافية تأثيراً كبيراً في تحديد سياسة الدولة وعلاقاتها الإقليمية والدولية ، وتعد محور عناصر قوتها الشاملة وتساعد في تحديد توجهاتها الاستراتيجية العامة، وهي تشكّل الأساس في قيام الدولة بأدوار إقليمية ودولية تتناسب وقدراتها، والجغرافيا عنصر ثابت في السياسة الداخلية والخارجية؛ فمن هنا جاءت مقولة بسمارك في الجغرافية بأنها: العنصر الدائم في السياسة، لتؤكد على العنصر الأساس لقوة الدولة. وما تحوزها من قدرة، أو تفتقد إليها، في حيز إقليمها من عناصر القوة أو أعراض الضعف .وتشكل الطبيعة الجغرافية للدولة الركيزة الأولى في تكوين قوتها الوطنية. وأن سياسات الدولة تحدّدها الظروف الجغرافية، ويتحدد تأثير الجيوبولتيك كأحد العناصر الذاتية للأمن القومي وقوة الدولة من الاعتبارات الآتية:[1]

أولاً: حجم الرقعة الجغرافية ومساحتها : هناك علاقة واضحة بين قوة الدولة وقدرتها من جهة، وبين حجم الدولة ومساحة رقعتها الجغرافية من جهة أخرى؛ أي أن سعة المساحة والحجم تعطيان وفرة وتنوعا في الموارد الطبيعية للدولة، مثلما يعطي امتداد المساحة والحجم للدولة مناخاً متنوعاً؛ مما يؤدي إلى تنوع الزراعة، ويتيح فرصاً إضافية للاستثمارات والاستخدامات البشرية للأرض والمناخ، فضلا عن أن سعة المساحة، وحجم الدولة، تضاعفان من قوتها بتوفير بعض المزايا العسكرية لها.

ثانيا: الموقع الاستراتيجي والحدود: لموقع الدّولة دور مهم في سياستها وعلاقاتها الدولية، ومن ثم تعزيز قوتها وأمنها ، فمن خلال موقعها يمكن تحديد ما إذا كانت الدولة تشكل قوة برية أو بحرية، فالدولة التي تقع على ساحل البحر تتمتع بامتيازات تفتقر إليها الدول غير

[1] . د عباس حسن البياتي , مصدر سبق ذكره , ص ١٩

الساحلية (دولة حبيسة ) في تسهيل المواصلات والتجارة الخارجية وزيادة حرية الحركة من الناحية العسكرية وتعزيز القدرة الدفاعية، وإن للحدود أهمية واضحة لموقف الدولة من الدول التي تجاورها؛ ولذلك فإنَّ الدّول الحبيسة تضطر لإدامة علاقات حسن الجوار وتعزيزها عبر عقد معاهدات حدودية، واتفاقات اقتصادية وخلق مجالات للتعاون لضمان سلامة الإقليم .وتدخل في إطار العوامل الجغرافية الحدود، والمناخ والموقع الفلكي والموقع من البحار والمياه والجزء البحري، من مساحة الدولة وطول الساحل، إذ يعد هذا الجزء ذا أهمية بالغة في خطط الدولة، وتنفيذ سياستها إزاء الإقليم الذي تقع فيه، سواء من حيث التفاعل أم التقييد في سهولة الاتصال والحركة مع الدول المجاورة أو غيرها، وفي التأثير على انسيابية عمليات الاستيراد والتصدير، وكذلك توفير الأفضلية في العمليات العسكرية والدفاعية، فالموقع بنحو عام يمنح الدولة عناصر إضافية في إظهار قوتها والقدرة على أداء دور قيادي واستراتيجي مع دول الإقليم أو دول العالم . وإن الموقع الجغرافي للدولة يشغل مكانة متقدمة في الدراسات الجغرافية وبالذات في الجيوسياسية، وذلك لدوره في إعطاء الدولة هويتها المتميزة، ويتصدر الموقع أهم العوامل الجيوستراتجية التي يتم بها قياس قوة الدولة، لتأثيره الشديد على دورها في البيئة الإقليمية والدولية في الحاضر والمستقبل

- الجيوستراتجية والتوازنات الإقليمية

يقوم نموذج توازن القوى لدى الكثير من الباحثين على افتراضات رئيسية محددة :[1]

١. تعتبر الدول القومية ذات البعد والحضاري والتاريخي في الأساس بمثابة اللاعبين المهمين في النظام .
٢. تتخذ الدول الكبرى الامن وبناء مقومات القوة هدفا رئيسيا لها .

[1] . مايكل شيهان , توازن القوى التاريخ والنظرية , المركز القومي للترجمة , القاهرة , ط١, ٢٠١٥, ص١٠٧

٣. الأسلحة المستخدمة في النزاعات لاتصل الى مستوى الأسلحة النووية بل قد يلوح باستخدامها لأغراض استعراض القوة دون الاستخدام .
٤. نظرا لعدم إمكانية توقع بعض عوامل ومقومات القوة وتعذر قياسها تسعى كل دولة لتحقيق هامش اعلى من قدراتها الحالية .
٥. التوازن يعتمد على تعدد الدول بما لا يقل عن خمسة بضمنها دول كبرى او دول ذات تاثير بالمحيط الإقليمي على الأقل .
٦. من المرجح ان تحتاج كل دولة بما في ذلك الدول الكبرى الى حلفاء لتحقيق أهدافها

شغلت السياسة ببعدها العسكري والامني أذهان المفكرين الاستراتيجيين على مر العصور وانطلقوا من هدف مشترك خدمة للمصلحة القومية لبلدانهم والسعي إلى امتلاكها القوة بمفاهيم مختلفة لكل منهم وقد أسس ذلك كله علم الجيوبلتكس والذي هو عبارة عن كلمتين (Geo) أي الأرضي و (Politics) السياسة ويؤشر هذا الصلة الواضحة بين المكان والبيئة، وعلى وفق الإرث الفكري التاريخي لهذا المفهوم والفكرة أعاد المفكر الجيوستراتجي برجنسكي النظريات الجيوبولتيكية محاولاً رسم صياغة جيوستراتيجية تأخذ من الماضي وتلائم الحاضر وتواجه متطلبات المستقبل. ووضع تصوره لمفهوم الجيوستراتجية بأنها (الإدارة الاستراتيجية للمصالح (الجيوبولتيكية) ، وتتجلى أهمية مثل هذا الفهم في إيضاح الغاية التي سعى الوصول إليها. ويعطي لمثل ذلك الغاية بُعداً عالمياً حيث يقول (أوجد الظهور المباغت للقوة العالمية الأولى والوحيدة (في إشارة الى الولايات المتحدة ) وضعاً يمكن افي حالة النهاية المباغتة لسيادة هذه القوة أن تسبب في حالة عالمية من عدم الاستقرار الدولي بل

أنها في الواقع يمكن أن تطلق فوضى عالمية) وهكذا فانه يشير إلى حتمية إيجاد مثل هذه الصياغة الاستراتيجية لإدارة العالم وتجنب حالة الفوضى.[1]

ويذهب (برجنسكي ) إلى البحث عن الموقع الاستراتيجي التي ستدار ويُدار خلالها العالم وينظر لذلك البعد الاستراتيجي إلى منطقة اوراسيا ويؤكد بأن (اوراسيا) هي القارة الأكبر في العالم وهي المحور في المجال الجيوبلتكس حيث تسيطر القوة التي تحكم في اوراسيا على اثنتين من مناطق العالم الثلاث الأكثر تقدماً والأوفر في مجال الإنتاج الاقتصادي ... وأن بسط السيطرة على أوربا يستتبعه بصورة مباشرة إخضاع إفريقيا ويعيش في اوراسيا ٧٥٪ من شعوب العالم وفيها كذلك معظم ثروات العالم ... كما وإن اوراسيا موطن الدول الأقدر وفي اوراسيا توجد الدولة النووية المعلنة في العالم باستثناء واحدة كما توجد فيها أيضاً جميع الدول النووية السرية باستثناء واحدة وإلى اوراسيا تنسب الدولتان الأكبر سكاناً في العالم والدولتان الأكثر تطلعاً سياسياً والأكثر حركة في العالم إلى الهيمنة الإقليمية والنفوذ العالمي).2

- **التوازن الإقليمي**

اما عن التوازن الإقليمي والذي يطلق عليه أحيانا بالتوازن الفرعي فهو نوع من أنواع توازن القوى الذي يتشكل داخل أطر جغرافية محدودة، وتجمع عددا من الدول التي تنشأ فيما بينها علاقات تتسم بالصراع على القوة والنفوذ ضمن هذا الإطار الجغرافي المعين، وإنَّ محصلة هذا الصراع يجعل دولا محدودة تبلغ مرحلة متعادلة أو شبه متعادلة في القوة؛ مما يؤدي إلى نشوء توازن قوى محلية يقيد سلوك الدول الأخرى ، ويتحكم في علاقات

[1] . د محمد مصطفى جمعة , التنبؤ الاستراتيجي , دراسة في تأثير التفكير الاحتمالي والمعلومات , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت , ط١ , ٢٠١٢, ص ٢٠٦

[2] . المصدر نفسه ص ٢٠٧

بعضها مع البعض الآخر، فيجري التنافس بين أقطابه بالوسائل السلمية وقد ينتهي بالحروب مثله في ذلك مثل توازن القوى الدولي.

والتوازن الإقليمي يعبر عن حالة من التقارب في مختلف جوانب القدرة والقوة بين الدول الإقليمية، وجوهر هذا التوازن هو البحث عن الأمن، والمصالح الحيوية التي من أجلّها تتشكل التحالفات والتكتلات الإقليمية التي تنعكس عليها تأثيرات العامل الدولي كونه متغيرا أساسيًا وفاعلا في معادلة التوازن الإقليمي التي تعتمد في جزء كبير من خصائصها البنيوية أو الوظيفية على طبيعة المصالح الحيوية للقوى الدولية الكبرى وهيكلية توازنها في الإقليم . وأن التوازن الإقليمي أقدم وجوداً؛ لأن العلاقات الدولية في الماضي كانت أضيق مجالاً ومساحة وهذا ما كان سائدا في المنطقة عند صعود الدولة الصفوية و الدولة العثمانية كذلك عند هيمنة الاستعمار الفرنسي والبريطاني للمنطقة ، وكانت التوازنات يغلب عليها الطابع المحلي نتيجة التباعد بين مراكز القوى وصعوبة التنقل، ففي ظل هذه الأوضاع فإن العالم قد عرف شكلين من التوازن :

الأول: هو التوازن الرئيس الذي يتكون من الأمم المسيطرة على القارة أو المنطقة.

الثاني: هو التوازن المحلي بين الدويلات أو الإمارات.

وقد سيطر هذان الشكلان من التوازن على القارة الأوروبية، كما في الماضي وكذلك في الحاضر هناك توازن القوى العالمي بين القوى الكبرى، ومع عدد كبير من التوازنات الفرعية الإقليمية، فهناك توازن القوى في الشرق الأوسط، وتوازن القوى في شرق آسيا وتوازن القوى في أمريكا الجنوبية، وتوازن القوى الأفريقي وتوازن القوى الأوروبي وغيره، فالتوازن قانون تاريخي سواء أكان ذلك التوازن دوليا أم إقليميا. وإن التوازن الفرعي الاقليمي لا يستطيع العمل مستقلا، ولا تجري تفاعلات أطرافه بمعزل عن أطراف التوازن الدولي الرئيسي، وبوسع التوازن الإقليمي أن يؤكد استقلاله إلى أقصى حد ممكن حتى يظهر وكأنه

توازن مسيطر، ويمكن كذلك أن يتحول إلى صورة باهتة، بحيث يغدو مجرد انعكاس للتوازن الدولي الرئيسي، وإنَّ الاستقلال والدور المبني عليه يعتمد على مقومات منها:[1]

- القدرة الدبلوماسية.
- الموقع الجغرافي.
- إمكانيات الأطراف الداخلة في التوازن الإقليمي من حيث القوة العسكرية .

وإنَّ الدول الكبرى في التوازن المسيطر لا تشكل التوازنات الإقليمية، لكنها تستغلها لدعم مكانتها عبر الاستفادة من صراعات الدول المجاورة وتحريكها عند الحاجة لتكون مدخلاً للسيطرة عن التوازن الإقليمي وتقوم التوازنات الإقليمية بدور فاعل ومؤثر في العلاقات الدولية وذلك أن التوازن الدولي يستند في استقراراه أو تغيره على الصراعات الإقليمية، فإن التوازن العالمي مثل البناء، والتوازنات الإقليمية مثل مكونات ذلك البناء ، وإن الصراعات الإقليمية ما هي إلا صراعات المستندة بالدرجة الأساس للصراع الدولي في قمة الهرم ، في العصر النووي أصبحت القوى العظمى تخوض حروبها بالوكالة وصراعاتها عبر التوازنات الإقليمية، وكذلك يمكن للأطراف المحلية التأثير في توازن القوى العالمي وفي سياسات دول الكبرى إذا أجادوا اللعب، وأحسنوا استخدام قواعد اللعبة، وفي الحرب الباردة اعتمد العملاقان- الأمريكي السوفيتي- في صراعهما اعتمادا كليا على الصراعات الإقليمية وحروب النيابية، فالعلاقة بين التوازن الدولي والتوازنات الإقليمية علاقة جدلية يتأثر بعضها بالآخر وعن طريقه يمكن الكسب او الخسارة .ويعد التوازن الظاهرة الرئيسة التي طبعت العلاقة بين القوة والعلاقات الدولية، فهو الأداة أو الآلية التي من طريقها تتمكن الدول أن تنظم صراعات القوة فيما بينها ، وتضمن ديمومة النظام الدولي، التي تحمي استقلالها وسيادتها، وتستعصي على ابتلاع كيانها الوطني من قبل قوة أخرى تتفوق

[1] . د عباس حسن البياتي , مصدر سبق ذكره , ص ١٦٧

عليها ، وينطبق ذلك على التوازن الإقليمي الذي يعتمد على القوة أصلا، وإن أخذت أشكالاً أخرى سياسية واقتصادية وعسكرية وغيرها، فتلك الأشكال في جوهرها مقوّمات الأمن الوطني، فالدولة الإقليمية التي تسعى إلى تحقيق أمنها الوطني عليها تحقيق التوازن مع الآخرين أي البحث عن القوة، وهنالك نماذج تطبيقية كثيرة لحالة التحالف لتحقيق التوازن؛ بغية حفظ الأمن الإقليمي منها: (ميثاق الدفاع المشترك، في إطار جامعة الدول العربية)، و(حلف بغداد) في أثناء الحرب الباردة والتحالف الليبي السوري الإيراني اثناء الحرب العراقية الإيرانية والتحالف الثلاثيني بعد غزو العراق للكويت والتحالف الدولي الذي تقوده السعودية ضد اليمن في عاصفة الحزم غيرها؛ وعليه أصبح واجباً على دول أي إقليم بما فيه الشرق الأوسط أن تتعايش وتتعاون فيما بينها؛ للحفاظ على أمنها الإقليمي عبر سياسة وترتيبات وتنظيم علاقات تعاونية. إن طبيعة التوازنات في منطقة الشرق الأوسط صعبة ومتشابكة وذلك الأسباب منها:

١. البيئة الجيوستراتجية التي هي بيئة متغيرة أساسا.
٢. والصراع الدولي على نقطها وثرواتها.
٣. وغياب الحد الأدنى للتوازن بين دولها.
٤. انعدام الآليات والمؤسسات لحلّ النزاعات فيها.
٥. وضعف مؤسسات المجتمع المدني في داخلها.

كلُّ هذه الأسباب وغيرها جعلت من أمن المنطقة قضية بالغة التعقيد. في البيئة الخارجية الإقليمية هناك مشاريع متناقضة ومتصارعة لقوى كبيرة كلّ منها يجتهد لبناء مرتكزات له في المناطق الرخوة في العراق، وسوريا واليمن، وفلسطين، وتهدف هذه القوى التي هي إيران وتركيا والسعودية، الكيان الصهيوني إلى انتزاع الاعتراف الدولي بها

## المبحث الثالث

## القدرات العر اقية الجيوستر اتجية في مواجهة وتعديل مسارات

لاشك ان العراق ورغم كل ما حصل من متغيرات داخلية ومؤثرات خارجية سواء على المستوى الدولي او الإقليمي والتي وبلا ادنى شك اثرت بشكل او باخر على القدرات والمقومات التي يتميز بها جيوستراتيجيا الا انه بقي من اللاعبين الأساسيين على المستوى الإقليمي ولأسباب متعددة يقف في مقدمها الموقع الجيوبولتكي المتميز والثروات المكتشفة وغير المكتشفة فضلا عن التنوع الاثني الذي قد يحسب في كثيرا من الحالات على انه من نقاط الضعف الا انه وفي أحيان كثيرة أخرى أيضا يعتبر بمثابة مقوم قوة , لذلك نجد ان العراق ومنذ النشاءة الأولى له بقي يمتلك ذات الأهمية , الا ان الأعوام من ١٩٨٠ وحتى سقوط النظام وما حصل بعد ذلك من متغيرات على مختلف المستويات أدى الى نوع من التراجع الا انه وفي كل الأحوال لا يعني فقدان العراق لموقعه المتميز جيوستراتيجيا بل هو تراجع املته الظروف القاهرة والحروب وتصاعد الإرهاب , لذلك فانه وبمقدار ما لتلك الظروف من تأثيرات سلبية الا ان هنالك مؤشرات مقابلة تنبئ بان المستقبل سيمنح العراق مساحة أوسع للبروز الجيوستراتجي شريطة ان يرافق ذلك تصعيد في القدرات من اجل استكمال مقومات القوة ليس بمكوناتها العسكرية والأمنية فقط بل بباقي مقومات القوة المتمثلة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية فضلا عن الاستقرار السياسي .

- **المتغيرات المؤثرة على علاقات العراق بالبيئة الإقليمية والدولية**

إن علاقات العراق الإقليمية أو الدولية من حيث التعاون أو الصراع هي محصلة تفاعل المتغيرات الداخلية والخارجية، التي تحدد مسار واتجاهات هذه العلاقات، وإن الصلة. بين هذه المتغيرات والعلاقات هي. صلة عضوية وسببية كارتباط النتائج بالمقدمات، غير أن الفرق بين المؤثرات الداخلية والخارجية هي أن الأخيرة قابلة للتعديل والتغيير بخلاف الأولى التي تمتاز بالثبات والاستقرار، وإن أحداهما يمكن أن تتكامل مع الأخرى أو تتقاطع معها، طبقًا للسياسات المعتمدة وطبيعة النظام السياسي أو شخصية الحاكم. إن صانع القرار في العراق يستطيع أن يتغلب على حدة المتغيرات الداخلية بمزيد من الانفتاح الخارجيّ، كما ويستعين بالموارد والمؤثرات الداخلية على تعديل العلاقات الخارجية، فالتوظيف الخلاق للممكنات الداخلية والخارجية في العلاقات الدولية ، يعد من أهم أسباب بقاء واستمرار الدولة كفاعل في محيطه وكذلك في قدرتها على تلبية متطلبات السكان. وعلى سبيل المثال أنَّ العلاقات الإيجابية مع دول الجوار يمكن أن تقلل من تأثير من مشكلة انحسار الاطلالة البحرية للعراق، وكذلك يمكن للنفط وطرائق تصديره عبر دول الجوار الست أن يدفع بعلاقات العراق مع هذه الدول إلى التعاون بسبب الحاجة المتبادلة للطرفين. تشترك في صياغة العلاقات الخارجية عوامل متداخلة ناتجة عن تأثير متبادل بين البيئتين الداخلية والخارجية، وما فيهما من ثوابت ومتغيرات ووقائع وضغوطات ومصالح متعارضة، وأنَّ السياسة الخارجية تعدّ امتداداً مباشراً لمعطيات ومتغيرات السياسة الداخلية، بالمقابل فإن العناصر الخارجية تقلّص أو تزيد من مساحة التأثير على سلوك صانع القرار في داخل الدولة.

وتستند قوة الدول ينحو عام على امتلاكها لعناصر أساسية، تشكل بمجموعها قدرات الدولة الحيوية التي تستطيع بها من فرض التأثير على الآخرين في البيئة الإقليمية والدولية؛

بغية تحقيق مصالحها وأهدافها. وعلى الرغم من تداخل هذه العناصر وتشابكها لتشكل محصلة عوامل هي القوة الشاملة للدولة فإنَّ العبرة تكمن في كيفية استعمالها والاستفادة منها بكفاءة عالية عند تعرض الدولة لأيَّة تهديدات خارجية، فمصادر القوة هي حصيلة مجموعة من العناصر التي تمثل الموارد العامة الثابتة التي يمكن أن تستخدمها الدولة على المدى الطويل لامتلاك قدرات معينة أو تطويرها، كالموقع الجغرافي وعدد السكان والموارد الاقتصادية، وتشكل هذه العوامل عموما أسس قوة الدول، أما قدرات القوّة وهي عناصر القوة التي تمثل قدرات محددة، فيمكن أن تستخدمها الدولة مباشرة في عملية ممارسة الضغط والتأثير في المدى القصير كالقوات المسلحة، والاحتياطيات النقدية، والأدوات الدبلوماسية، وأجهزة الاستخبارات، والجيوش التي دائماً ما تكون في وضع استعداد لاستخدام القوة المسلحة في أي وقت تتعرض فيه الدول للتهديد والخطر ، وتمثل كلَّ هذه القدرات أدوات قوة الدولة .[١]

إن الاختلال في وظيفة الدولة أو الحاكم ناجم عن عدم القدرة على الاستفادة من القدرات الذاتية، أو العجز عن نسج علاقات خارجية فاعلة. وإن العوامل أو المتغيرات الداخلية تتمثل بأشكال متعددة وهي :

- جامدة غير قابلة للتعديل. مثل الموقع والتضاريس والثروات الطبيعية
- متحركة قابلة للتغيير، مثل العامل السياسي والعسكري
- عوامل الموقع والسكان والواقع الاجتماعي والاقتصادي والمواد الطبيعية تكون أكثر رسوخًا

[١] .احمد جلال محمود , صراع القوى المدنية – العسكرية واثره على السياسة الخارجية التركية في منطقة الشرق الأوسط , المكتب العربي للمعارف , القاهرة , ط١, ٢٠١٥, ص٣٥

- **الاهمية العسكرية والامنية للعراق في إقليم الشرق الاوسط**

بعد عما ١٩٩١ ارتبط مصير العراق ومكانته الدولية بشكل مباشر بالإملاءات التي فرضتها الولايات المتحدة حيث برز الدور الامريكي في المنطقة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إثر تراجع الدور العسكري البريطاني، إذ ملئت الولايات المتحدة الأمريكية الفراغ الناجم عن انحسار هذا الدور على الصعيد الدولي، واعتبرت منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي مجالاً حيوياً لتطويق الاتحاد السوفيتي السابق من الجنوب، ووثقت علاقاتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية مع بلدان الخليج العربي وأدخلتها ضمن استراتيجية الاحتواء في حقبة الحرب الباردة لحرمان الاتحاد السوفيتي السابق من كسب مواقع مهمة، ووفرت الحرب العراقية الايرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ الفرصة لتعزيز الوجود العسكري الامريكي في المنطقة لضمان المصالح الحيوية وتقوية الموقع القيادي للولايات المتحدة في حلف شمالي الاطلسي من خلال توظيف سيطرتها على منابع النفط للضغط على حلفائها الاوربيين للمشاركة في الجهود العسكرية في المنطقة وزيادة ميزانياتهم العسكرية لتخفيف اعبائها الاقتصادية والمالية[١]، وقد أوجبت هذه الاستراتيجية إزالة الانظمة

[١] مصطفى جاسم حسين، السياسة الخارجية الامريكية والمشرق العربي ما بعد الحرب الباردة، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٨، ص٢٩.

السياسية المناوئة عبر خيارين: اولهما التدخل العسكري الامريكي المباشر، والثاني تحريك الفاعلين الاقليميين المحليين[١].

وكثفت الولايات المتحدة الامريكية وجودها العسكري في منطقة الخليج العربي منذ حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ لأحكام السيطرة على منطقة الشرق الاوسط، وقد أعادت انتشار وتمركز قواتها المسلحة في العالم بعد الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ بشكل يتلاءم مع طبيعة المتغيرات التي افرزتها تلك الحرب، كما ارتبطت عملية إعادة الانتشار بمتطلبات استراتيجية العمل الوقائي. الاستباقي بحيث تتمركز القوات الامريكية في مواقع قريبة من مناطق التدخل المحتملة مستقبلاً في آسيا، والشرق الاوسط، وافريقيا[٢] وكان من مبررات ذلك ان العراق ورغم خسارته للحرب وتدمير قوته العسكرية الا انه بقي يشكل مصدر خطورة على اليات تنفيذ الاستراتيجية الامريكية حسب مزاعمها رغم ان قراءة للإمكانيات الاقتصادية والعسكرية والأمنية بعد عام ١٩٩١ وحتى عام ٢٠٠٣ تشير الى تراجع حاد وانعدام القدرة على تشكيل أي خطر تجاها جواره الاقليمي . .

وقد شكلت الاهمية العسكرية لموقع العراق الجغرافي في منطقة الخليج العربي والشرق الاوسط، ومكانة العراق في الادراك الاستراتيجي الامريكي الحافز والدافع لأعادة

---

[١] رمزي كلارك وآخرون، الامبراطورية الامريكية: صفحات من الماضي والحاضر، الجزء الاول، مكتبة الشرق، , القاهرة ، ٢٠٠١، ص٣٠٣.

[٢] محمود خليل، إعادة توزيع القوات الامريكية في الشرق الاوسط، السياسة الدولية، الاهرام الرقمي، يونيو/ حزيران ٢٠٠٤، www.digital.ahram.org.

انتشار وتمركز القوات الامريكية، اذ يوفر موقع العراق من الناحية العسكرية لمن يسيطر عليه حرية الحركة والمناورة لقواته عبر استخدامه كمنطقة انطلاق محورية باتجاه منطقة الخليج العربي وجنوبي غرب آسيا والشرق الاوسط، وتضمن خصائص موقعه الجغرافي تعزيز سيطرة الولايات المتحدة الامريكية على مجالاتها الحيوية، ويتأتى ذلك من موقع العراق في جنوبي غرب آسيا في المنطقة التي تشكل حلقة الربط المركزية بين قارات اوربا وآسيا وافريقيا[١].

وكان من ابرز نتائج الاحتلال الامريكي للعراق التغيير الذي حصل في هيكل ميزان القوى في دائرتين رئيستين:

- الدائرة الاولى هي دائرة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، التي كان العراق طرفاً مباشراً في معادلة الصراع فيها، إذ شكلت قدراته العسكرية هاجساً ومصدر قلق لإسرائيل خاصة بعد انتهاء الحرب العراقية ـ الايرانية، وكثفت اسرائيل ضغوطها على الادارة الامريكية بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ لوضع العراق في مقدمة الاهداف التي يتعين على الولايات المتحدة ضربها عسكرياً في اطار الحرب على الارهاب، لأن اخراجه من دائرة الصراع في الشرق الاوسط يفضي الى اضعاف سوريا وخسارتها لعمقها الاستراتيجي شرقاً، فضلاً عن حرمان الفلسطينيين من أي دعم عراقي محتمل في المستقبل.

---

[١] صلاح حميد الجنابي وسعدي علي غالب، جغرافية العراق الاقليمية، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠٥، ص٩.

- الدائرة الثانية هي دائرة منطقة الخليج العربي، التي وظفت الولايات المتحدة الامريكية متغيرات ما بعد احتلال العراق لصياغة منظومة امنية فيها تقوم على تعزيز دوريها السياسي، والعسكري، فأعادت تقييم علاقاتها وروابطها الاستراتيجية مع دول المنطقة بعد ان حققت ثقلا اكبر بوجودها ودورها في الشرق الاوسط والخليج العربي، وترتب على ذلك شروعها بعملية اعادة انتشار لقواتها في العالم، وارتبطت عملية اعادة الانتشار والانفتاح بمتطلبات استراتيجية العمل الوقائي التي ترتكز على نشر القوات الامريكية في مواقع تؤمن قربها وسرعة استجابتها للعمل في مناطق التدخل المحتمل مستقبلاً خاصة في الدول غير المستقرة في الشرق الاوسط وآسيا وافريقيا والتي تعدّها الولايات المتحدة الامريكية حواضن وملاذات للإرهاب، وغيرت الولايات المتحدة نهجها السابق في بناء قواعد عسكرية كبيرة، وتحولت الى استخدام القواعد الصغيرة التي تستخدم كنقاط انطلاق نحو المناطق الساخنة بشكل فوري وسريع، وارتكز التخطيط الامريكي على جعل العراق قاعدة محورية في المنطقة عبر ربطه بالاستراتيجية العسكرية الامريكية لمنطقة الشرق الاوسط، ويُعدّ الوجود الامريكي في العراق الركيزة الاساسية في استراتيجية الولايات المتحدة الامريكية للإخلال بالتوازن الجيوستراتجي العالمي لصالحها لأعادة صياغة المنطقة الممتدة عبر الشرق الاوسط، والبحر المتوسط، وجنوبي غرب اسيا،

وصولاً الى المحيط الهندي، ويمثل العراق موطئ القدم الرئيس للولايات المتحدة في قلب هذه المنطقة[١].

وقد اثبتت الحرب على العراق أن القوات الصغيرة الحجم عالية الكفاءة، ذات القوة النارية، والقدرة العالية على الحركة والتنقل، أكثر فاعلية ومقدرة على تحقيق الاهداف بفضل عامل النوعية، ووجود الاسناد الاداري، والقوات الجوية، التي قللت من تأثير البعد الجغرافي، اذ يمكن تحويل الوجود النوعي الصغير الى وجود ضخم لإدارة أي حرب محتملة ويؤمن ذلك مراعاة العامل الاقتصادي، ويوفر الوجود العسكري في الشرق الاوسط حرية حركة واسعة للولايات المتحدة الامريكية في مواجهة ما تعتبره تهديداً لأمنها القومي، وفي التحكم في حركة واتجاه التفاعلات السياسية في المنطقة وفي العالم[٢]. وكانت الرؤية لأهمية موقع العراق حاضرة وواضحة عند اتخاذ قرار شن الحرب لاحتلاله في اجتماع مجلس الامن القومي الامريكي في ١٤ ايلول ٢٠٠١[٣]، وافضى الاحتلال الى تحقيق الاهداف الآتية:

---

[١] احمد ابراهيم محمود، حرب الخليج الثالثة: الانعكاسات الاستراتيجية على البيئة الاقليمية، في نكبة العراق الآثار السياسية والاقتصادية، مؤسسة للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٨٥-١٨٦.

[٢] المصدر السابق، ص١٨٦.

[٣] ريتشارد هاس، حرب الضرورة: سيرة حربين على العراق حرب الاختيار، ترجمة نورما نابلسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٠، ص٢٣١.

أ. توظيف الموقع الجيوستراتجي للعراق الذي يتوسط الشرق الاوسط، ومنطقة الخليج العربي، وشمال غرب آسيا، وآسيا الوسطى، لزيادة قدرة الولايات المتحدة الامريكية على التحرك واحتواء ومواجهة القوى الاقليمية والدولية[١].

ب. ازاح الاحتلال الامريكي للعراق نظاماً معادياً لإسرائيل، واحدث تغييراً جذرياً في ميزان القوى في اقليم الشرق الاوسط لصالح امن اسرائيل.

ج. إظهار قدرة الولايات المتحدة الامريكية على استخدام تفوقها العسكري ضد أي دولة تشكل تهديداً لأمنها القومي ولمصالحها الاستراتيجية لتعزيز دورها القيادي في حلف شمالي الاطلسي وفي التأثير على توجهات الاتحاد الاوربي[٢].

د. عززت السيطرة المباشرة على ثاني اكبر احتياطي نفطي في المنطقة بعد السعودية من قدرة الولايات المتحدة الامريكية على التحكم بأسعار النفط في السوق العالمية فضلاً عن تحكمها به بوصفه سلعة استراتيجية[٣].

---

[١] ستيفن ن. سايمون، مابعد التعزيز العسكري الامريكي في العراق، في كتاب الاحتلال الامريكي للعراق: المشهد الاخير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٥٦-١٥٩.

[٢] ديفيد ميلر، أكاذيب الدعاية والتضليل الاعلامي في الحرب على العراق، ترجمة ابراهيم العريس، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت، ٢٠٠٣، ص٤٧١.

[٣] أحمد بن حمد اليحيى، زلزال في بلاد الرافدين: قصة غزو العراق، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠، ص١٨٣.

هـ تمثل بغداد مركز دائرة يضم محيطها اقليم الشرق الاوسط، وقد تمكنت الولايات المتحدة الامريكية من عزل سوريا عن ايران جغرافياً وإضعافهما دون الحاجة لاستخدام القوة، فالوجود الامريكي في العراق يعني محاصرة ايران من جهة الغرب عبر العراق، ومحاصرتها من الجنوب الشرقي عبر افغانستان، كما ان سوريا أصبحت مطوقة بالوجود الامريكي من جهة الشرق، وبالقوة التركية المدعومة أمريكياً من اتجاه الشمال[1] في اطار تحرك استراتيجي لأضعاف النفوذ الروسي، وتفتيت المحور الروسي . الايراني. السوري ورغم ان ذلك التحرك لم يلاقي النجاح المطلوب الا انه تسبب في إطالة امد القتال في سوريا .

- **مكانة العراق في خلق حالة التوازن الإقليمي**

قبل الخوض في مدى قدرة العراق بوضعه الحالي من ان يلعب دورا استراتيجيا في خلق حالة من التوازن الإقليمي لابد من ان نستدل على مكانة العراق في ظاهرة تبعية المسار من خلال معرفة ما إذا كان لدى العراق تحالف مع قوة الوضع الراهن (الولايات المتحدة) أو على ذلك النقيض يواجه نزاعا امنيا رئيسا ونشطا مع القوة المُهددة الكامنة المتمثلة بدول الجوار الإقليمي ذات المطامع والمصالح في العراق , بداية لا يعد العراق حليفا رئيسا وعسكريا للولايات المتحدة الأمريكية، وإنما يحافظ العراق على شراكة أمنية وسياسية وثيقة معها ، ولكن من ناحية أخرى كان العراق منذ العام ١٩٨٠ في حالة حرب كبرى مع إيران، وهي الحرب التي استمرت ثماني سنوات، وفتحت المجال أمام ديناميات إقليمية طويلة الأمد

[1] محمد حسنين هيكل، الامبراطورية الامريكية والاغارة على العراق، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٣٩٨-٣٩٩.

وواسعة التأثير وخلفت تركات لاتزال البلدان لم تنفك عنها تمثلت في تراكم الخشية من تفوق أي طرف على حساب طرف اخر ، من بينها ترسيم الحدود البحرية، واستثمار المياه المشتركة بين الطرفين، ناهيك عن تعويضات الحرب، وهو الملف الذي يطرح كورقة ضغط بين الفينة الاخرى , وبالرغم من انتهاء حالة الحرب وتطور العلاقات بين البلدين منذ العام ٢٠٠٣ وصعودا، ولكن لاتزال إيران تجدد سنويا في الامم المتحدة ملف الحالة بين العراق وإيران لكي يبقى مدرجا على أجندة مجلس الأمن ، ويأتي ذلك خشية من مجيء حكومة مناهضة لإيران في العراق، بمعنى أن إيران قد تعد العراق عدوا محتمل لها، لأسباب ذات صلة بسياسته الخارجية مع الأخذ بنظر الاعتبار احتمالية ميله نحو الخليج كما حدث في الثمانينات أو انخراطه مع المعسكر الغربي وابتعاده عن إيران.[١] وبقدر تعلق الامر بالتوازن يمكن تحديد جملة من الثوابت التي ترتبط بالدرجة الأساس بالتوازنات الإقليمية ودور العراق كدولة موازنة فيه والتي تتمثل بما يأتي :[٢]

(١) إن الأصل في لعبة التوازنات في الشرق الأوسط هي التوازنات البينية وليس التوازنات الدولية.

(٢) إن القوى الإقليمية في الشرق الأوسط، لم تكن مدفوعة بخطر التوازنات في النظام الدولي، بقدر ما كانت مهتمة بخطر التوازنات الإقليمية في الشرق الأوسط.

(٣) إن القوى الإقليمية في الشرق الأوسط عادة ما تلجا الى التوازن ضد القوة الإقليمية الصاعدة التي تستشعر الخطر منها ، حتى لو كانت حليفتها. فقد قاد حلف بغداد المعلن عام ١٩٥٥ الى تشكيل تحالف من قبل مصر لمنع هيمنة العراق على المنطقة، وبالعكس قاد سعي مصر للهيمنة على المنطقة إلى تشكيل تحالفا ثلاثيا من قبل العراق والسعودية والأردن

---

[١] ..د كرار أنور البديري , مصدر سبق ذكره , ص ٢٤٣

[٢] . المصدر نفسه , ص ٣٠١

لمنع هيمنة مصر على المنطقة، بالرغم من إن السعودية في تلك الفترة كانت حليفا لمصر الناصرية التي كانت مسخرة كل امكانيتها للحرب في اليمن لإرضاء الجانب السعودي رغم ان العدو الأكبر والأخطر لمصر هو الكيان الصهيوني .

(٤) إن القوى الإقليمية في الشرق الأوسط تعتمد على التحالفات البينية الموازنة والمتمثلة بالقوة التعديلية أو الصاعدة، وإذا لم تنجح تستعين بالقوى العظمى الموازنة القوة الإقليمية الصاعدة.

(٥) إن التحالفات بين القوى الإقليمية في الشرق الأوسط هشة جدا، أو يمكن القول إنها تحالفات تكتيكية أكثر منها استراتيجية، وسرعان ما تتحول هذه التحالفات ضد الطرف الأقوى، لعزله وموازنته وهذا ما اتضح جليا في الحرب العراقية الإيرانية حيث كانت كل دول الخليج الى جانب العراق وتحولت جميعها لاحقا ضد العراق بعد اجتياحه للكويت .

(٦) أن استراتيجية التوازن في الشرق الأوسط عادة ما تقود الى توازن مضاد من قبل أقرب الحلفاء، وهو ما يمكن ملاحظته وكما بينا في اعلاه في العلاقة بين العراق ودول الخليج بعد الحرب الإيرانية العراقية. فقد دخل العراق ودول الخليج في تحالف ضد الصعود الإيراني، ولكن خروج العراق من الحرب واستشعار دول الخليج بالخطر من هيمنته أدت الى الدخول في تحالف مضاد ضده بالتعاون مع القوى الغربية.

(٧) إن العراق في العهد الملكي كثيرا ما استعان بالقوى العظمى لموازنة القوى الإقليمية المنافسة له في الشرق الأوسط سواء في دخوله الى حلف بغداد او توقيع معاهدة بورتسموث عام ١٩٤٨ او محاولاته لتشكيل الاتحاد العربي مع الأردن بمساعدة بريطانية .

(٨) إن العراق في العهد الجمهوري اتخذ سياسة التوازنات البينية لموازنة القوى الإقليمية المنافسة له في الشرق الأوسط كان اخرها مجلس التعاون العربي الذي ضم مصر والأردن واليمن رغم انه لم يتجاوز الاطار الشكلي دون القدرة على فرض نفسه كقوة توازن فاعلة .

(٩) إن العراق في ظل حكم نظام البعث اتبع سياسة الاستعانة بالقوى العظمى الموازنة القوى الإقليمية المنافسة في الشرق الأوسط، ولكن سرعان ما عاد الى التوازنات البينية لموازنة منافسيه في المنطقة، وسرعان ما ارتد عليه نموذج دولة الموازنة عقب انتهاء الحرب مع إيران، بعد أن أضحت قوته تشكل تهديدا لأمن المنطقة، مما قاد العراق الى خطر التخلي عنه.

(١٠) تاريخيا أنتج نموذج دولة الموازنة الذي اتبعه العراق صراعا إقليميا وصل لمرحلة الحرب. واستمراره قد لا يعيد نفس النتائج، وإنما قد يجهز على الدولة العراقية بسبب الضعف الذي انتابها منذ العام ٢٠٠٣، وحتى الوقت الحاضر.

اما عن سمات العراق التي تمنحه القدرة ليكون كبلد محوري قادر على ان يعمل في اطار التوازنات القائمة او المستقبلية فهي: [١]

١. انه يقع في قلب منطقة الشرق الأوسط الكبير ويعد العامل الرئيسي لقياس مدى الاستقرار للمنطقة بصورة عامة .
٢. يشكل مدخل رئيسي لدول المواجهة تجاه الشرق والشمال مع تركيا وايران .
٣. يؤثر وضع العراق بما له من أهمية في المنطقة الممتدة من ايران شرقا وحتى مصر غربا واحيانا ابعد من ذلك.
٤. شكل خلال مرحلة مكافحة الإرهاب وتصاعد مد القاعدة وداعش نقطة انطلاق لتغيير موازين القوى وإيقاف حالة التمدد للتنظيمات الإرهابية .
٥. يمتلك إمكانيات تطور في مقومات القوة مشروطة بالاستقرار السياسي يمكن ان تكون ذات تأثير كبير في رسم ملامح خارطة الدول الأكثر تأثيرا في المحيط الإقليمي .

[١] . د حيدر علي حسين , اتجاهات جديدة - اولويات سياسية عراقية لأداء استراتيجي فاعل , مطبعة سيماء , بغداد , ط١, ٢٠٢٢, ص٢٥

- **التوازنات البيئة الإقليمية**

إن التاريخ السياسي لمعظم بلدان الشرق الأوسط ولا سيما العربية منها - قد بدأ مع انهيار الدولة العثمانية ونهاية الحرب العالمية الأولى وهو التاريخ الذي شهد ظهور الوحدات السّياسية في المنطقة بالنحو المتعارف عليه حاليا، وإنَّ المنطقة ووحداتها السّياسية ومنذ تكوينها قد تعرضت إلى صراعات متلاحقة، فالصراع العربي والإسرائيلي، ثم الحرب العراقية الإيرانية، وبعدها حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، والحرب التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية على الإرهاب بعد أيلول ٢٠٠١، ثم حرب اجتياح العراق واحتلاله ،٢٠٠٣ هي من أبرز الأحداث والتفاعلات التي شهدتها المنطقة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت أخطر تلك الحروب على التوازن في الشرق الأوسط هي حرب الخليج الثانية ١٩٩١، حيث خرج العراق أكبر قوّة إقليمية من معادلة توازن القوى وأدت إلى تنامي الاستقطاب الإقليمي، وانتشاره أفقيًا وعلى مستويات غير مسبوقة ، وكان من تداعيات تلك الحرب عودة الموازن الخارجي الأمريكي خياراً مقبولاً على صعيد حماية أمن الخليج والدول الأخرى في المنطقة وهذه المرة الأولى بعد انسحاب بريطانيا من شرقي السويس في منتصف الخمسينيات تعود التكتلات والتوازنات لتلعب دورا حيويا في الأوضاع الجيوستراتجية في المحيط الإقليمي للعراق ، وإنَّ من آثار تلك الحرب على التوازن ارتفاع وتيرة الإنفاق العسكري؛ بسبب الهواجس الأمنية، وتضخمها لدى دول المنطقة، ومن تداعيات الحرب انعقاد مؤتمر مدريد للسلام ، وقبول الدول العربية الجلوس مع الكيان الصهيوني ، فضلاً عن دفع فاتورة الحروب الباهظة، وتراجع مشاريع التنمية الاقتصادية والتعاون بين دول المنطقة.[١]

[١] . فراس الجحيشي , مصدر سبق ذكره , ص ١١٣

إن الطابع العام لمنطقة الشرق الأوسط هو سيطرة الخلافات الأيديولوجية، والسياسية، والخصومة على أنظمتها الحاكمة؛ مما يحول دون إقامة تحالفات أو تكتلات ثابتة، وقد فشلت عدة تجارب بهذا الصدد مثل "جبهة الصمود والتصدي"، و "مجلس التعاون العربي" ، وحتى تجربة مجلس التعاون الخليجي الذي نجح نسبيًا، ولكن سرعان ما تعرضت إلى الخلافات السعودية - القطرية المتصاعدة، والعجز عن معالجة الانتكاسة القائمة في استكمال بناء المؤسسات الاقتصادية الموحدة، والقوة المشتركة، رغم ان الدوافع الأمنية كانت الدافع الأساسي من وراء تأسيسه، وقد ارتبط ظهوره بأمن الدول الخليجية بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران واندلاع الحرب العراقية الإيرانية ولم تتم دعوة العراق لعضوية المجلس تجنبًا لاستفزاز إيران من جهة والخشية من هيمنة العراق الدولة الإقليمية الكبرى والأكثر تأثيراً وثقلا من دول الخليج في وقتها من جهة ثانية ، وبما أن منطقة الخليج تعدُّ من أهم القواعد الرئيسة في التوازن الدولي والإقليمي فإنَّ تأسيس مجلس التعاون قد أوجد عبئًا استراتيجيًّا على منطقة الشرق الأوسط نتيجة استقطاب القوى العظمى للنفوذ فيها والسيطرة عليها. إن الوجود العسكري الدولي ولا سيما الأمريكي في الشرق الأوسط وفي منطقة الخليج وحولها ، وما يمارسه هذا العامل الخارجي من تأثيرات واسعة النطاق على تفاعلات الدول جعل من هذا العامّل معلماً رئيسا في الإقليم، إذ إنَّ الدور المهم للاعبين من خارج المنطقة أمريكا وروسيا وأوروبا - يبدو كأنَّه جزء من مفهوم الشرق الأوسط، فمواقف الدول الكبرى تترك تأثيرات خاصة على التفاعلات الرئيسة في الإقليم، وكأن تلك الدول الكبرى واحدة من أطرافه بالمعنى الجغرافي .[1]

إن منطقة الشرق الأوسط مرشّحة لمزيد من الأزمات مستقبلاً؛ لعاملين :[2]

---

[1] . المصدر نفسه , ص ١١٤

[2] . د عباس حسن البياتي , مصدر سبق ذكره , ص ١٧٢

الأول: الاختلاف الكبير على المصالح بين الأطراف الإقليمية، وعدم إمكانية إيجاد صيغ وتكتلات مشتركة للتعاون والتحالف بالاستفادة من تجارب ناجحة في أوروبا، والبلقان، وأمريكا اللاتينية.

الثاني: تعمق الخلل في التوازن الإقليمي بعد الاجتياح الأمريكي للعراق ٢٠٠٣، وما نجم عنه من تداعيات كثيرة، منها: دخول دول المنطقة في مواجهة مع عدو جديد هو الإرهاب.

ويعتمد تقييم التوازن الإقليمي في الشرق الأوسط على عناصر القوة الشاملة للدولة، التي يستند إليها مفهوم التوازن من جهة، ومن جهة أخرى إلى المؤثرات الخارجية التي يفرضها توازن القوى الدولي، وعلى أساس ذلك يمكن الإشارة إلى معالم التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط في العقود الأخيرة، والتي تتلخص في الآتي :

١. غياب إطار التكامل والتكتل العربي مما يجعل العالم العربي رازحا تحت واقعه المتجزأ.
٢. إنَّ القوة التي يمتلكها هذا التكتل الغير المعلن غير فاعلة في مواجهة طموح واطماع الدول غير العربية المهيمنة على الإقليم، والتي تمثل مراكز القوى في المنطقة مثل "إيران وتركيا، وإسرائيل".
٣. على الرغم من التفوق العسكري الإسرائيلي والبيئة الاقتصادية الجيدة لها، لكن التهديدات لأمنها جعلت بيئتها الاستراتيجية أكثر تعقيدًا؛ وذلك لتراجع حل القضية الفلسطينية، والتقدم العسكري الإيراني وفصائل المقاومة الوطنية والإسلامية ، وتضرر صورة الردع الإسرائيلي في الحروب الصغيرة ، وقد تبين ذلك جليا في حربها على لبنان ٢٠٠٦
٤. يعتبر الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة مع قواعد عسكرية فيها احد المعطيات الأساسية في معادلة التوازن الإقليمي، ويتيح لأمريكا حرية الحركة في مواجهة تهديد

أمنها القوميّ، ويوفر وجودها العسكري في العراق مركزاً استراتيجيا في إعادة الانتشار بالشرق الأوسط.

٥. انعكاس الصراع الأمريكي الإيراني على الوضع الأمني في المنطقة سبب السعي لتوسيع دائرة النفوذ والتحكم بتدفق الإمدادات النفطية إلى أوروبا، وتهديد أمن إسرائيل عبر حلفاء إيران، وهكذا فإن إيران تبحث عن دور الدولة المهيمنة إقليمياً الذي يصطدم بركائز الاستراتيجية الأمريكية ومصالحها الحيوية في الشرق الأوسط، فضلا عن الاصطدام مع الدول المنافسة لها كالسعودية وتركيا.

٦. التراجع الأمريكي في العراق مع اختزال واضح للأهداف الأمريكية والبريطانية من دخولهما العراق، ومنها: العمل على هندسة الشرق الأوسط انطلاقا منه.

- **العراق والتوازنات الإقليمية**

إن التوازن مهما كانت طبيعته ثنائياً أو متعددا فإنَّه يتشكل من مراكز قوى رئيسة متصارعة ومتسابقة على مراكمة القوة، وإلى جانب القوتين الرئيستين سواء كانت دولتين أم تحالفين وكتلتين يبرز طرف ثالث ربما كان أقل قوة من الخصمين المتنافسين غير أن باستطاعته أن يؤدي دوراً مهما من خلال الحياد المرن بينهما ، وإن ذلك لا يعني الوقوف في نقطة منتصف الميزان، بل هو الحياد المتحرك من خلال التحالف هذا الطرف أو ذاك؛ بحسب حركة التوازن، وطبقًا لما تفرضه عليه مصالحه الوطنية، وإنّ هذا الطرف الثالث المحايد المتحرك مرة يمينا وأخرى يسارًا هو ما يطلق عليه بالموازن أو حامل الميزان؛ لأن دوره و سياسته الاحتفاظ بميزان القوى في حالة تعادل أو شبه تعادل بين مع هي الطرفين المتصارعين عبر طريق تحركه السريع والاصطفاف مع الطرف الضعيف.[١] اذا ما نظرنا الى

[١] . إبراهيم أبو خزام , مصدر سبق ذكره , ص ١٥٥

العراق فأننا نجد انه قادر على الدخول في العبة حامل الميزان تتطلب توافر جملة شروط، من أهمها: [1]

- شرط القوة: إن حامل الميزان ينبغي أن يكون قوياً إلى حد ما، بحيث تصبح قوته حاسمة في ترجيح كفة الصراع ومهما كانت قدرات القوتين، لكن ليس بالضرورة أن تكون قوّته متعادلة أو شبه متعادلة مع إحدى القوتين، فشرط القوّة ضروري لحماية استقلال الموازن في مواجهة الأقطاب المتنافسة. ومعنى القوة ليس فقط القوة العسكرية فحسب بل القوّة بعناصرها الشاملة.
- الإرادة السياسية: أن يمتلك حامل الميزان إرادة سياسية قوية للقيام بهذا الدور، ومصممة عليه، ومدركة لأبعاده وفوائده، فمن دون ذلك قد يتطرف الموازن في ذروة الصراع وينحاز إلى أحد الأطراف لتحطيم الطرف المقابل، وإذا حصل ذلك فإنَّه سيفتح الطريق للمنتصر القوي كي يكون الطرف المهيمن وبالتالي يضطر الموازن إلى الاستسلام للهيمنة فيما بعد.
- إتقان سياسة العزلة: ويقصد به عدم الارتباط الدائم بأي طرف من أطراف الصراع، فسياسة الموازن يقتضي إتقان الحركة السريعة فعزلة التوازن هي. عزلة السياسة الذكية، وتوقيت عقد التحالفات المرحلية وامتلاك القدرة على تغيرها في الوقت المناسب.
- الموقع الجغرافي: سياسة الانعزال اليقظة : أن يكون مدعومًا بموقع جغرافي حصين واستراتيجي، وهو عامل مساعد موضوعي ويمكن الاستعاضة عنها بحصانة من نوع آخر وليس بالضرورة أن يكون جزيرة معزولة بالمياه مثل بريطانيا، ولكن يبقى للعامل الجغرافي دورة الأساس في القيام بدور الموازنة).

[1] . د عباس حسن البياتي , مصدر سبق ذكره , ص ١٧٥

إن أداء العراق دور حامل الميزان يتعلق بمدى أهميته لدى الأطراف الرئيسة لبيئته الإقليمية التي تتشكل . من إيران وتركيا والسعودية وسوريا، والأردن، ومصر، وإذا أراد أن ينهض بدور حامل الميزان فيقتضي منه أن يكون محايداً في صراع القوّة المتنافسة في الإقليم ولا سيما بين إيران والسعودية، أو إيران وتركيا، أو السعودية وتركيا بحيث كل دولة أو طرف تحسب الموقف العراقي، وذلك للحفاظ على توازن القوى عبر وقوف العراق في منتصف الميزان، وإن العراق يمتلك عدة مقومات ومنها: الموقع الجغرافي الاستراتيجيّ، وإمكانيات هائلة، وقدرات كامنة تجعله مؤهلاً للقيام بهذا الدور تبعًا لطبيعة الظروف المحيطة به. وبالشكل الذي يجعله قادرًا على التحكم بلعبة التوازن. وإن التنافس على النفوذ بين دول البيئة الإقليمية تعتمد على الأبعاد الطائفية والقومية والإثنية من جهة، ومن جهة أخرى على تداخل مصالح القوى الكبرى، واستنادًا لهذين البعدين يمكن للعراق أن ينهض بدور الموازن الإقليمي، إذ بات الجميع يدرك أهمية العراق لمصالحهم الأمنية ولا سيما مع هزيمة داعش والإرهاب ولمصالحهم الاقتصادية بما يملكه من ثروة نفطية غزيرة، وإنّ دول الإقليم سبق أن تعاونت على إجهاض هذا الدور الموازن، كما وجدت أنَّ العراق يرمي بثقلة لصالح إحدى القوى الإقليمية بالضد من مصالح القوى الأخرى.[1]

وإن أهمية الحفاظ على دور العراق كنقطة توازن والحرص على وحدته باتت ضرورة إقليمية؛ لأن إضعاف ذلك سيخضع جميع دول الجوار العناصر ضعف استراتيجية، وإن للمتغيرات الدولية ولا سيما الأمريكية اثرها الفاعل في تظهير الدور العراقي كموازن ضمن بيئته الإقليمية، ففي أثناء الحرب الباردة والقطبية الثنائية كانت للعراق فرصة في التحرك على دول الإقليم، وترتيب نسق من العلاقات مع هذا الطرف أو ذاك، وكان يتم الأمر بسهولة

[1] . إبراهيم أبو خزام , مصدر سبق ذكره , ص ١٦١

بفعل دعم هذا الدور أو التقائه كلا أو جزء مع مصالح هذه القوة الدولية أو تلك سواء كانت بريطانيا أم روسيا أم أمريكا، في منطقة تتسم بالحساسية الشديدة، وتشكّل عقدة مصالح لجميع القوى الفاعلة في النظام الدولي، وكانت في ظلّ الثنائية القطبية فرصا لقيام بدور الموزان أكثر؛ وبعد انهيار التوازن في العلاقات الدولية؛ بسبب تفكك الكتلة الاشتراكية، وظهور النظام الدولي الجديد ذي القطبية الاتحادية بقيادة أمريكا فتأثرت التوازنات الإقليمية بذلك، وانحسرت فرص العراق، وأصبح الجميع يطلب ود أمريكا، ويريد التعامل المباشر معها بلا وسطاء، وجاء غزو الكويت وقد قضى على الدور العراقي وشطبه من معادلة القوّة، وفرضت عليه العزلة؛ بسبب الحصار والقرارات الدولية التي نزعت سلاحه وشطبت على دوره .

لقد أصبحت هناك قيود ثقيلة على الدور الإقليمي للعراق، إذ تفاقمت أزماته الداخلية وتم استثمار الطبيعية السكانية التعددية كعنصر الأضعاف ذلك الدور، بدلاً من أن يتم توظيفها كعامل قوة في التأثير على دول الجوار نفسها، وأصبح العراق عرضة للانكشاف الاستراتيجي أمام دول الجوار كافة بفعل الأزمات والمشكلات مع جواره، منها: الخلافات الحدودية، والأقليات ومشكلات المياه، إذ تقع منابع المياه لأنهره الكبيرة في تركيا، ومياه الروافد الصغيرة في إيران مما . بحاجة إليهما بهذا الصدد . وإن قرب مدنه الرئيسة من الحدود التركية والإيرانية كان له أثره المضاعف في هذا الانكشاف الاستراتيجي، والتأثير السلبي على أمنه الإقليمي، وإن إعادة تأهيل الدور الإقليمي للعراق يتطلب منه فضلاً عن قدراته وإمكانياته، وطبيعة الأوضاع الإقليمية الاستفادة من الحالة القائمة واجبار الدول الكبرى على النظر اليه كدوله لها القدرة على لعب دور إقليمي متميز ، كما حصل في الاستفادة من موسكو عند توقيعه معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي السابق ١٩٧٢ ، وقبلها عضويته في حلف بغداد ١٩٥٥ إلى جانب بريطانيا وبرعاية الأمريكية . إنَّ العراق في ظلّ النفوذ الأمريكي أضعف قدرة على القيام بدور إقليمي فاعل ومستقل

يؤمن أهدافه، ويعبر عن ذاته إقليميًا؛ لأن طبيعة المدرك الأمريكي حيال العراق ومهمته الإقليمية ينطوي على إرادة ورغبة الإعادة بنائه على نحو ينسجم وتصورات صانع القرار الأمريكي للمنطقة، وهي تصورات وإجراءات تهدف إلى إضعاف قدرات الأطراف الإقليمية بالمنطقة باستثناء الكيان الصهيوني ، وتهدف أيضًا إلى إعادة ترتيب المنطقة على أسس بعيدة عن ثوابت المنطقة القيمية والفكرية والسياسية؛ لذا فإنَّ فرصة بناء العراق لدوره الإقليمي ستتحدّد وتتقيد بالمتغير الأمريكي.

إن أداء العراق دور حامل الميزان يتطلب النظر إليه من أكثر من زاوية إذ يؤدي المتغير الجيوبولتكي للعراق دوراً فاعلاً نحو الإبقاء على العراق ضمن هذا الدور سواء أكان قوياً ذا قدرات أم ضعيفًا منهكا بأوضاعه الداخلية، فإنه حسب العناصر الجيوبولتيكية التي تربط دول الجوار ذات التداخل الطائفي والقومي والاقتصادي مع العراق سيبقى مؤهلا لدور الموازن الإقليمي، ويساعده في ذلك تناقض الاتجاهات والمصالح فيما بين الدول المجاورة للعراق، شريطة أن يحسن أداء السياسة الخارجية على قاعدة الموازن أو حامل الميزان، وإن إقصاءه عن هذا الدور أو تفتيت وحدة العراق ينعكس سلبًا على دول الجوار نفسها، ومن متطلبات نجاح هذا الدور اعتماد مشاريع استراتيجية للتعاون التدريجي مع دول المنطقة. مع مراعاة تعقيدات الواقع الإقليمي ومعطياته وتحدياته الكثيرة، وأن تعتمد هذه الاستراتيجية على صياغة وظيفة اقتصادية محورها الاعتماد المتبادل بين دول المنطقة . وإن السياسة الخارجية للعراق منذ تأسيس هذه الدولة وطوال القرن العشرين تظهر بوضوح الترابط بين العوامل المحلية ومخرجات السياسة الخارجية.

- **العراق وهيكلية القوة في المنطقة**

إنَّ احتلال العراق وحلّ قواته المسلّحة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية قد أخل بنحو كبير بميزان القوى الذي كان قائماً في المنطقة من إيران إلى مصر، على الرغم من هشاشة

وضع هذا التوازن منذ عام ١٩٩١ بسبب اختلال القدرات العراقية بعد غزو الكويت وحرب الخليج الثانية ,وقد استفادت من انهيار توازن القوى في المنطقة ثلاث دول هي إيران وتركيا، والكيان الصهيوني ، التي استطاعت أن تمد نفوذها بنحو كبير في المنطقة، فإن العراق بعد خروجه من حسابات توازن القوى قد خلق نوعا من توازن القوى في القدرات العسكرية التقليدية بين تركيا وإيران، وأحدث فجوة قوّة بين إيران ودول الخليج مع تفوق إيراني في مجال القدرات وبناء الأذرع السياسية والمسلّحة، وتوسيع النفوذ، وامتلاك إمكانيات الدفاع عن البلاد من خارج حدودها، وقابلية الردع ، فخروج العراق من خريطة التوازنات الإقليمية أوجد أوضاعاً سياسية وعسكرية جديدة، إذ صعدت قوى وهبطت أخرى ، وظهرت دعوات إلى إعادة رسم خريطة المنطقة في الخطاب السياسي الأمريكي وتم تداول عبارة (سايكس بيكو جديد المنطقة) وكانت دلالة هذا المصطلح تشير إلى خيارين أساسيين:[١]

الأول: إعادة رسم الحدود الجغرافية للمنطقة، وما يؤدي إلى ظهور دول جديدة وصغيرة، واختفاء دول كبيرة.

الثاني: تغيير الأنظمة السياسية القائمة ، وليست خرائطها الجغرافية. وإعادة التشكيل السياسي في البيئة الإقليمية، وهكذا برز الدور الأمريكي لعنصر مهيمن على التوازن الإقليمي.

وحينما تم حلُّ الجيش لم يكن بالحسبان ظهور الحركات الإرهابية ومقاومة المحتل وتدفق المقاتلين إلى العراق من دول الجوار، إذ لو كان الجيش موجوداً كان بالإمكان مواجهة التمرد في مهده، واحتواء العنف، وفرض الأمن والاستقرار، غير أنَّ الرؤية الأمريكية للعراق كانت تقتضي التخلص من جيش مؤدلج بالولاء السياسي الذي يمكن أن يشكل خطراً على النظام الجديد، وعلى تهديد جيران العراق، ويقف عائقا أمام المشروع الأمريكي فيما يتعلق بالشرق

[١] .د عباس حسن البياتي , مصدر سبق ذكره ج١ , ص ٨٦

الأوسط . ، وإن نزع سلاح العراق جعله مكشوفاً أمام دول الجوار التي استغلت ذلك لملء الفراغ عبر دعم المجاميع المسلّحة. وإن فراغ القوة وضعف السلطة في العراق دفعا بدول المنطقة إلى الانخراط في الصراع والتسابق من أجل الحصول على دور في مهمة ملء هذا الفراغ؛ تعزيزاً لمصالحها، وحفظاً لوجودها، وسعيا إلى المزيد من النفوذ في العراق، وإن توسع الوجود الإيراني أسهم في زيادة التدخل السعودي، وانخراط بقية الدول الجوار الست بالشأن الداخلي العراقي مما أدى إلى احتدام التنافس الإقليمي.[١]

وعلى الرغم من وجود القوة العسكرية الأمريكية على الأرض في العراق غير أنها لم تستطع أن تمنع التزاحم الإقليمي على النفوذ فيه سواء الإيراني أم التدخل التركي في شمال البلاد، في رسالة واضحة لمن في : داخل العراق وخارجه أنَّ تركيا تستطيع التدخل عسكرياً وقت ما تشاء، كما تدخلت سوريا (قبل عام ٢٠١١) ودول عربية أخرى في زعزعة الأمن والاستقرار في العراق؛ لأسباب لها علاقة بأجندة كلّ ،دولة، وذلك عبر الدعم المادي والسماح بعبور المقاتلين والإرهابيين عبر الحدود، ونقل السلاح وايواء قيادات المجاميع المسلّحة والإرهابية في عواصمها ومدنها.[٢]

إن التداعيات الأمنية التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط انطلاقًا من العراق قد تجاوزت مسألة الانشطار الطائفي والعرقي إلى خلق واقع مرتبك أمنياً وعسكرياً في المنطقة، وقد تمثلت بدخول المنطقة في مجالين لاختبار القوة العسكرية المحدودة للولايات المتحدة الأمريكية عبر حلفائها الاستراتيجيين (إسرائيل، وتركيا) ، وذلك في أثناء حرب اسرائيل على لبنان في تموز عام ٢٠٠٦ التي ! انتهت لصالح لبنان ومقاومتها وكذلك في العمليات العسكرية الواسعة لتركيا في شمال العراق عام٢٠٠٧ والتي لاتزال قائمة حتى الان ، التي لم تحقق

---

[١] . علي عبد الأمير علاوي , احتلال العراق ربح الحرب وخسارة السلام , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت , ط١ , ٢٠١٢, ص ٢٣٨

[٢] . المصدر نفسه , ص ٢٣٨

أهدافها في القضاء على حزب العمال الكردستاني الذي استفحل دوره وقويت ،شوكته وامتدت مساحات انتشاره، ومن التداعيات أو الارتدادات الأخرى للأزمة الأمنية والسياسية العراقية هو تعرض الهوية الوطنية والتماسك الاجتماعي لدول المنطقة إلى الاهتزاز والاختلال، وظهور منظومات فكرية وسياسية جديدة تحاكي واقع الانقسام والانشطار الطائفي والعرقي في البيئة الإقليمية، مهمتها خلق أجواء ومناخات سياسية واهتمامات ومشاعر تحرف بوصلة الصراعات والعداوات السائدة في المنطقة إلى وجهة جديدة؛ مما دعا الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى إلى التنبيه بمخاطر استبدال الصراع العربي الإسرائيلي بالصراع العربي الإيراني بحجة البرنامج النووي في وقت أن إسرائيل تمتلك بالفعل مخزوناً نووياً هائلاً ومرعباً تهدّد به دول المنطقة .[1]

ومن آثار فراغ القوّة أن المنطقة ودول الجوار العراقي دخلت في سياق جديد للتسلّح وباتجاهين متعاكسين، الاتجاه الأوّل: وهما إيران وسوريا اللتان سارعتا إلى تعزيز قدراتهما العسكرية ومخزون أسلحتهما، وتطويرها استعداداً لأسوأ الاحتمالات التي قد تضطرهما إلى مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية بشأن الملف العراقي، وطريقة التعاطي الأمريكي مع تلك الدول في إدارة ذلك الملف، والاتجاه الثاني: وهي دول الخليج والأردن بزيادة مخزونها التسليحي خشية اندلاع حروب جديدة في المنطقة ولا سيما من قبل دول الاتجاه الأول، وكان هذا التسابق بتشجيع من القوى العظمى لمواجهة تهديدات الدول الإقليمية التي تصنّف في خانة الأعداء، أو الجهات الداخلية المتمردة وفي هذه الأجواء الأمنية المتوترة، والسعي للتسلّح والاستعداد للحرب فإن اللقاءات والمؤتمرات الإقليمية بشأن العراق بين دول الجوار كانت تدور في دائرة مغلقة، ولم تتمكن من تهدئة الهواجس الأمنية لدول المنطقة

[1] . سرمد عبد الستار امين , العراق بوابة التغيير في الشرق الأوسط , مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية جامعة بغداد , ٢٠١٢ , ص ٥١

وعند المقايسة في ميزان القوى الإقليمي بين العراق ودول الجوار يتبين فرق شاسع من حيث الإنفاق العسكري ونسبته من الناتج المحلي العام وكذلك الفرق بحجم القوات البرية والجوية والبحرية، ونمط التسليح وحداثتها، والتصنيع العسكري وتطوره لدى بعض القوى الإقليمية مقارنة بالعراق، وإن اللحاق بقدرات دول البيئة الإقليمية صعب جدا لأنه يتطلب معدّلات إنفاق عسكرية تقترب من ١٠ مليارات دولار وبمدى زمني بين (١٠ - ١٥) عاماً حتى يمكن إيجاد تراكم مقبول في القدرات ولكن في هذه المدة تكون إيران قد تجاوزت إلى مرحلة امتلاك قدرات التدمير الشاملة، وتركيا تحت مظلة الناتو قد استحدثت أسلحتها وتنامت قدراتها وأصبح الكيان الصهيوني يبيع السلاح المتطور إلى الدول الأخرى، ولمواجهة هذا الاختلال الكبير في توازن القوى الإقليمية فإن أمام العراق ثلاثة خيارات هي: تعطيل البناء والإعمار والتنمية لصالح خيار بناء القدرات العسكرية، وهذا له تبعات اجتماعية واقتصادية وأمنية، أو الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية في حماية العراق، أو الدخول في علاقات سلام تام مع دول الجوار وتقديم تنازلات وإغراءات للحفاظ عليها وكلُّ خيار من هذه الخيارات يفرض التزامات وسلوكًا سياسيا يستدعي من العراق التقييد بها في محيطه الإقليمي عند ممارسته لأدواره .

## المبحث الرابع

## الازمات الداخلية والقدرات الجيوستراتجية العراقية لمجابهتها

بحكم الطبيعة القسرية والمبنية على عبادة القائد الأوحد فقد ورث العراق بعد سقوط النظام الصدامي ذو التوجه الدكتاتوري الكثير من الازمات الداخلية التي كادت ان تعصف بكيانه المعنوي حتى وصل الامر الى ان تقوم جهات عالمية متنفذة ومنها الولايات المتحدة الامريكية ومن خلال اشخاص او مراكز دراسات بطرح أفكار لتفكيك العراق وتحويله الى مجموعة دويلات وكيانات متحاربة كما حصل حينما قدم (بايدن) مشروعه السيء الصيت لتمزيق العراق ورغم ذلك ورغم المعاناة التي ولدها دستور العراق لعام ٢٠٠٥ والذي ركز على المكونات اكثر بكثير من تركيزه على شعب عراقي واحد, الا ان هنالك نوع من التراجع في التحديات بمستوياتها واتجاهاتها المختلفة الا انها مع كل ذلك لاتزال تحد من ان يتقدم العراق الى الامام ليكون ذو مركز مؤثر ضمن محيطه الإقليمي .

- **التهديدات**

إن التهديدات المحتملة للأمن القومي التي يحتمل أن يتعرض لها أي بلد لم تعد قاصرة على التعرض للعدوان المسلح بل قد لا تتسم هذه التهديدات بالوضوح والعلانية كما في العدوان المسلح بل من الممكن أن تكون موجهة إلى النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية بهدف إحداث إخلال في أي من عناصر القوة للأمة وديمومتها. ويمكن إجمال التهديدات غير العسكرية التي يمكن أن يتعرض لها أي بلد إلى ما يلي:

أ. التهديدات الاجتماعية. وهي التهديدات الناجمة عن المشاكل التي ترتبط مباشرة بالتركيب الداخلي للمجتمع من الناحية العرقية والدينية ومن التخلف الاجتماعي وهي:

أولا. مشكلة الأقليات القومية.

ثانيا. مشكلة الأقليات الدينية.

ثالثا. مشكلة التخلف الاجتماعي. وهي تؤدي بشكل أساسي إلى عدم قدرة المجتمع على استغلال موارده و طاقاته بالشكل الأمثل وبالتالي سيؤدي إلى إبقاء المجتمع يعاني من الفقر والتخلف التكنولوجي وعدم القدرة على انشاء قوات مسلحة كفوءة كم يحصل الان في السودان والصومال ودول أخرى .

ب. التهديدات السياسية. وهي إما ان تكون داخلية عند وجود عدد من القوى السياسية المؤثرة على صنع القرار مع اختلاف الإيديولوجيات السياسية التي تتبناها هذه القوى إزاء المشاكل المطروحة. وهناك شكل آخر من التهديدات السياسية ذات المسحة الخارجية كالتي تنجم عن وجود الأطماع الخارجية في أراضي الدولة أو الناجمة عن صراع الدول الكبرى وهذا ما عانى منه العراق بعد الاحتلال .

ج.التهديدات الاقتصادية. وهذه التهديدات ذات شقين الأول داخلي يتعلق بمستوى معيشة الفرد داخل المجتمع ومن الملاحظ إن أكثر المجتمعات عرضة لأعمال العنف والقهر ناجم عن الحاجة إلى الموارد الأساسية كالأغذية أو المواد الحيوية كالنفط. ( مثل بعض الدول الإفريقية ) اما الشق الاخر هو ان الدولة أحادية الموارد مما قد يتسبب لها بأزمات اقتصادية كما حصل للعراق عند انهيار أسعار النفط عام ٢٠٢٠ .

د. التهديدات السياسية الجغرافية (الجيوبلتكس). وتنجم هذه التهديدات عن الأثر الناجم عن موقع البلد في السياسة الدولية وما يترتب على هذا الموقع من

أهمية تجعل منه هدفا للقوى الكبرى التي تسعى للسيطرة عليه. والملاحظ هنا إن هذا الخطر يزداد مع ازدياد عدد الدول المجاورة وموقع البلد بالنسبة للمواصلات العالمية والممرات البحرية والمساحات المائية التي يشرف عليها كما هو حال سوريا وأوكرانيا واليمن.وبقد تعلق الامر بالعراق فان من أبرز التحديات التي تواجه الأمن والسيادة العراقية[1]:

أولاً: تحديات داخلية تتمثل في:

١. الأطراف المسلحة: وهي متنوعة ومختلفة وإذا كانت المقاومة تجد مشروعيتها في استمرار احتمالية عودة الوجود الأجنبي وتعمل على الخلاص منه فيما لو عاود مجددا فرض ارادته على المسار السياسي ، فأن أطرافاً أخرى حملت السلاح لإرهاب المواطن ومن أجل تصفية الحسابات بين الأطراف السياسية، ولأن بعض الفصائل المسلحة تجاوزت مقتضيات الخلاص الوطني من المحتل لتصل الى مرحلة التسلط وفرض السيطرة بواسطة السلاح الذي ليس بمقدار الدولة التخلص منه او على الأقل تحييده , في حين ان فصائل أخرى ركبت منذ البدء موجة الإرهاب وأعلنت رفضها للأخر جملة وتفصيلا وباتت اللاعب الأكثر دموية في الساحة العراقية مثل القاعدة وداعش وجيش الطريقة النقشبندية وغير من التنظيمات الارهابية وجميعها تحتاج الى الدعم الخارجي للحصول على المال والسلاح . فهي وبمختلف توجهاتها ومسمياتها تمثل خللاً بمعادلة السيادة، لأن التناسب بين الأمن والسيادة

(١) غسان العربي، مستقبل العراق كمحدد لمستقبل المنطقة، مجلة شؤون الشرق الاوسط، العدد ١٢٩، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١.

طردي وكلما تحسن الوضع الأمني تعززت سيادة الدولة، وان الأمن الوطني مظهر رئيسي لحقيقة السيادة واستمرارها .[١].

٢. الصراع السياسي والخلافات بين الأحزاب واتخاذ هذه الخلافات ابعاداً طائفية أو عنصرية بل وصل الامر الى ان تكون بعض تلك الأحزاب أبواب للترويج لتقسيم العراق .

٣. التوسع الكبير عددياً على حساب النوع في التشكيلات الأمنية ، في الوقت الذي لم تحظ تلك التشكيلات الاجهزة الأمنية بالتدريب الكافي.

٤. المحاصصة وتشتت الولاء لاسيما بتوزيع واسناد المناصب وعلى مختلف المستويات مما جعل رجال إدارة الدولة لا يفكرون في الوطن بمقدار تفكيرهم وارتباطهم بالمذهب او العرق او لقومية او الدين .

٥. تعدد الأجهزة والوكالات الأمنية والاستخبارية وتعدد القيادات الراسية ومراكز اتخاذ القرار وغياب المهنية والاحترافية في الشأن الأمني زاد المسألة تعقيداً.

٦. غياب التنسيق العسكري والأمني لاسيما في تخويل المهام حيث انشغلت الكثير من قطعات الجيش بالأمن الداخلي تاركة الحدود وتأمينها رغم انها تمثل رمز من رموز السيادة .

٧. مشكلات اجتماعية مثل المهجرين في الداخل والخارج وانتشار واسع النطاق لمعسكرات اللاجئين والايواء دون مراقبة امنية محكمة، وظهور التغيير

---

(١) أمين محمد حطيط، الاتفاقية الامنية العراقية الامريكية وآثارها على السيادة والأمن العراقي والإقليمي، في ندوة بيروت، مؤتمر العراق والاتفاقية الامنية الامريكية العراقية المنعقد في بيروت، ٢٣-٢٠٠٩/٥/٢٤، سلسلة مركز العراق للدراسات (٣٦) ط١، مطبعة البينة، بغداد، ٢٠٠٩، ص٣٠.

الديموغرافي، والتجاوز على القانون، وانتشار الجريمة، والبطالة المتفشية لاسيما في المناطق التي سبق لها ان عانت من الإهمال في ظل النظام السابق .

٨. مشكلة البطالة الحقيقية والمقنعة والتي لا يعاني منها العراق فحسب بل اغلب الدول التي خرجت من عباءة الأنظمة الشمولية ، فضلا عن عدم إيجاد حلول جذرية لمنتسبي الدوائر المنحلة، والإهمال المقصود للقاعدة الصناعية والزراعية من قبل المتنفذين في مجال الاستيراد من الدول المجاورة تعطيل المصانع.

٩. الاتفاقية الامريكية العراقية وتداعياتها والتي اعطت الحق للسلطة الامريكية بأن تتصرف بمفردها حيال ما تراه هي تهديد داخلي او خارجي بعد إجراء (مداولات استراتيجية بين الطرفين)، ولم تنص الاتفاقية على حق العراق بالقرار بل انها مجرد مداولة ما قبل التصرف وليس الاتفاق[١], وقد اثبتت هذه الاتفاقية فشلها في اول مواجهة حقيقة بين القوات المسلحة العراقية وتنظيمات داعش الإرهابية حينما تخلت الإدارة الامريكية كليا عن تقديم أي مساعدة تذكر للجيش العراقي الذي تعرض حينها لأقصى هزيمة في الوقت الذي انشغلت القوات الجوية الامريكية في تقديم الدعم السريع لقوات البيشمركة بعد ان داهمت مجاميع داعش حدود إقليم كردستان العراق .

١٠ . التحديات الخارجية ذات التاثير الداخلي , رغم اننا لسنا بصدد التوسع في تبيان التحديات الخارجية التي تعاني منها الدولة العراقية الا ان البعض من تلك التحديات نجدها ذات تأثير على مكانة العراق في محيطه الإقليمي حيث تقف

(١) أمين محمد حطيط، مصدر سبق ذكره، ص٣٩.

الكثير من العوامل الخارجية عائقاً امام العراق وإمكانية تحقيقه للأمن والسيادة وفي مقدمة هذه التحديات[١]:

أ. وجود الشركات الأمنية الخاصة بديلاً عن قوات الاحتلال أو شكلاً أخر لها، وارتباطها بالسفارة الأمريكية الاكبر حجماً وعدداً بكل دول العالم، فضلاً عن تغلغل رجال المخابرات الأجنبية من شتى دول الإقليم لزعزعة الأمن في العراق ورغم انحسار هذه الظاهرة الى ادنى مستوياتها الا انها تشكل علامة عدم اطمئنان في سياق صعود العراق كقوة إقليمية فاعلة .

ب. تدخلات دول الجوار للعراق، وهي كثيرة ومتنوعة ولا يستثنى أية دولة من هذا التدخل، كما يحدث كثيراً من قبل إيران وتركيا والكويت والسعودية الاردن، او قيام دول أخرى بنشاط استخباري، او تبني فئات سياسية او طائفية او قومية ودعمها مادياً وسياسياً لتحقيق مصالحها، وإن بعض السياسيين في العراق اصبحوا سبباً في إثارة المشاكل للمجتمع بدل ان يسهموا في حلها[٢].

ج. جماعات الجريمة المنظمة التي استغلت انفتاح الحدود والفوضى الأمنية فدخلت الى العراق مع مخطط واسع لنشر الجريمة وإدخال المخدرات، وعمليات الاتجار بالبشر والخطف والابتزاز والاغتيالات[٣].

ومن نافلة القول فأن من ضرورات استقرار اي دولة توفير وحضور الأمن الوطني،

---

(١) سامي الخفاجي، الإحتلال الامريكي ومستقبل العراق، ط٢، دار آمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص ٢٨٠.

(٢) ابراهيم خليل العلاف وآخرون، مخاطر خطاب المكونات على العملية السياسية في العراق، التقرير الاستراتيجي ٢٠١١-٢٠١٢، جامعة الموصل، مركز الدراسات الاقليمية، بلا طبعة، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠١٢، ص٣٠.

(٣) سامي الخفاجي، الاحتلال الامريكي ومستقبل العراق، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨١.

- **التحديات الامنية ومدى تأثيرها على مكانة العراق الإقليمية**

شكل الملف الامني المعضلة الرئيسة التي واجهت أغلب الحكومات العراقية المتعاقبة على السلطة بعد التغيير السياسي الذي حدث في نيسان ٢٠٠٣، فكما هو معلوم أن الامن الوطني في اي دولة من دول العالم يحتاج لعوامل متعددة، من اهمها العامل البيئي والمتطلبات الجيوستراتجية التي تمنح الدولة قدرتها على التعامل مع محيطها الإقليمي ، فلا يمكن ان نتحدث عن البعد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للأمن الوطني في بلد لا يأمن فيه المواطن على حياته ومستقبله ومستقبل اطفاله وعمله [١] فضلا عن قدرة الدولة على فرض وجودها كقوة مؤثرة في محيطها الإقليمي .ومن هذا المنطلق يواجه فان الملف الامني العراقي بشكل عام عدة تحديات أهمها:[٢]

١. الفساد الإداري والمالي المستشري في الكثير من الأجهزة الأمنية حيث يعد الفساد اشكاليه كبيرة، وهي سبب رئيس من اساليب التدهور الامني في العراق
٢. محدودية المبالغ المرصودة في الموازنات السنوية للقوات المسلحة قياسا بحجم الموازنات العامة للدولة ويعتبر العراق من اقل الدول ضمن المحيط الإقليمي من حيث حجم المبالغ المرصودة للوازنة الدفاع والقوات المسلحة .
٣. ان الاجهزة الامنية تواجه تحديا اكبر حتى من ذي قبل، فالبلد يعاني من اختراق متعدد من قبل اجهزة مخابرات اقليمية ودولية، وعلى الرغم من كثرة الاجهزة الاستخباراتية في العراق لكنها تعاني من غياب التنسيق فيما بينها .
٤. لا تزال لدى العدو القدرة على القيام بعمليات إرهابية ذات صدى اعلامي
٥. الحدود لم تؤمن لحد الان بالطريقة التي تضمن الحد من الظاهرة تسلل العدو.
٦. مستوى اداء القطعات في قتال المدن بالرغم من الخبرة المتراكمة لم ترق الى المستوى المطلوب.

---

[١] عزيز جبر شيال، عمار حميد ياسين، الاوضاع الامنية العسكرية , التقرير الاستراتيجي العراقي ٢٠١٠-٢٠١١، مصدر سبق ذكره ص ١٨١ .

[٢] عزيز جبر شيال، عماد حميد ياسين، مصدر سبق ذكره، ص٢٠١ .

٧. الجهد الاستخباري لا يزال مبعثر وغير محكوم بقانون لتحديد فضاءات العمل الاستخباري.
٨. عدم استقرار منظومة القيادة والسيطرة على مستوى القوات المسلحة.
٩. ضعف عام في طبيعة وامكانيات القاعدة المادية الخاصة بالدعم اللوجستي.
١٠. غياب عام لترتيب التدريب وبمختلف المستويات.
١١. التواجد غير المبرر لقوات الجيش داخل المدن.
١٢. عدم وضوح الرؤيا لدى القوات المسلحة حول المهام والواجبات المكلف بها.

على المستوى السوقي والأداء القتالي فانه ورغم ان معارك التحرير وما رافقها من نجاحات قد غير الكثير من الخصائص التي كانت سائدة الان ان الحالة العامة للقوات العسكرية والأمنية لاتزال تشكو من الكثير من الخصائص السلبية ومن هذه الخصائص ما يلي:

أولاً. انعدام الرؤية العلمية والعملية لدى القائمين على اتخاذ القرار على المستوى السوقي الى حد الذي لم تتضح معه ولحد الان الأهداف السوقية العليا للحكومات العراقية المتعاقبة.

ثانياً. منظومة وسياقات اصدار الأوامر و متابعة تنفيذها اعتراها الترهل باتت أقرب الى المعرقل للتنفيذ والمتابعة منها الى المساعد على ذلك مما ولد حالة من اللاستقرار الميداني والعملياتي وحتى السوقي في المجالين الأمني والعسكري خاصة وان ظاهرة اصدار وإلغاء الأوامر يكاد ام يكون هو السائد بالوقت الحاضر.

ثالثاً. انعدام الجراءة والاقدام وحتى ان تواجدت ولو بشكل خجول لدى بعض القادة فان الخشية من النتائج اللاحقة تعتبر الدافع الأكبر للتحجيم حتى بات القائد اسير اهواء القادة السياسيين دون ان يكون قادرا على ان يمنح القيادة جذوتها المتمثلة بالجراءة والاقدام.

رابعاً. العدالة المفقودة في التعامل مع الثوابت القانونية فالقانون فوق جميع الا ان تطبيقه بات يتميز بانتقائية غير مسبوقة حتى ان هنالك من يترحم على أيام الطاغية صدام

في هذا المجال وقد كان لحادث الهروب الجماعي كم سجن أبو غريب الأثر الكبير في ترسيخ هذا الشعور حيث حكمت المحكمة على مجموعة من الضباط بمجموعة احكام قد يكون لها ما يبررها لكنها وفي ذات الوقت تغاضت تماما عن رؤوس الكبيرة من الضباط القادة في مفاصل امنية وعسكرية عليا والذين كانوا السبب الرئيسي المباشر لحصول ذلك الخرق.

خامساً. فقدان الدراية المهنية في عمليات صياغة القرار الأمني وعلى مختلف المستويات ومرد ذلك بالتأكيد أسباب كثيرة الا ان أهمها هو ما حصل حين باشرت (لجنة انقاء الامرين) فقد أدت هذه اللجنة نتيجة الفساد الذي استشرى في اوصالها سوى بعلم رئيسها او بدون علمه الى ان يتبوأ الكثير من القادة والامرين مناصبهم مهم ابعد ما يكونوا من القدرة على قياداتها وهكذا غابت الدراية المهنية والاحترافية وحل محلها حسابات الربح والخسارة عند التفكير باتخاذ قرار له علاقة بالجانب الأمني.

سادساً. التصاعد الغير مسبوق للعميات الإرهابية ورغم ان بدايتها وكما بينا سابقا كانت تجاه القوات الامريكية المحتلة وهذه العمليات قد كان لها ما يبررها الا ان الأمور بدأت تأخذ طابعا دراماكتيا حينما حلت الأفكار المتطرفة لتهيمن على الغالبية العظمى من الشارع السني يقابلها تصعيد قد يكون مبررا من قبل قوى مسلحة في الشارع الشيعي من باب المواجهة وهكذا تحولت الحالة من مقاومة المحتل الى اقتتال طائفي أضاع معه أي بوادر لإعادة بناء المركزات المطلوبة لدولة ووطن أمسي في حالة ترنح نتيجة ما مر به من نكبات ورغم الانحسار الكبير لموجة الإرهاب والعنف بالوقت الحاضر الا ان ذلك لا يمنع احتمالية العودة مجددا الى المربع الأول كما حصل عام ٢٠١٤.

سابعاً. الانفلات الأمني المصحوب بهيمنة المجاميع المسلحة على الشارع العراقي ومن بينها العشائر والقبائل لاسيما في الجنوب وبعض مناطق الفرات الأوسط وبالمقابل ضعف الأداء العسكري والأمني للمؤسسة الأمنية والعسكرية مما أتاح لهذه

المجاميع إمكانية التفرد والتمرد التمرد والتوسع وفرض وجودها كواقع مستغلة الفراغ المتولد من سوء الأداء الحكومي الأمني والعسكري مدعومة من جهات خارجية وداخلية لا تريد لأي من المرتكزات بناء الدولة العراقية ان ترى النور.

ثامناً. غياب الانتقائية المهنية والعملية في اختيار ضباط الصف الأول (القادة والامرين وامراء الصنوف والمديريات) بعد السقوط حيث اعيد الكثير من الضباط واحتلوا مناصب قيادية في الوقت الذي كانوا فيه في ضل الجيش السابق من أكثر الضباط سوء وتردي في اغلب النواحي، حيث لم تراعى على الاطلاق أي ضوابط بالإعادة بل جرى ذلك بشكل اقرب الى الفوضوية حتى ان الامر قد تجاوز إعادة الضباط ممن هم في الخدمة فعلاً الى حالات تزوير وتغيير في القواعد البيانات نجم عنها منح رتب ومناصب لضباط لم يكملوا حتى دورات الكلية العسكرية او الدورات المقررة للضباط بموجب منظومة اعداد الضباط المعمول بها سابقاً.

تاسعاً. بروز ظاهرة الاتكاء على الأحزاب المتنفذة والمجاميع المسلحة من قبل القادة والامرين حتى أصبحت هذه الظاهرة كحالة يتوجب على القائد او الامر او حتى الضابط الذي يطمح في منصب لاحق، ان يتعاطى معها كأجراء حيوي ومكمل لبلوغ مرماه او ثبوته في المنصب الذي هو فيه، وهكذا اصبح القادة والامرين وعموم الضباط ان لم تكن الغالبية العظمى منهم مسيرين وفق اهواء تلك الأحزاب او المجاميع المسلحة أي ان القرار العسكري والاوامر تمر في فلترة تلك الجهات قبل ان ترى النور وهنا تكمن الكارثة حيث ان هذا يعني ان المؤسسة العسكرية باسرها باتت موزعة الولاء بين مجاميع مسلحة وأحزاب متنفذة.

عاشراً. غياب التفاعل الميداني بين المركز وأدوات التنفيذ ونعني بذلك ان القوات المنفذة للواجبات الميدانية كانت في واد ومراكز اتخاذ القرار (وزارتي الدفاع والداخلية) في وادي اخر إذا انشغلت تلك المقرات والمراكز بما يمنح لها من امتيازات .

## المبحث الخامس

### العراق والمستقبل على ضوء القدرات الجيوستراتجية (رؤية استشرافية مستقبلية )

غالبا ما تبنى الرؤية الاستشرافية المستقبلية على جملة من المدخلات التي يمكن لها مستقبلا ان تكون بمثابة المخرجات التي تبنى عليها تلك النظرة وهذه المدخلات قد تجانب الواقع في بعض مكوناتها الا ان ما يمتلكه العراق من قدرات يجعل تلك المدخلات اكثر وثوقا من سواها لاسيما وان التجارب الصعبة التي مر بها العراق عبر تاريخه الحديث اثبتت انه من البلدان القادرة على تجديد قدراتها بسقف زمني يتجاوز كثيرا من حيث الفترة التوقعات والاحتمالات وهذا ما اثبتته مرحلة ما بعد الحرب العراقية وما بعد حرب الخليج الثانية وما بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ و ما بعد استشراء الإرهاب في سنوات ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ وما بعد سقوط الموصل , وبحسابات الفترات الزمنية نجد ان الفاصلة ما بين ازمة عاصفة وأخرى لا تتجاوز في بعض الأحيان العقد الواحد ومع ذلك يعود العراق مجددا ليمارس دوره الطبيعي في حين اننا نجد ان الكثير من دول العالم حينما تمر بأزمة مثل نلك التي عصفت بالعراق فأنها تصاب بحالة الانكفاء والتراجع وتحتاج الى عشرات السنوات لتعاود مجددا استعادة و ضعها الطبيعي .

- **مقومات القوة العر اقية في ظل التوازنات**

قد يجد المتتبع للحالة العراقية لاسيما في شقها المتعلق بالوضع الجيوستراتجي والقدرات الأمنية والعسكرية ومقاييس القوة الأخرى انه يمتلك من الأدوات ما يجعل الكثير من الاحتمالات ذات البعد التصاعدي متاحة في حين تنحسر والى حد كبير تلك

السيناريوهات التي تتخذ من التراجع والانكفاء والتقوقع مسلك لها وهذا الامر ناجم عن جملة من المعطيات التي سبق ان تناولنها والتي يمكن اختصار ها بما يلي :

١. المكانة الجيوبولتيكية التي يتميز بها رغم الانحباس البحري والتي اعطته القدرة على ان يكون حلقة وصل بين المناطق الباردة والمعتدلة والحارة كتعبير عن طبيعة الدول المحيطة فضلا عن ان هذا الموقع منحة قدرة اكبر من سواه في مراحل حاسمة من تاريخ البشرية

٢. التنوع الاثني والعراقي والقومي والديني والطائفي ورغم ان الكثير من الدارسين يعتبرنه نقطة ضعف الا انه اذا ما وضِّف بشكل علمي وعملي فانه يساهم على جعل العراق لاعب أساسي في معادلة التوزان كون غير منغلق بل يحاكي كل دول الجوار الإقليمي من حيث المكونات الديمغرافية .

٣. الخبرات المتراكمة لدى أجيال متعددة من العراقيين في معايشة الازمات وتجاوزها سواء كانت تلك الازمات حروب او صراعات داخلية فأنها افرزت قدرات عالية في بناء شعب قادر على الدفاع عن مقدساته وارثه وحضارته او في جوانها الاقتصادية حيث لدى عامة الشعب القدرة على التكيف لمعايشة الحالات التي تستوجب مواجهة الازمات الاقتصادية وهذا ما يجعل العراق قادر على الاستمرار كبلد نابض بالحياة في مختلف الظروف مما يمنحه قدرة اكبر في الدخول كلاعب أساسي في التوازنات لاسيما الإقليمية منها .

٤. الثروات الكامنة والمستخرجة والتي تمنح العراق القدرة على المطاولة كبلد معطاء قادر على الحفاظ على مكانته الإقليمية الاقتصادية وهذا ما يمكنه من لعب دور اساسي وليس هامشي عندما تبنى التوازنات على أساس القدرات الاقتصادية .

٥. الجانب العقائدي الذي اثبتت ازمة احتلال الموصل أهميته حينما تجاوز العراق تلك الازمة والمحنة بتدخل عقائدي بصيغة الجهاد الكفائي الذي اطلقه المرجع

الديني الأعلى للطائفة ذات الأغلبية الا ان الاستجابة لم تقتصر على تلك الطائفة بل انها شملت كل الطوائف الاخرى .

٦. وجود العتبات المقدسة لمختلف الطوائف يجعل العراق قبلة للعديد من الديانات والطوائف مما يمنحه نوع من الاعتزاز والتعلق الروحي من قبل المنتمين لتلك الأديان والطوائف في بلدان أخرى لاسيما بلدان الجوار الإقليمي وهذا الامر رغم انه ليس ذو تأثير مباشر على طبيعة التوازنات القائمة الا انه يمنح العراق مكانة روحية يصعب على تلك الدول محو جذوتها لدى شعوبهم .

٧. اثبتت الحروب التي خاضها او الازمات التي تعرض لها العراق ان قدراته الخلاقة قادرة على تعديل المسارات التي حاولت القوى الكبرى او قوى إقليمية أخرى رسمها له لدوافع متعددة منها محاولة اضعافه او جره الى التخندق في تحالفات ذات طبيعة محددة وفقا لتطلعات تلك القوى الإقليمية منها او الدولية لذلك نجده بعد كل ازمة يعود مجددا ليكون بمثابة عنصر التوازن للمنطقة والمحيط الإقليمي وهذا الامر لا يتأتئ من فراغ بل هو حاصل مجموعة مقومات يكاد العراق ان يتميز بها عن سواه .

- **السيناريوهات المحتملة لمستقبل العراق في ظل التوازنات**

يمكن رسم صورة مستقبلية للوضع العراقي العام وفق امكانياته الجيوستراتجية وفق السيناريوهات الأربعة المحتملة :

الأول : الانكفاء والتراجع

هو احد السيناريوهات المحتملة حيث لا يستطع العراق تجاوز عقد تحدياته الداخلية فضلا عن تعاظم تأثير التحديات الخارجية ورغم ان كل المؤشرات تدل على صعوبة ان يذهب العراق بهذا الاتجاه لكن قد يحصل على المدى المتوسط او البعيد اذا ما كانت هنالك مدخلات إقليمية ودولية وحتى داخلية تدفع بهذا الاتجاه .

- العوامل المحددة

هنالك جملة من العوامل المحددة التي قد تؤدي بشكل مباشر او غير مباشر الى ان يتراجع العراق الى حالة أسوء مما هو عليه مما يؤدي حتما الى الانكفاء والتقوقع لمعالجة أوضاعه الداخلية .

١. تصاعد في حالة عدم الاستقرار السياسي
٢. العودة مجددا الى محاولات التقسيم .
٣. قيام الاكراد مجددا بالمطالبة بالاستقلال الكامل محاولين تلافي أخطاء الاستفتاء السابق .
٤. عودة الإرهاب تحت مسمياته الحالية او تحت مسميات جديدة لاسيما وان إمكانية حصول ذلك ممكنة حيث هنالك خزين إرهابي جاهز في معسكر الهول للاجئين
٥. تراجع حاد في أسعار النفط مما يؤدي الى انتكاسة جديدة في الاقتصاد العراقي الذي يعاني من أحادية الموارد .
٦. غلبة حالة التردي في مقومات الامن المجتمعي بعد ان تفرض العشائر والقبائل نفسها كبديل عن القانون وقوة الدولة .
٧. استمرار وتصاعد في ظاهرة السلاح المنفلت مما يجعل العراق باسره بيئة غير امنة .

- الاحتمالات . قد تكون الاحتمالات لهذا السيناريو في اضعف حالتها كون الدولة وبعد عام ٢٠٢٢ بدأت تتلمس الخطى من اجل استقرار سياسي اكبر مقرونة بمعالجات اقتصادية واعدة .

ثانيا : البقاء على الوضع القائم ( حالة اللا تقدم واللا تراجع )

احتمالية هذا السيناريو قائمة ولكن بنسبة غير مرتفعة في الحسابات الجيو سياسية بل يعتمد تصاعد الاحتمالية على جملة من العوامل يختلف تأثيرها وفقا للحالة القائمة الا انها تشكل بمجموعها عوامل محددة لتغيير الحالة العراقية من حالة السكون القائم الى الانطلاق باتجاه القيادة الإقليمية

- العوامل المحددة

١. محاولات دول الجوار الإقليمي للضغط باتجاه منع العراق من ان يلعب أدوار تؤهله مستقبلا لقيادة المنطقة او على اقل تقدير تحوله الى رقم صعب في معادلة التوازن الإقليمي
٢. انشغال الإدارة السياسية العراقية بترتيب أوضاع البيت العراقي مبتعدة قدر الإمكان عن لعب أدوار حيوية على المستوى الإقليمي .
٣. حالة اللا توافق السياسي التي قد تؤثر بشكل او باخر على منع الجهات الفاعلة من الخروج من بودقة التقوقع الداخلي نحو الانطلاق باتجاه الدخول كعامل حاسم في التوازنات القائمة
٤. احتمالية ان يكون للدول الكبرى لاسيما للولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا خطط مبيتة يمكن لها ان تعيق أي تقدم في المسارات السياسية للعراق وبالتالي منعه من لعب دور مؤثر وابقائه في دائرة الوضع القائم دون أي حراك للأمام .

- الاحتمالات : هو اكثر احتمالا من السيناريو الأول لكنه يجابه بقوة إرادة عراقية تريد للعراق ان لا يبقى في وضع اللاستقرار والسكون الإقليمي دون ان يكون ذو تأثير في محيطه الإقليمي .

ثالثا : التأثير محدود الأهمية

هذا السيناريو يقترب كثيرا من السيناريو السابق الا انه يتيح للعراق فسحة اكبر من اجل ان يلعب أدوار ثانوية في محيطه الإقليمي من خلال محاولاته تقريب وجهات النظر بين الأطراف المتصارعة ضمن البيئة الإقليمية كما حصل في التقارب السعودي الإيراني الذي ساهم فيه العراق بشكل محدود كذلك محاولاته لأعادة سوريا الى الجامعة العربية و حركته الدبلوماسية بين ايران والولايات المتحدة بعد فشل محادثات إعادة الروح للاتفاق النووي

- العوامل المحددة

هنالك جملة من العوامل التي قد تؤدي الى ان ينحسر دور العراق اقليما في ظل التوازنات القائمة الى قيامه بأدوار ثانوية لا ترتقي الى مستوى تبوء مركز قيادي اقليماً ومن هذه العوامل :

١. كما في السيناريو الثاني هو احتمال تصاعد محاولات دول الجوار الإقليمي لتحييد العراق ومنعه من القيام باي دور مؤثر يمنحه القدرة على الدخول كمنافس ذو قدرة قيادية .
٢. حالة الا استقرار والتجاذبات السياسة للأطراف المشتركة في إدارة الحكم او تلك التي لم تشارك في الحكومة لاسيما في الجوانب المتعلقة بالعلاقات الخارجية للعراق.
٣. ضعف الأداء للبرلمان العراقي في مجال إقرار او صياغة القوانين او الاتفاقيات واو البروتكولات المتعلقة بالسياسة الخارجية للعراق تحت مختلف الذرائع مدفوعة بغايات وغايات سياسية .
٤. دخول العراق في دوامة تحديات داخلية لا تسمح للإدارة السياسية ان تذهب باتجاه تطوير قدرات العراق الجيوستراتجية لتمكينه من ان يلعب دور اكبر في التوازنات الإقليمية القائمة .

- الاحتمالات : تتصاعد الى درجة كبيرة احتمالية ان يكون هذا السيناريو هو الأقرب للواقع كونه يحاكي في الكثير من جوانبه الأوضاع القائمة في العراق مما يجعله قابل للتطبيق الا انه قد يتحول لاحقا الى سيناريو مطابق للسيناريو الذي يله اذا ما تجاوز العراق تلك التحديات .

**رابعا : التأثير المتصاعد**

كل الدلائل تشير الى ان الأوضاع الجيوستراتجية تتيح للعراق لعب دور اكبر إقليمياً أي ان احتمالية تطبيق سيناريو التأثير المتصاعد قائمة والى حد كبير لاسيما بعد النجاحات الدبلوماسية التي حققها العراق في مجال ترسيخ مفاهيم صحيحة وعادلة في العلاقات

الدولية فضلا عن المكانة التي بات العراق يلعبها بعد دحر داعش وتصاعد وتيرة بناء مقومات القوة .

- العوامل المحددة

هنا لابد من التنويه الى ان ما يرد ذكره ليس بالمحددات وانما دوافع بإمكانها ان تلعب دورا كبيرا في تصاعد تأثير العراق اقليما ومنها :

١. نجاح العراق دبلوماسيا في العديد من المحطات لتخفيف حدة الصراعات البينية القائمة في محيطه الإقليمي .
٢. انكفاء حالة الاحتلال المقيدة في السابق لأي توجه عراقي صوب تصاعد التأثير الإقليمي
٣. النجاحات على المستوى الأمني والعسكري داخليا منحه قدرات مضافة وعدّل مسارات الأوضاع الجيوستراتجية القائمة سابقا والتي كانت سائدة قبل معارك التحرير .
٤. التفاهمات السياسية التي افرزت نوع من الاستقرار السياسي مما سينعكس إيجابا على الأوضاع العامة وهذا المتغير سينمح العراق قدرا اكبر من ان يلعب دورا متميزا في التوازنات الإقليمية .

- الاحتمالات : اكثر السيناريوهات احتمالا كونه يقترب كثيرا من الواقع العراقي الذي اثبتت الازمات والحروب قدرته العالية على تجاوز الإخفاقات والانكفاء الا انه يحتاج الى امرين اساسين أولها الاستقرار السياسي والامر الثاني الذي لا يقل أهمية هو الإرادة الصلبة للقائمين على إدارة الدولية وبالتأكيد كل ذلك مقرون بتصاعد القدرات والمقومات التي تعيد للعراق مكانته الإقليمية سواء العسكرية او الاقتصادية او الاجتماعية .

الاستنتاج النهائي : يمكننا ان نستنتج من خلال ما تقدم ان السيناريو الرابع المتمثل بالتأثير المتصاعد هو الأقرب للتحقيق مع احتمالية ان يكون للسيناريو الثالث حضور موقت ولفترة محدودة .

- **الخاتمة**

قد يكون العراق من اكثر البدان تميزا عن سواه في انه كان له الحضور الأكبر في كل التوازنات التي شهدتها المنطقة والمحيط الإقليمي ابتداء من السنة التي اعلن فيها عن قيام العراق الحديث بولاياته الثلاثة عام ١٩٢٠ خارجا عن عباءة العثمانيين , الا انه في ذات الوقت يقترب من حيث تصاعد حدة الصراعات والحروب من تلك الدول الغير المستقرة والتي يطلق عليها الدول الهشة لكن لا يمكن للهشاشة ان تكون قابلة للتطبيق على العراق كونه يمتلك من المقومات الجيوستراتجية ما يجعله خارج هذا الوصف , فالمتتبع للوضع الجيوبولتكي العراقي والامكانيات المتيسرة والثروات الطبيعية والمساحة والتنوع الديمغرافي للسكان تجعله قادرا على لعب أدوار ذات تأثير كبير في محيطه الإقليمي مما يجعله حاضرا وبقوة في التوازنات القائمة .

التنبؤ بما سيكون عليه وضع العراق للمدى المتوسط والبعيد لابد ان يمر عبر بوابة الاستقرار السياسي الداخلي وتصاعد وتيرة بناء مقومات القوة والخروج من مظلة الدولة الأحادية الموارد مع تصاعد في وتيرة البناء الأمني المجتمعي المرافق للسلم الاجتماعي , ورغم ان هنالك من يرى ان المستقبل لا يكون بالصورة التي يتمناه العراقي الوطني الا ان هذه النظرة في حقيقتها قاصرة عن ادراك ان العراق قد تجاوز أزمات وحروب لو كانت قد مرت باي بلد اخر لنجده الان عبارة عن مجموعة كيانات ممزقة ومتحاربة , المستقبل سيكون للعراق وسيكون عاملا مؤثرا وحاسما في التوازنات الإقليمية .

- المصادر


[1] . نافع القصاب واخرون , الجغرافية السياسية , دار الكتب للطباعة والنشر , الموصل , ط١, ١٩٩٧ .

[٢] . مسعود مقعاش , التفاعل الجيو ستراتيجي الصيني الأمريكي في شمال شرق اسيا , أطروحة دكتوراه غ م , جامعة بانة الحاج خضر , الجزائر , ٢٠٢١.

٣. وائل شديد , الجيو استراتيجيا بين النظرية والتطبيق , سلسلة الإدارة التطبيقية , ط١ , ٢٠٢٠

[٤]. زبينغنتو برجنسكي , رقعة الشطرنج الكبرى , السيطرة الامريكية وما يترتب عليه جيو استراتيجيا , مركز الدراسات العسكرية , دمشق , ط٢, ١٩٩٩.

[٥]. معين حداد ، الجيوبوليتيكا ، قضايا الهوية و الانتماء بين الجغرافية و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ط١ ٢٠٠٦ .

[٦] . اللجنة الوطنية للسياسات السكانية ، تحليل الوضع السكاني في العراق ، ٢٠١٢ بغداد .

[٧] . د. محسن عبد الصاحب المظفر ، المسرح البيئي العسكري ، شركة العارف للمطبوعات ، ط١ ٢٠١٤

[٨] . فرانسيس جالجانو ، الجغرافية العسكرية الحديثة ، مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ، ط١ ، ٢٠١٠ .

[٩] . صلاح حميد الجنابي و سعدي علي غالب ، جغرافية العراق الإقليمية ، دار ابن الاثير للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ .

[10] . جغرافية العراق العسكرية ، الكلية العسكرية ، جامعة الدفاع للدراسات العسكرية ، ٢٠١٤ ص٢٧

[11] .ف ر حسن البيضاني . العراق وجيشه – الواقع الديمغرافي و اثره على بناء الجيش ، مركز حراب للدراسات والبحوث ، ط١ ٢٠١٩ .

[12] . علي حسين علي ، تحديات بناء الدولة العراقية بعد عام ٢٠٠٣ (دراسة جيوستراتيجية) ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم السياسية ، جامعة النهرين ، ٢٠١٦ .

[13] . مروان عوني كامل ، الهيمنة الامريكية في ضوء نظرية ماكندر ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ،٢٠٠٦ .

[14] . د قاسم محمد عبد، جيوبوليتك الامن الوطني العراقي(دراسة في التحديات) مجلة الدراسات الدولية, العدد ٣٨ لسنه٢٠١٧ جامعة النهرين .

[15]. دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥

16. هادي حسين محسن ، المناطق المتنازع عليها في كتابات الضباط و السياسيين البريطانيين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد، العدد١٠١.

17. محمد محمود إبراهيم الديب ، الجغرافية السياسية(منظور معاصر) ، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ،٢٠٠١

18. علي عبد الهادي المعموري , سياسة الامن الوطني في العراق , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت , ٢٠١٦.

19. عباس فاضل السعدي , جغرافية العراق الإقليمية , مكتبة النهضة , بغداد , ط١ , ٢٠١٢.

20. فراس فاضل البياتي, الحرب والسكان دراسة تحليلية لأبعاد الحرب على السكان , دار غيداء للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠١٤ .

21. علي لطيف محمد القريشي , العراق ف الادراك الاستراتيجي الإيراني , دار ومكتبة عدنان , بغداد , ط١ ٢٠٢٢.

22. حسين حافظ وهيب , العراق ودول الجوار , دراسة في الفاعلين التركي والإيراني , مجلة الدراسات الدولية , مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية , العدد ٣٣ , بغداد , ٢٠٠٧.

23 . مالك دحام متعب , قراءة سياسية في علاقات العراق الخارجية مع دول الجوار , مجلة السياسة الدولية , العدد ٢٣ ٢٠١٣, الجامعة المستنصرية .

24. ريتشارد ليتل , توازنات القوى في العلاقات الدولية , دار الكتاب العربي , بيروت , ط١, ٢٠٠٩.

25. فراس محمد الجحيشي, التوازنات الاستراتيجية في ضوء بيئة متغيرة ,الاكاديميون للنشر والتوزيع , عمان , الأردن , ط١, ٢٠١٤.

26. إبراهيم أبو خزام , الحروب وتوازن القوى , دار الكتاب الجديد , القاهرة , ط١, ٢٠٠٩.

28. مايكل شيهان , توازن القوى التاريخ والنظرية , المركز القومي للترجمة , القاهرة , مصر , ط١, ٢٠١٥ .

29. سهام مهدي صالح العيساوي , مستقبل العراق بعد الاحتلال , منشورات زين الحقوقية , بيروت , ٢٠١٨.

30. عمرو موسى , كتابيه, دار الشروق , ط٢ , القاهرة , ٢٠١٧.

[31] . احمد نوري النعيمي,السياسة الخارجية الإيرانية بين الثوابت والمتغيرات,دار امجد للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠١٧.

[32] . د محمد مصطفى جمعة , التنبؤ الاستراتيجي , دراسة في تأثير التفكير الاحتمالي والمعلومات , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت , ط١ , ٢٠١٢.

[33] .احمد جلال محمود , صراع القوى المدنية – العسكرية واثره على السياسة الخارجية التركية في منطقة الشرق الأوسط , المكتب العربي للمعارف , القاهرة , ط١, ٢٠١٥.

[34] مصطفى جاسم حسين، السياسة الخارجية الامريكية والمشرق العربي ما بعد الحرب الباردة، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٨.

[٣٥] رمزي كلارك وآخرون، الامبراطورية الامريكية: صفحات من الماضي والحاضر، الجزء الاول، مكتبة الشرق، , القاهرة ، ٢٠٠١.

[٣٦] محمود خليل، إعادة توزيع القوات الامريكية في الشرق الاوسط، السياسة الدولية، الاهرام الرقمي، يونيو/ حزيران ٢٠٠٤، www.digital.ahram.org.

٣٧ . صلاح حميد الجنابي وسعدي علي غالب، جغرافية العراق الاقليمية، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠٥.

[٣٨] احمد ابراهيم محمود، حرب الخليج الثالثة: الانعكاسات الاستراتيجية على البيئة الاقليمية، في نكبة العراق الآثار السياسية والاقتصادية، مؤسسة للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٣

[٣٩] ريتشارد هاس، حرب الضرورة: سيرة حربين على العراق حرب الاختيار، ترجمة نورما نابلسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٠.

[٤٠] ستيفن ن. سايمون، ما بعد التعزيز العسكري الامريكي في العراق، في كتاب الاحتلال الامريكي للعراق: المشهد الاخير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.

[٤١] ديفيد ميلر، أكاذيب الدعاية والتضليل الاعلامي في الحرب على العراق، ترجمة ابراهيم العريس، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت، ٢٠٠٣.

٤٢. أحمد بن حمد اليحيى، زلزال في بلاد الرافدين: قصة غزو العراق، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠.

٤٣. محمد حسنين هيكل، الامبراطورية الامريكية والاغارة على العراق، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٤. د حيدر علي حسين , اتجاهات جديدة - اوليات سياسية عراقية لأداء استراتيجي فاعل , مطبعة سيماء , بغداد , ط١, ٢٠٢٢.

٤٥. علي عبد الأمير علاوي , احتلال العراق ربح الحرب وخسارة السلام , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت , ط١ , ٢٠١٢.

٤٦. سرمد عبد الستار امين , العراق بوابة التغيير في الشرق الأوسط , مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية جامعة بغداد , ٢٠١٢ .

٤٧ . أمين محمد حطيط، الاتفاقية الامنية العراقية الامريكية وآثارها على السيادة والأمن العراقي والإقليمي، في ندوة بيروت، مؤتمر العراق والاتفاقية الامنية الامريكية العراقية المنعقد في بيروت، ٢٣-٢٠٠٩/٥/٢٤، سلسلة مركز العراق للدراسات (٣٦) ط١، مطبعة البينة، بغداد، ٢٠٠٩.

٤٨ . سامي الخفاجي، الاحتلال الامريكي ومستقبل العراق، ط٢، دار آمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.

٤٩ . ابراهيم خليل العلاف وآخرون، مخاطر خطاب المكونات على العملية السياسية في العراق، التقرير الاستراتيجي ٢٠١١-٢٠١٢، جامعة الموصل، مركز الدراسات الاقليمية، بلا طبعة، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠١٢.

٥٠. عزيز جبر شيال، عمار حميد ياسين، الاوضاع الامنية العسكرية , التقرير الاستراتيجي العراقي ٢٠١٠.

# موقع الجوار الاستر اتيجي للعراق في ضوء المتغيرات الاقليمية والدولية

ا.د. حسين الزيادي – جامعة ذي قار

## المقدمة

بحكم امكاناته الحضارية والتاريخية والمادية وموقعه الجغرافي المتميز كان العراق على الدوام عنصراً أساسياً في معادلة التوازن السياسي والعسكري والاقتصادي في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط، ، لكن الغزو العراقي للكويت في عام ١٩٩٠ مثّل ضربة قاصمة لدور العراق ومدى حضوره على الساحتين العربية والإقليمية والدولية، بعد أن كان يقدم نفسه على مدى ثماني سنوات خلال فترة الحرب العراقية-الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨، بوصفه حامياً ومدافعاً عن الأمن العربي والإقليمي، تعرت حقيقة هذا النظام بعد عام ١٩٩٠ وبدأ ينظر اليه بوصفه دولة بولسية معتدية قامعة لشعبها لايأمن شرها وبدأت مرحلة من اصعب المراحل وهي مرحلة الحصار الاقتصادي والثقافي والاجتماعي فشكلت حركة التنمية واللحاق بالعالم ودفع الشعب العراقي ضريبة جريمة لاذنب له بها.

ثم جاء الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ ليخرجه بشكل شبه كامل من معادلة التوازن في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط، اذ أدى هذا التدخل إلى تحول رئيسي في معادلة التوازن على الساحة الداخلية العراقية، وبرز في هذا السياق دور الأكراد كهوية أخرى في المنطقة رأت في كل هذه الظروف فرصة للاستقلال، ولا يمكن إنكار أن انهيار القوة المادية للعراق، خاصة العسكرية والاقتصادية، قد أخرجه تماماً من حسابات توازن القوى في منطقة الشرق الاوسط.

**مشكلة البحث**

تتمثل مشكلة الدراسة بجملة من الاسئلة التي يحاول البحث الاجابة عليها في ضوء المعطيات الحالية وهي:

١- ما اثر الموقع السياسي للعراق على علاقاته الدولية والاقليمية

٢- ما اثر التوازنات والمتغيرات الاقليمية والدولية على الساحة العراقية.

٣- هل يمكن للعراق أن يعود إلى ممارسة دور مؤثر في معادلة التوازن على المستويات العربية والإقليمية خلال الفترة القادمة؟

٤- هل يمتلك مقومات هذا الدور والرغبة في ممارسته؟ وما هي المعوقات التي تقف أمام عودة العراق إلى الساحتين الإقليمية والدولية؟

٥- ما اثر التدخلات الاقليمية على الساحة العراقية؟

٦- ماهي مواقف الدول الاقليمية من الحشد الشعبي؟

**أهمية الدراسة**

ان تحليل ومعرفة طبيعة الصراع الإقليمي والدولي وكيف ان هذا الصراع يؤثر بالسلب في زعزعة امن واستقرار العراق، يتطلب فهما وادراكا للمواقف التي تمر بها المنطقة وطبيعة المخاطر التي تحيط بالعراق وكيفية مواجهتها والحد من تأثيراتها السلبية.

**فرضية الدراسة**

تنطلق الدراسة من فرضيات رئيسة هي: ان تدخلات القوي الإقليمية والدولية هي العامل الرئيسي في عدم استقرار العراق منذ ٢٠٠٣ حتى هذا الوقت الراهن، وتلك التدخلات تنزع كل الصلاحيات من الدولة نفسها وتهدد امنها في وجودها كدولة في محيطها الإقليمي، كما ان الموقع الجغرافي – السياسي للعراق جعله محط انظار الدول التي تسعى لتثبيت موضع قدم لها في الساحة العراقية .

**منهجية الدراسة**

لكي نثبت صحة الفرضية الرئيسة للبحث فقد تم الاعتماد على منهج التحليل الوصفي والتاريخي والتحليلي لفهم ومعالجة موضوع الدراسة اذ يشكل الامن القومي العراقي مطلبا

على درجة عالية من الأهمية، بجانب الاحداث السياسية التي تحدث في الدائرة الإقليمية، فالعراق عبر مسيرتها الحافلة بالاندماج والمشاركة في السياسات الرئيسة والحرجة في المنطقة.

**موقع العراق السياسي**

**١- الموقع الجغرافي**

يتسم الموقع الجغرافي بالثبات الا ان الاهمية السياسية والاقتصادية والاستراتيجية وتاثيراتها متغيرة بتغير [١]وهناك انواع متعددة من المواقع وهي[٢]

١. الموقع الفلكي
٢. الموقع بالنسبة للماء واليابس
٣. الموقع بالنسبة للدول المجاورة
٤. الموقع الاستراتيجي

ان هذه المواقع الاربعة تبين لنا قوة الدولة و طبيعة العلاقات الاقليمية او الدولية و لهذا الغرض سوف نتعرض لها كل على انفراد.

٢. الموقع الفلكي

الموقع الفلكي هو الذي يحدد موقع الدولة او منطقة ما على سطح الكرة الارضية ، وفقاً لخطوط الطول ودوائر العرض ، ولعل التحديد بالنسبة لدوائر العرض أهم بالنسبة لخطوط الطول لما تعكسه الدرجات العرضية فيشكل عناصر المناخ بوجه عام، وكذلك النشاط البشري وهذه امور حيوية تشترك في تشكيل اتجاهات الدولة[٣].

يقع العراق مكانيا" في جنوب غرب أسيا ، وتحده تركيا من الشمال و إيران من الشرق و سوريا و الأردن من الغرب والسعودية من الجنوب الغربي و الكويت و الخليج

---

[١]محمد ازهر السماك, الجغرافية السياسية أسس وتطبيقات, جامعة الموصل,١٩٨٨, ص٧٥.

[٢]عبد المنعم عبد الوهاب ،جغرافية العلاقات السياسية منشورات مؤسسة الوحدة النشر والتوزيع ,الكويت، بدون سنة طبع ،ص٦٢

[٣] محمد عبد الغني سعودي, الجغرافية المعاصرة, مكتبة الانجلو المصرية القاهرة, ٢٠٠٧, ص١٦.

العربي من الجنوب ،وهو بالرغم من وقوعه في منطقة تحيطها خمسة مسطحات مائية (بحر قزوين، البحر الأسود، البحر المتوسط ، البحر الأحمر، الخليج العربي) ، فإنه لا يحادد إلا الخليج العربي لمسافة تقرب من (٦٠) كيلو متراً بينما تبلغ حدوده البرية حوالي (٣٤٣١) كيلومتراً .

في حين يمتد العراق فلكيا" بين دائرتي عرض (٠٦-٢٩ ° و ٢٧ ـ ٣٧ °) درجة شمالا او ما تساوي مسافة (٨) دوائر عرض او ما طوله( ٩٢٥ ) كيلومتراً تقريباً. أما بالنسبة لخطوط الطول فيقع بين خطي طول(٣٩ ـ ٣٨ °-٣٦ ـ ٤٨ °) درجة شرقا[١] أي بحدود (١٠ ) خطوط من الطول او ما يعادل( ٩٥٠ ) كيلو متر تقريباً، وبهذا الشكل يمثل امتداده من الشرق إلى الغرب يساوي امتداده من الشمال إلى الجنوب ، وبما أن شكل العراق غير منتظم فهذه الأرقام لا تمثل ألا أقصى الامتدادات.[٢]

**الموقع بالنسبة لليابس والماء**

يقع العراق في موقع متوسط بين قارات العالم القديم التي نشأت فيها الحضارات البشرية المتعددة عبر العصور فهو يحتل موقعا جغرافياً مركزياً من جنوب غرب أسيا حيث اكسبه هذا الموقع ميزة السيطرة على خطوط الاتصال والتجارة الدولية البرية، وما مرور تجارة التوابل والحرير قديما به الإ دليلا على أن مكانته الدولية في ذلك الوقت كانت كبيرة[٣].

أن لموقع الدولة بالنسبة للكتل الأرضية أو المسطحات المائية علاقة وثيقة بالسياسة التي تنتهجها الدولة ويستشف من ذلك العلاقة بين النشاط البري والبحري لسكانها، وهذه بالتأكيد حقيقة ذات أهمية بالغة لأنها تلعب دوراً رئيسا" في تحديد مصالحها، إذ تختلف مشاكل الدولة البرية اختلافا كبيرا عن تلك التي لها سواحل بحرية

---

[١] خطاب صكار العاني ،نوري خليل البرازي, جغرافية العراق،الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ١٩٧٩ ، ص٤٠.

[٢] عباس فاضل السعدي ، جغرافية العراق( إطارها الطبيعي , نشاطها الاقتصادي , جانبها البشري) ، ط١ ، الدار الجامعية للطباعة ، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٧.

[٣] موسى جعفر راضي الموسوي، تحليل جغرافي سياسي لعلاقات العراق مع دول الجوار الجغرافي، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠١٥.

متباينة في أطوالها وصفاتها[١]، فالدول البرية تسعى إلى تعزيز جيوشها البرية، في حين تهتم الدول البحرية ببناء الأساطيل، والموقع تبعاً لذلك أما موقعامتوسطاً أو موقعاًحدياً فالموقع المتوسط يسهل عملية الاتصال بباقي الدول بينما يصعب ذلك في الموقع الحدي ، أما موقع العراق بالنسبة للبحار والمحيطات فهو من الناحية النظرية يتوسط بخمسة مسطحات مائية هي بحر قزوين في الشمال الشرقي والبحر الأسود في الشمال والبحر المتوسط في الغرب والبحر الأحمر في الجنوب الغربي والخليج العربي في الجنوب، ألا أن قيمتها الفعلية لا تتعدى البحر المتوسط والخليج العربي، فبحر قزوين والبحر الأسود والبحر الأحمر لا يتركوا أي اثر واضح على مناخه بسبب عامل البعد الجغرافي لهذه البحار فضلاً عن وجود الحواجز الطبيعية التي تمنع وصول المؤثرات المناخية[١] في حين يظهر تأثير الخليج العربي والبحر المتوسط واضحا في فصل الشتاء لقربهما النسبي للعراق وعدم وجود حواجز تمنع وصول التأثيرات المناخية إليه، فأعاصير العروض الوسطى تنفذ من البحر المتوسط عبر الأراضي السورية مسببة التساقط على أجزاء من أراضيه خصوصا إذا اصطدمت برياح جنوبية شرقية قادمة من الخليج العربي ليحدث صراع جبهوي يسفر عن أمطار غزيرة[٣] ، فإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار هذه الإطلالة البحرية الضيقة والطبيعية الخاصة لمنافذ الخليج العربي، وخصوصاً مضيق هرمز الذي يتصف بالضيق مع إشراف إيران الشرقي عليه يتبين لنا إن العراق يعاني من ضيق المنافذ البحرية من خلال هذا الموقع،

---

[١] سعدون شلال ظاهر، دور السكان في الوزن السياسي للعراق، اطروحة دكتوراه .(غير منشورة)، كلية الاداب ،جامعة بغداد،بغداد ،١٩٩٦م ، ص٤١ .

[٢] خطاب صكار العاني، نوري خليل البرازي، جغرافية العراق، دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد، ١٩٧٩م، ص٤٠

[٣] سعدون شلال ظاهر، أهمية موقع العراق الجغرافي وإثره في دوافع العدوان الأمريكي عليه، مجلة الآداب، جامعة البصرة، ع ٣٥، عدد خاص بوقائع بحوث المؤتمر العلمي لكلية الاداب٦-٧، آذار، ٢٠٠٢م، ص١١٣

وعلى الرغم من ذلك فقد استفاد العراق من هذا المنفذ في توسيع تبادله التجاري، ورغم ضيق الإطلالة العراقية على الخليج العربي إلا أنها تكتسب أهمية من الناحية السوقية[٢].

يتضح مما تقدم إن للعراق موقع قاري مهم بالنسبة له ولبيئته الجغرافية السياسية فوقوعه على طريق الدائرة المحيطية الكبرى أعطاه فرصة الاتصال بين حضارتي غرب أوربا والبحر المتوسط من الغرب وحضارة جنوب شرق أسيا من جهة الشرق. لذا فإن المتبع للتأريخ في هذه المنطقة يكتشف الدور الواضح والفعال الذي استطاع الموقع الجغرافي للعراق أن يلعبه في هذا الاتجاه[٣].

**الخريطة ( ٢ ) موقع العراق بالنسبة للبحار**

[٢] محمد عبد المجيد عبد الباقي، الأهمية الجيوستراجية للعراق وإثرها في بناء قوته الدولية، رسالة ماجستير، (غير منشورة)كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص٢٩ .

[٣] صلاح حميد الجنابي، وسعدي علي غالب، جغرافية العراق الإقليمية، دار الكتب للطباعة والنشر ,الموصل,١٩٩٢، ص١٢.

**٣- الموقع بالنسبة لدول الجوار**

وهو موقع دولة ما على سطح الارض والدول التي تجاورها وتشاركها بالحدود السياسية التي تفصل بينها وبين تلك الدول .ان ظروف ومميزات الجوار الجغرافي قد اثرت وما زالت توثر تأثيرا بالغا" على تطور العلاقات للدولة ولسياستها الخارجية.

اذ تتأثر الدول المتجاورة بأحجام بعضها وعدد سكانها سواء كانت مكتظة او مخلخة الكثافة وكذلك بقوتها او ضعفها ، ان كل هذه المتغيرات تنعكس على العلاقات بين الدول ببعضها وتوجيه سياستها ومجرى الحوادث التاريخية يبين ذلك[٢].

ان مجاورة الدول بعضها مع البعض يوثر في علاقتها ايام السلم والحرب وقد يوثر موقع الجوار سلبياً او ايجابياً ، قد يودي تجاور الدول الى التعاون في مختلف المجالات وهذا التعاون يؤدي بدوره الى القوة والتقدم الاقتصادي ويتضح ذلك في جوار الولايات المتحدة الامريكية وكندا ومثله بين فرنسا وانكلترا وامثلة ذلك كثيرة، وقد يحدث العكس اذا وجد عدم توازن بين قوتين الدولتين المتجاورتين حيث تحاول الدولة القوية السيطرة على الدولة الضعيفة (٣).وهذا ما تسعى له روسيا مع اكرانيا والكيان الصهيوني مع فلسطين وتختلف الدول مع مجاورتها للدول المجاورة لها بأطوال حدودها وانتماءاتها القومية والعرقية والدينية ولعل العراق يجمع بين تلك الانتماءات مع الدول المتحادة معها.

- **العراق ودول الجوار الإقليمي**

من المشاكل الأساسية التاريخية بالنسبة للعراق هي انه يتموضع في جغرافية قلقة وتجعله منفعلاً وليس فاعلاً رئيسياً، فالكثير من الازمات والصراعات التي مر بها على مر التاريخ هي نتيجة لهذه الجغرافية، فالعراق سهل منبسط يحاط به من جميع الجهات والجوانب دول إقليمية عظمى لها جذور وتاريخ وتطلعات يمكن ان نقول فيها نزعات من الهيمنة الاستعمارية، لذلك دائماً ما كان العراق هو مكان ومحور للنزاعات وهذا أدى الى استيلاد

---

[٢] قاسم محمد عبد الجنابي ، القوة العراقية السورية في مواجهة الكيان الصهيوني ، دراسة مقارنة في الجغرافية السياسية ،اطروحة دكتوراة, كلية الاداب جامعة بغداد غير منشورة ٢٠٠٢ ،ص ١٣

[٣] محمد ازهر السماك ، الجغرافية السياسية ،اسس وتطبيقات ، جامعت الموصل ١٩٨٨ ،ص ٨٠

أزمات داخلية جعلت من العراق ضعيفاً في السياسة الخارجية وفي التعامل الدولي مع القوى الخارجية.

ومن عناصر الضعف في السياسة الخارجية العراقية هي غياب الرؤية الاستراتيجية، لذلك كانت السياسية الخارجية يحوطها الانفعال والعشوائية والارتجال في التصرف كما يعبر هذا عن ضعف الجهاز الدبلوماسي، فضلاً عن ان العراق نتيجة الظروف والأزمات التي يمر بها أدى به الى مزيد من التبعية وضعف الاقتصاد وغياب الاكتفاء الذاتي بالنتيجة دائما ما كان العراق محتاج الى جيرانه في قضايا اقتصادية وسياسية.

وكذلك من نقاط الضعف الانفعال الشعبوي الذي اصبح متحكما بالسياسة الخارجية، وهذا الانفعال هو من اهم امراض السياسة في العالم خصوصاً في الدول الهشة والديمقراطيات الناشئة، فالسياسيون يحاولون دائما الاستفادة من الرأي العام الشعبوي من اجل تصدر المشهد السياسي في الصراع على السلطة خصوصا أيام الانتخابات، لذلك كان الانفعال الشعبوي صفة من مميزات التعامل من السياسية الخارجية وليست البرغماتية والمصلحة العليا للبلد، والانجذاب الكتلي للازمات الخارجية يعني ان هذه الكتل السياسية كانت من اجل ترسيخ وضعها الداخلي تحاول ان تستفيد من التموضع الخارجي بالتعكز على الخارج.

وقد يلعب التمحور حول العنصر هذا الدور إلى حدا ما كما هو الحال في شبه الجزيرة العربية. وقد تكون معطيات الجغرافية السياسية ومشاركة بعض الدول لسواحل البحر أو العزلة في المحيطات أو المشاركة بنهر كعامل تعاون وتفاهم ثم استقرار الدول في إقليم معين، وقد تكون الايدلوجيات المتشابه أو المتطابقة عامل توازن أيضا لدول مجاورة، والغريب أن هذه العوامل التي يمكننا حصرها بالاقتصادية ولأمنية والجغرافية والقومية والتي تحمل في طياتها الإمكانية والمقدرة على إحداث التفاهم والتعاون ولاستقرار بين دول الإقليم الواحد هي نفسها تملك القابلية على إحداث التنافس والصراع والصدام بين عين الدول .بموجب المتغيرات الأمنية والقدرة والاقتصادية وتباين وجود مصادر الموارد الطبيعية وإحجامها بين الدول ناهيك عن تباين الأنظمة السياسية وأهدافها. ومن هنا

نقول أن النظام الإقليمي المستقر هو ذلك النظام القائم على التفاهم والتعاون في إطار هذه العوامل للدولة مع دول الجوار أو الغريبة عنها.

| الدولة | الطول(كم ) | النسبة المئوية% |
|---|---|---|
| ايران | ١٣٠٠ | % ٣٧,٨٨ |
| السعودية | ٨٢١ | ٪٢٣,٩٢ |
| سوريا | ٦٠٠ | % ١٤,٤٨ |
| تركيا | ٣٣٧ | ٪٩,٨ |
| الكويت | ١٩٥ | % ٥،٦ |
| الاردن | ١٧٨ | % ٥،١ |
| المجموع | ٣٤٣١ | % ١٠٠ |

### ١. الجوار التركي

يشترك العراق مع تركيا بحدود طولها ٣٧٧كم اوما نسبته ١٠,٩٪ من مجموع أطوال حدود العراق[١] ، وتبدأ من جهة الغرب من نقطة التقاء نهر الخابور بنهر دجلة شمال قرية فيشخا بور ،إلى إن يلتقي بالحدود العراقية التركية- الإيرانية عبر ممر كادر البالغ ارتفاعه (٣٠٠)م فوق مستوى سطح البحر[٢] ، ويلاحظ على المنطقة التي يسير فيها الخط الذي يفصل بين العراق وتركيا تشابة التكوينات الجيولوجية والتضاريس والنبات الطبيعي والمناخ والتربة ونوع الاستثمار الزراعي وطبيعة الاستيطان البشري فيها[٣] ، وتقسم من الناحية الطبوغرافية إلى قسمين متميزين، منطقة عالية في الشرق وتمتد من أقصى

[١] جمهورية العراق، مجلس الوزراء، هيئة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية السنوية ، ٢٠٠٧، بغداد، ، ص٥.

[٢] سيف الدين عبد القادر، جغرافية العراق العسكرية، مطبعة شفيق ،بغداد، ١٩٧٠، ص٥.

[٣] مريم عزيز فتاح، تحليل العوامل التي رسمت الحدود العراقية- التركية، رسالة ماجستير،(غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد،١٩٧٠م ، ص٥٥.

الشمال حتى شمال العمادية ويصل ارتفاع قمتها إلى أكثر من (٣٥٠٠م) فوق مستوى سطح البحر ومنطقة منخفضة هي منطقة السهول والتلال العالية ارتفاعها بين(٥٠٠-١٥٠٠م) فوق مستوى سطح البحر ويفصل بين المنطقتين سهول ضيقة وواسعة .

وتفصل بين السلاسل الجبلية في القسمين وديان طولية تمر فيها انهار المنطقة وجداولها، أما انحدار المنطقة فهو من الشمال إلى الجنوب والجنوب الغربي ولهذا فإن معظم المجاري المائية فيها تأخذ هذين الاتجاهين[١] .

**٢- الجوار الإيراني.**

إن القسم الأعظم من منطقة الحدود هي منطقة جبلية باستثناء الطرف الجنوبي والجنوبي الغربي منها، اذ تأخذ المنطقة الجبلية اتجاها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بارتفاع يتراوح بين( ١١٠٠-٥٠٠٠) قدم، وتقع اغلب هذه المنطقة في الجانب الإيراني حيث تستمر المنطقة الجبلية لمسافات بعيده .

لقد اثرت ارتفعات الجبال الايرانية على المناطق العراقية خلال الحرب العراقية الايرانية والتي امتدت للمدة من (١٩٨٠-١٩٨٨م)، حينما كانت تستخدم قمم مرتفعات هذه المنطقة كمراصد متقدمة للجيش الإيراني لرصد تحركات الجيش العراقي حينذاك، أما بالنسبة للمنطقة السهلية من الحدود فتمتد لمسافات واسعة في العراق أكثر من إيران، اذ تشكل الجزء الجنوبي من الأخيرة هذا وتشكل سهول الأحواز حلقة اتصال بين جنوب العراق وداخل هضبة إيران عن طريق هور الحويزة , ويتبع خط الحدود في نهر شط العرب خط التالوك، ابتدءاً من النقطة التي تنزل فيها الحدود البرية بين العراق وإيران في شط العرب حتى البحر تاركه الجانب الأيمن للعراق والجانب الأيسر لإيران،

---

(١) محمد محي عيسى الهيمص، المقومات الجغرافية وإثرها في الآمن الوطني العراقي، أطروحة دكتوراه،(غير منشورة) كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٦م، ص٢٢ .

حسب اتفاقية الجزائر التي عقدت عام ١٩٧٥م بين العراق وإيران لتنظيم العلاقات الدولية بينهما وبضمنها مسالة الحدود [١].

**٣- الجوار السوري.**

تحد سوريا العراق من الغرب ولها حدود مشتركه معه يبلغ طولها(٦٠٠كم) أي بنسبة ١٤,٤٨٪ من مجموع أطوال حدود العراق[٢], وخاصة في الجزء الشمالي الغربي المتمثل بمحافظة نينوى مع اشتراك نهري ,متمثل بنهر الفرات النابع من تركيا مرورا" بسوريا وانتهاء" بالعراق.

**٤- الجوار الأردني.**

وتعد اصغر الحدود مع العراق , تقع الأردن إلى الغرب من العراق وتشترك معه بخط حدود يبلغ طوله(١٧٨كم) وبنسبة ٥,١٪ من مجموع أطوال حدود العراق، وقد رسمت الحدود بموجب اتفاقية ١٩٢٨م بين البلدين، بخط يبدأ من تقاطع خط الطول٢٩ ٠ شرقاً بدائرة عرض ٣٢ شمالاً إلى اقرب نقطة حدود.

وقد جرى التعديل الأخير على الحدود العراقية الأردنية في موافقة بعثت بها الحكومة العراقية في ١١/ كانون الأول/١٩٨٠م إلى الحكومة الأردنية حول تثبيت الحدود بين البلدين فأصبحت الحدود [٣] بشكلها الحالي مقابل اعطاء جزء من حدود العراق الى الاردن متضمنة ثروات معدنية كجميل لموقف الاردن ومساعدة العراق في حربه مع ايران، مما أدى إلى ارتباط البلدين بعلاقات جيوستراتيجية ظهرت أهميتها في حرب الخليج الثانية ولاسيما في ظل الحصار الذي فرض على العراق من قبل المجتمع الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية[٤] .

---

[١] محمد كامل محمد عبدالرحمن. سياسة إيران الخارجية في عهد رضا شاه.رسالة ماجستير, (غير منشورة) قسم التاريخ كلية الآداب, جامعة بغداد, ١٩٨٥, ص٩٢.

[٢] وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية السنوية،٢٠٠٧م، ص١٥

[٣] نعيم إبراهيم صالح الظاهر, المصدر السابق، ص٢٣.

[٤] معجم الخريشا، العلاقات الأردنية- العراقية، أوراق ووثائق المؤتمر الثاني، منشورات الجمعية الأردنية للعلوم السياسية، ط١، الأردن، ٢٠٠٠م، ص١٦١.

**٥-الجوار السعودي.**

تقع المملكة العربية السعودية إلى الجنوب من العراق، ولها حدود مشتركة يبلغ طولها(٨٢١ كم) وتشكل نسبه ٢٣,٥٪ من مجموع أطوال حدود العراق[١], اذ تاتي بالمرتبة الثانية طولا" بعد حدود العراق مع ايران وقد ثبتت الحدود العراقية- السعودية بموجب بروتوكول العقير عام(١٩٢٢م) الموقعة عليه من قبل مندوبي العراق ونجد، بأشراف الإنكليز وتوجيههم لتحديد الحدود بين كل من السعودية والكويت والعراق، وقد تميزت هذه المدة بتوتر العلاقات بين البلدين، بسبب تأييد السعودية للكويت خلال مطالبة العراق بها وإرسالها القوات السعودية للدفاع عنها وقيام الملك سعود بإرسال رسائل إلى الرؤساء والملوك العرب طالباً دعمهم لها[٢]

إلا أن العراق اظهر رغبة في تعزيز العلاقات مع الدول الخليجية والتعاون معها واحترام سياستها[٣] وقد تعززت الروابط بين البلدين من خلال الزيارات المتبادلة بين الطرفين وتسوية مشاكلات الحدود بينهما, إذ اتفق على تقسيم منطقة الحياد وبعد أن بقيت المسألة عالقة لمدة ستين عاماً, وكان أخر اتفاق حدودي بين البلدين في عام ١٩٢٢م والذي عرف بمعاهدة المحمرة.

---

[١] وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية السنوية، ٢٠٠٧, مصدر السابق ، ص٥.

[٢] سيف الدين عبد القادر، جغرافية العراق العسكري، دار الوفاء للنشر,ط١,بغداد,١٩٧٨م، ص٧٨.

[٣] قحطان احمد سليمان، السياسة الخارجية العراقية من ١٤\ تموز\ ١٩٥٨م إلى ٨\شباط\١٩٦٣م، رسالة ماجستير، (غير منشورة).كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، ١٩٧٨م، ص٣٤٠.

٦- الجوار الكويتي.

فتقع الكويت إلى الجنوب من العراق، ولها حدود مشتركة مع العراق، يبلغ طولها(١٩٥) كم، وتشكل هذه الحدود بنسبة ٥,٦٪ من مجموع أطوال حدود العراق[١].

تشير الحقائق التاريخية إلى انه لم يكن هناك فاصل جغرافي أو تأريخي لا في القديم أو الحديث بين العراق والكويت. ولم تشير الخرائط العالمية المعتمدة إلى وجود دولة خليجية إلا في القرنين الماضين، حيث توجد ارتباطات عضوية وعلاقات قربى ونسب وارتباط عشائري عميق الجذور بين سكان الكويت وجنوب العراق[٢].

- **الموقع الاستر اتيجي للعراق**

ترتبط الأهمية الاستراتيجية للدولة بموقعها الذي هو الآخر متغير بحسب الظروف والزمان وحسب بروز او تغير موازين القوى المحيطة بذلك الموقع للدولة والذي يرتبط أيضاً بمستوى التطور التقني ومديات الاسلحة وكثافة – نيرانها ، ومع كل ذلك تبقى المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية محتفظة بخصائصها وافضليتها لان من شأن الدول التي تتمتع بمثل هذه الأهمية ان تسعى للحفاظ عليها من خلال وسائلها الدفاعية والتقنية ايضاً .

ان لكل موقع على سطح الأرض أهمية استراتيجية ، تختلف هذه المواقع من حيث درجة اهميتها من وقت الى آخر ، فالمقصود بالموقع الاستراتيجي بالمعنى العسكري الضيق هو ( الموقع الذي يترتب عند السيطرة عليه بحسب الحماية ضد العدو كما انه يمكن القوات من القيام بالهجوم على العدو ), اما معناه الواسع ( فانه يمتد الى النواحي الاخرى السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك بحيث يعد ذلك المكان البؤرة التي يتركز عليها التخطيط في محاولة لكسب النجاح في هذه المجالات ),وهذا يعني ان الموقع الاستراتيجي : هو الموقع الذي يمنح الدولة ميزة مفضلة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ضد اعدائها او

---

[١] وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية السنوية، ٢٠٠٧م، المصدر السابق ، ص٥

[٢] نبيل السمان، أمريكا وخفايا حرب الخليج، ط٢، عمان، ١٩٩١م، ص٧٨.

منافسيها مع ذلك لا تبقى هذه الاهمية الاستراتيجية ، لاي موقع ، على حالها بل هي في تغير مستمر على ضوء تطور توازن القوى والتطور التكنولوجي.

وفي كلا الحالتين نجد ان الموقع الاستراتيجي يسهم في تعزيز قوة الدولة كما ان له اهمية كبيرة بالنسبة لامنها واقتصادها وعلاقاتها الخارجية وتشجع هذه المواقع في اوقات السلم الاتصالات التجارية وينشط التفاعل الحضاري والفكري بين الشعوب اما في اوقات الحرب فقد يترتب عن السيطرة عليه تقرير مصير بعض الدول.

وعليه يمكن تعريف الموقع الاستراتيجي بأنه ذلك الموقع الجغرافي الذي يمنح الدولة وضعاً افضل في حال الدفاع او الهجوم ونوعاً من الحماية الذاتية في اوقات الحروب والأزمات .

ويمتاز الموقع الجغرافي بالثبات شأنه شأن العناصر الجغرافية الطبيعية الأخرى من حيث كونه مكاناً ثابتاً على سطح الأرض الا ان أهميته الاستراتيجية في تغير مستمر وذلك بتغير الزمان اولاً وتطور التقنيات التكنولوجية وتقدمها ثانيا [1].، وتتمثل اهمية العراق في وقوعه في ملتقى طرق المواصلات التي تربط قارات العالم القديم وفي كونه الجسر الأرضي المؤدي إلى طرق المواصلات البحرية المهمة في شرقه وغربه، والمتمثل في البحر العربي والمحيط الهندي والبحر المتوسط، وبفضل هذا الموقع أصبح للعراق مكانه مهمة في العالم من الناحيتين العسكرية والدولية.

**أولا: مقومات الدور العربي والإقليمي للعراق**

يواجه الامن القومي العراقي تحديات خارجية انتجتها المتغيرات الإقليمية والدولية والتي يمكن اجمالها بالاتي:-

١- الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣،
٢- تداعيات الملف النووي الإيراني،
٣- ما شهدته الدول العربية من ثورات الربيع العربي٢٠١١.

---

[1] اسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الاصول والنظريات ، ط٥ ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٧ ، ص ٤٩٤.

٤- ما تشهده المنطقة من تداعيات وتدهور في الحالة الأمنية فيها.

العراق من الدول المهمة والرئيسية في المنطقة، والتي لا يمكن أن تكون دولة هامشية في محيطها، ولو غاب هذا الدور او تغيب لبعض الوقت لأسباب داخلية أو خارجية، فإنه سرعان ما يعود ويطرح نفسه بقوة حال تهيأت الظروف لذلك. وبالإشارة إلى مقومات الدور الإقليمي والعربي للعراق خلال المرحلة الحالية والقادمة، يمكن القول إن العراق يمتلك العديد من مقومات هذا الدور، بعضها قديم وبعضها مستحدث، يمكن الإشارة إلى أهمها في الآتي:-

١- **القدرات المادية:** لدى العراق قدرات اقتصادية هائلة؛ اذ يمتلك العراق ١٤٧ مليار برميلا من احتياطي النفط، بينما توجد مزيد من الكميات المحتمل ضخها والتي تبلغ ٢٠٠ مليار برميل، وهذا يجعله خامس بلد في العالم بعد فنزويلا والسعودية وإيران امتلاكا للاحتياطي النفطي، كذلك فإن لدى العراق ٣,١٠٠ مليار متر مكعباً معيارياً من احتياطيات الغاز حسب بيانات الأمم المتحدة، والمشكلة في العراق لاتكمن في وجود الموارد المادية بقدر سوء التوزيع وانعدام التخطيط، وتبلغ القدرة الإنتاجية للعراق من النفط حاليا ما يقارب ٣,٩ مليون برميل، ويخطط لرفعها إلى نحو ٧ ملايين و٥٠٠ ألف برميل يوميا بحلول عام ٢٠٢٥، وفي يوليو ٢٠١٨ أعلن البنك المركزي العراقي أن عائدات البلاد من تصدير النفط منذ العام ٢٠٠٥ بلغت أكثر من ٧٠٠ مليار دولار[١].

٢- **مقومات القوة الناعمة - الحضارية والروحية:** يمتلك العراق حضوراً تاريخياً عريقاً، وحضارة غنية موغلة في القدم، فضلا عن الواجهات الروحية المهمة في النجف وكربلاء والتي تحظى بقدسية خاصة لدى ملايين المسلمين في المنطقة والعالم.

٣- **التجربة الديموقراطية:** على الرغم مما يلحق بتجربة العراق الديموقراطية من إشكالات معقدة وعدم فهم وضياع ، الا ان هناك مؤشرات على أن هذه التجربة ربما بدأت في السير في طريقها الصحيح، أولها أنه على الرغم من الظروف الأمنية والسياسية الصعبة التي مرت بها البلاد خلال السنوات الماضية، فإن هذا لم يعق الاستمرار في إجراء الانتخابات البرلمانية

[١] جمهورية العراق ، وزارة النفط، بيانات غير منشورة،٢٠٢٢

وما تنطوي عليه من تغيير سياسي في البلاد، حيث تناوب على رئاسة العراق أربعة رؤساء للجمهورية منذ عام ٢٠٠٣، وعدد كبير من رؤساء الوزارات، وتبدو عملية التغيير السياسي أكثر سلاسة خلال الفترة الأخيرة مما سبق، وثانيها التداخل المعقد بين الاعتبارات الطائفية والعملية السياسية وخيارات الناخبين، وثالثها أن الخلافات على مستوى النخبة السياسية قد بدأت تميل بشكل أكبر إلى الرشد مقارنة بالسنوات الماضية. ورابعها أن تدخّل المؤسسات الدينية في العملية السياسية قد تراجع بشكل ملحوظ بعد أن كان هذا التدخل قوياً ومباشراً بعد عام ٢٠٠٣، وهذا بلا شك، يزيد من الثقة الدولية في التجربة السياسية العراقية بشكل تدريجي، ومن ثم يزيد من دعم العالم لهذه التجربة.

٤- **الإدراك العربي والإقليمي والدولي لدور العراق:** وهو ما يتضح من تواتر الزيارات التي يقوم بها المسؤولون من دول العالم المختلفة إلى بغداد ولعل الزيارات التي حظي بها العراق في ضوء التوتر بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران، تؤكد بوضوح طبيعة نظرة العالم والإقليم إلى بغداد وإلى الدور الذي يمكن أن تلعبه في مسار هذه الأزمة؛ ففي خلال شهورٍ قليلة زارها العديد من المسؤولين الأوروبيين والعرب والإيرانيين وغيرهم، حيث زارها الرئيس الإيراني، حسن روحاني، في مارس ٢٠١٩، ووزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف، في مايو ٢٠١٩، ووزير الخارجية الأمريكي، مايك بومبيو، في الشهر نفسه. كما زارها وزير الخارجية التركي، مولود جاويش أوغلو، في أبريل من عام ٢٠١٩، وهناك تقارير تُفيد بأن الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، سوف يزور العراق نهاية العام الجاري ٢٠١٩، وفي أبريل ٢٠١٩ أيضا زارها وفد سعودي ضم ٩ وزراء برئاسة وزير التجارة والاستثمار، ماجد القصبي، لبحث تطوير العلاقات والتعاون الاقتصادي بين الدولتين. كما زار العراق وزير الخارجية الألماني، هايكو ماس، في يونيو ٢٠١٩، وفي الشهر نفسه زارها وزير خارجية سلطنة عمان، يوسف بن علوي، وكانت زيارته هي الأولى من نوعها منذ عام ٢٠٠٣، والتي لحقت قرار إعادة فتح السفارة العُمانية في بغداد في مايو ٢٠١٩. فضلاً عما سبق فإن هناك حديث عن أن الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، سوف يزور العراق قبل نهاية العام ٢٠١٩.

٥-**دور مؤثر في سوق النفط العالمية:** وفي هذا السياق أشار تقرير لوكالة بلومبيرغ الأمريكية، في أبريل ٢٠١٩، إلى أن العراق قد أصبح منافسا للمملكة العربية السعودية في التأثير على

سوق النفط العالمية، وله دوره المؤثر في القرارات التي يتم اتخاذها داخل منظمة "أوبك" حول الإنتاج والأسعار، بعد سنوات من الابتعاد. وأضافت الوكالة في تقريرها أن مضاعفة إنتاج العراق من النفط الخام في العقد الماضي أعطى له صوتاً في مناقشات النفط ودفع إلى إدراجه في آخر جولة من التخفيضات، كما أنه انضم إلى اللجنة التي تراقب الامتثال بالحصص داخل منظمة أوبك. وجاءت هذه الخطوة، بعد نحو عقدين من بقاء العراق على الهامش في أوبك، نتيجة عدم قدرته على رفع إنتاجه النفطي والمساهمة في قرارات التحكم بالأسعار التي تتخذها المنظمة.

ولا شك في أن زيادة إنتاج العراق من النفط واتساع تأثيره في سوق الطاقة العالمي، سوف يمنحه دوراً وتأثيراً على المستويين العالمي والعربي-الإقليمي؛ فالمستوى العالمي سيكون من خلال تحوله إلى طرف فاعل في تحديد مسار أسعار النفط العالمية من ناحية، وزيادة اهتمام دول العالم المختلفة بتعزيز التعاون الاقتصادي والاستثماري معه من ناحية أخرى، وأما الإقليمي-العربي فيتمثل في اتساع التعاون الاقتصادي العراقي-العربي، لأن زيادة المداخيل الوطنية نتيجة زيادة إنتاج النفط سوف تفتح المجال لنشاط اقتصادي عراقي كبير سواء على المستوى الداخلي – مشاريع إعادة الإعمار- أو على مستوى العلاقات مع دول العالم العربي الأخرى، وتبدو مصر على وجه الخصوص من أكثر الدول العربية اهتماما بتعزيز روابطها الاقتصادية مع بغداد خاصة في مجال الطاقة والاستثمار.

- **ادارة السوداني والتحديات المقبلة**

هناك الكثير من المقومات التي يفتقد اليها العراق كبلد وهناك كثير من التحديات الإقليمية والدولية، ولكن بنفس الوقت لاحظنا نجاح نسبي ممكن البناء عليه وممكن تطويره في المستقبل وممكن ان يتحول الى جانب إيجابي للدولة العراقية وهناك تقارب مع دول الجوار الى حد ما وهناك قبول لحكومة السيد السوداني من دول الجوار والدول العالمية، وهناك بعض الملفات التي أراد القدر لها ان تتحلحل في زمن السوداني منها ملف نفط إقليم كردستان وحكم المحكمة الاتحادية العليا لصالح الدولة العراقية، وتلى ذلك حكم غرفة باريس لمصلحة العراق ضد تركيا والذي قلب الطاولة على الكرد في قضية تصدير النفط

خارج الحكومة العراقية، وكذلك قضية الوضع الاقتصادي العالمي الذي بدأ يتعافى لكن التعثر الأخير الذي حصل بسبب الركود والمخاوف من الركود والمشاكل التي حصلت في الصين حدت من حل المشكلة الاقتصادية في دول العالم، لكن في العموم هناك الكثير من الملفات التي ممكن ان نقول ان السوداني نجح فيها.

ان إدارة السوداني هي إدارة الهدوء الإقليمي والمتغيرات الإقليمية والدولية هي التي تلعب دور في الوضع الداخلي للعراق، والعراق خاضع لأمور فرضت عليه ان يكون في مرحلة هدوء ومن هذه الأمور هي التغييرات الاقتصادية والحرب الروسية الأوكرانية ومصادر الطاقة وانخفاض أسعار النفط.

اما المتغير الاخر فهو المتغير الأمني وحتى السيد السوداني ذكر بان الخطر الأمني على العراق هو الوضع في سوريا، والاخذ بنظرية خطوة بخطوة لكي يكسب المزيد من الوقت لكي ينعكس الاستقرار على الوضع لفسح مجال داخل العراق لتصفية الكثير من الأمور إضافة الى هدوء الوضع الأمني داخل العراق نفسه، ونلاحظ انخفاض مؤشر كبير في العمليات التي تحدث على المراكز الامريكية والسفارات الموجودة سواء في شمال العراق او في بغداد وخطوط النقل الممتدة.

العنصر الاخر هو العنصر السياسي وهو التقارب الإقليمي بين السعودية وايران وهذا لعب دورا كبيرا في هدوء المنطقة والعراق واتاح الفرصة للسيد السوداني لكي يدير الهدوء الموجود داخل العراق ولكن هل يمتلك الأدوات السيد السوداني لاستدامة هذا الهدوء واتصور هذا الامر صعب ولكن هل يملك كتلة قوية تسانده، اما المسارات المستقبلية للعراق غير واضحة لان المتغيرات الإقليمية مبهمة حالياً.

- **حكومة السوداني والصراعات الاقليمية**

ولدت حكومة السوداني بعد مخاض عسير ومشاكل كثيرة وصراعات كادت ان تعصف بالبلد الى الحرب الاهلية، وهي حكومة طوائف وكتل وقوميات وتشكلت على هذا الأساس ولكن المفارقة التي خدمت هذه الحكومة هي الازمات الدولية والتقاربات الإقليمية وفض النزاعات الإقليمية، وان الهدوء الإقليمي والدولي هو الذي انعكس على العراق وان هذه

الحكومة ليست كتلة واحدة حتى نقول انها تستطيع التموضع سواء على المستوى الإقليمي او المستوى الدولي من خلال لعب عامل النفط عن طريق ورقة أوبك او عن طريق السياسة الخارجية بتقريب وجهات النظر بين الدول المتخاصمة. واراد ان يلعب هذا الدور الحكومة السابقة بقيادة الكاظمي حيث كان له دور فاعل في تقريب وجهات النظر واصبح عرابا لحل المشاكل. وما نستطيع ان نطلقه على حكومة السوداني هي انها حكومة خدمات اكثر منها حكومة سياسة خارجية او لعب دور خارجي لذلك نرى حركة السوداني في العراق هي حركة على مفاصل الدولة الاقتصادية والخدمية والنقابية ويتحرك بشخصه على هذه القضايا ومتابعتها، والعراق يعاني من أزمات وتحديات داخلية وخارجية من ضمنها تحديات الاقتصاد .

- **مشاكل السياسة الخارجية في العراق**

من اهم المشاكل التي عاني منها العراق خلال عقدين الاخريين ان الحكومات التي تستلم ملف إدارة الدولة لا تكون مكملة للحكومات التي سبقتها لهذا سبب لنا بخصوص العلاقات الداخلية بين الطبقة الأحزاب السياسية وكذلك العلاقات الخارجية لذلك لا نرى رصانة بالعلاقات والعمل الدبلوماسي والاتفاقيات السياسية مع الدول الإقليمية والعالم وليس لها ثبات، لكن الحكومة الحالية مكملة تماما بالنهج والأسلوب لحكومة الكاظمي و الحكومة الحالية تواصلها مع الجانب الغربي عشرة اضعاف حكومة الكاظمي

ومن الامور السلبية في الحكومة لحالية هي عودتها بقوة الى الاقتصاد الريعي التام والان نرى سياسة التعيينات التي تتبعها بشكل مفرط تماما ونرى القطاع الخاص لم يحصل على أي دعم إيجابي في هذه الحكومة على الرغم من انه وعد بقانون العمل والتعديلات التي يرفعها للبرلمان لكن للان لا يوجد أي شيء على ارض الواقع بخصوص هذه الناحية.

وكذلك حتى قضية الموازنة تم تقديمها متأخرة وكذلك البرلمان سيعطلها لفترة أطول، لا اعتقد ان السيد السوداني سينجح في موضوع الجانب الاقتصادي ولا يقدر على حل المشاكل الداخلية او الخارجية كذلك قد خف الضغط الذي تم ممارسته على هذه الحكومة من الجانب الأمريكي بخصوص قضية نافذة بيع العملة وقضية الدولار وغيره نرى انه قد تلاشى بسبب التقارب الذي حصل مع الإيرانيين، السوداني بنفسة قد انتقد بيع

الدولار واننا لسنا بحاجة الى بيعه واكثر من ٣٠ مليون باليوم نافذة البنك المركزي واذا عبر هذا الرقم فمعناه ان هناك تهريب في حين اننا نرى الان ان النافذة قد تجاوزت ٢٠٠ مليون و٣٠٠ مليون وفي بعض الأيام وصلت ٥٠٠ مليون وكمتوسط أي شهريا المبيعات فوق ٢٢٠ مليون دولار يوميا للدولار، في حين ناقض كلامه تماما واعتبر الموضوع تهريب باعترافه الشخصي فهذه القضية سيستهلك الاحتياطي الموجود في البنك المركزي من العملة وتقريبا هذه السمة ملازمة لكل أحزاب الاطار انه يستلمون الخزينة ممتلئة ويسلمون الخزينة فارغة وهذه تجاربهم السابقة مع كل الحكومات".

- **تحديات حكومة السوداني**

كل الحكومات العراقية لا تتعامل مع المتغيرات الإقليمية والدولية لأنها بالأصل ليست صانعة حدث والمتغيرات الدولية عندما تكون إيجابية هذا ينعكس على الاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي العراقي اما اذا كانت المتغيرات سلبية تعود بنتائج سلبية على الحكومة العراقية أيا كانت بصرف النظر عن انتمائها سواء كانت اطارية او غيرها، أحيانا قد تكون المتغيرات الإقليمية والدولية صعبة لو كانت هناك حكومة صانعة حدث وحكومة لديها مهارة ووحدة قيادة وقرار في إدارة الأمور وستخدم الظروف الصعبة مصالحها بشكل اكبر لانه من الممكن انها تحاول ان يكون لها دور مؤثر في الأطراف المتعددة، نرى قطر على سبيل المثال انها دولة نانوية لكن الاحداث الإقليمية والدولية غير المستقرة أعطت لقطر دور دولي واقليمي اكبر من حجمها وبالعكس لو كان الوضع مستقر ستبقى قطر بوضعها الطبيعي لان الحكومة لها دور كبير والقيادة حاولت ان تفعل دورها بصرف النظر عن حجمها ومقومات قوتها، للأسف العراق اذا كانت المتغيرات جيدة تخدمه اما اذا كانت سيئة فضررها سيكون كبير على العراق، لان التحديات هنا فيها جانب داخلي وجانب خارجي للان الوضع العراقي في ظل المتغيرات الإقليمية المستقبلية هو غامض لأننا للان لا نعرف العالم الى اين ذاهب هل الى مزيد من الصراع ام الى مزيد من الاستقرار طالما ان هنالك قوة دولية طامحة الى تغيير النظام الدولي بالكامل وتعيد هيكلته فهذا معناه ان العالم ذاهب الى مزيد من الصراع بشكل او بآخر وهذا الصراع نحن لا نكون به صانعين الحدث وهذا يعتمد على تفكير القوى الدولية في حسم الصراع في ما بينهم.

من ناحية عناصر القوة التي يمكن ان تستفيد منها حكومة السوداني واستثمارها في عملية بناء السياسة الخارجية الحكيمة والرشيدة التي تنظر الى المصالح العراقية العليا، هو عدم الانجذاب الى مصطلح (العراق أولا) فهذا المصطلح تفكير محلي ضيق يعبر عن ضعف النزعة الواقعية في التعامل مع السياسة الخارجية، ومعناه عزل العراق عن العالم الخارجي، فالحكومة الرشيدة تبحث عن حلفاء ولا تبحث عن انعزال او انغلاق مطلق على الداخل.

- **معوقات عودة العراق إلى الساحتين العربية والإقليمية**

على الرغم من أن العراق يمتلك مقومات عديدة للعودة إلى ممارسة دور مهم في الساحتين الإقليمية والعربية، في ظل المتغيرات التي تمر بها المنطقة من ناحية والتحولات العراقية الداخلية من ناحية أخرى، فإن هناك الكثير من المعوقات البنيوية أو الهيكلية التي تعيق هذه العودة أو تحدّ من فاعليتها، ما يدعو إلى القول بأن هذه العودة محكومة بالوقت، أهم هذه المعوقات هي:

١- **التأثير الأمريكي:** على الرغم من مضي أكثر من ٢٠ عاما على التدخل الأمريكي بالعراق في عام ٢٠٠٣، فإن تأثير الولايات المتحدة الأمريكية على السياسة العراقية الداخلية والخارجية لا يزال حاضراً، خاصة في ظل الوجود العسكري الأمريكي في العراق من ناحية، ودورها في المساعدة على تحرير العراق من تنظيم داعش من ناحية أخرى. ولا شك في أن وطأة التأثير الأمريكي على القرار العراقي يضيق الخيارات أمام بغداد ويضعها في مواقف معقدة وأمام خيارات صعبة.

٢- **أزمة الخيارات:** في ظل التوتر الشديد بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية، يجد العراق نفسه أمام تحدٍ كبير، وفي مواجهة خيار صعب بين واشنطن وطهران، خاصة أن كلا البلدين لديهما تأثير كبير في العراق على المستويات السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية، وبالتالي فإن انحياز بغداد تجاه أحد الطرفين قد يكلف ثمناً كبيراً، قد لا يستطيع العراق تحمله، وتزداد الأمور تعقيداً كلما زاد التوتر الإيراني-الأمريكي أو تراجعت فرص الحوار أو التسوية السلمية بين الجانبين.

٣- **هشاشة البناء الأمني والسياسي:** على الرغم من أن التجربة السياسية في العراق قد قطعت شوطاً لا بأس به إلى الأمام، وتجاوزت الكثير من المشاكل والمخاطر التي كانت

تعترضها، ونجاح العراق في تحقيق استقرار نسبي في البلاد خاصة بعد انهيار مشروع داعش من ناحية، وتراجع التوترات الطائفية من ناحية أخرى، إلا أنه لا يزال يعاني من هشاشة في المحور السياسي والأمني؛ حيث أن تنظيم داعش، رغم انهيار مشروعه في العراق، فإنه لا يزال قادرا على تهديد الأمن في بعض المناطق من خلال عناصره وخلاياه التي لا زالت قائمة، ما يشير إلى أن الوضع الأمني، رغم تحسنه، لا يزال غير مستقر.

- **المو اقف الاقليمية من الحشد الشعبي:**

تحاول بعض الدول إلاقليمية تشويه صورة الحشد الشعبي واتهام الفصائل التابعة الحشد بانها جماعات ارهابية وهذا الاتهام فيه جنبات سياسية لمصالح دول اخرى بوصفها محاولة لتفكيك مشروعية المقاومة الوطنية للحشد الشعبي ومحو زخم الانتصارات التي تحققت على يديه ، اذ كانت التنظيمات الارهابية ترى إن المنطقة العربية مقبلة على مرحلة طويلة من الصراعات الداخلية والإقليمية، ووضعت لها عنوانا باسم (الفوضى العارمة) لأنها تمثل ضريبة النزاعات السياسية والعسكرية التي سوف تكون على حساب الامة ولقمة العيش فمن الطبيعي إن يتأثر موضوع الحشد الشعبي بتلك التجاذبات الإقليمية ، اذ يتربع العراق من حيث الموقع بوصفه موقعا يربط الدول الاسيوية بشبه الجزيرة العربية، فضلا عن تنوعه العرقي والطائفي واللغوي والديني، وكذلك حجم ثرواته الطبيعية وقوته السكانية الامر الذي خلق تدخلات دول الجوار بشؤونه
ان استقرار العراق في طياته معان كثيرة بما فيها استقرار المنطقة، والعكس صحيح، و فيما يلي عرض لاهم تلك المواقف الاقليمية:

١- موقف **جمهورية ايران الإسلامية:** ترى ايران ان الخطر الذي يمثله تنظيم داعش الارهابي، والتنظيمات الارهابية الاخرى، لا يهدد العراق فقط بل تهديد لجميع دول الشرق الاوسط وباقي دول العالم باسره إذ يعد داعش الاخطبوط الذي له اذرع عدة، واطماع توسعية يشمل كل دول العالم بدون استثناء، ونوضح موقف ايران ودعمها اللامتناهي لفصائل الحشد الشعبي بكل انواع الدعم المالي واللوجستي والسلاح

والمستشارين ويعود الفضل الاكبر لجمهورية ايران الاسلامية في قدرة الحشد الشعبي والتصدي للتحديات الارهابية وفي مقدمته تنظيم داعش بعد احتلال داعش محافظات(نينوى، وصلاح الدين، والانبار، وكركوك، واجزاء من محافظة بابل (جرف الصخر) واجزاء من محافظة ديالى)، تمخض خطر داعش بتهديده للعاصمة بغداد، وبعد صدور الفتوى بالجهاد الكفائي وتأسيس الحشد الشعبي تمكن من التصدي للتحديات الارهابية والمباشرة بالعمليات القتالية وتحرير الاراضي، تم من خلال دعم جمهورية ايران الاسلامية، بعد تباطؤ الولايات المتحدة الامريكية وعدم تسليمها طائرات (اف١٦) الى العراق وعدم تقديم الدعم العسكري اللازم وتفاعلها مع اوضاع الخطر المحدق بالعراق والظرف الراهن والحرج امام التهديدات الارهابية جاء الدعم العسكري والمادي من جمهورية ايران الاسلامية، ومن مؤشرات الدعم الايراني للعراق طائرات السوخوي التي اشتراها العراق، وهذا الدعم ساهم في تحقيق النصر

ونستعرض اراء بعض الشخصيات حول دعم جمهورية ايران الاسلامية الى هيئة الحشد الشعبي كالآتي:

١- السيد هادي العامري: اشار الى الامور التي عززت من النصر ضد عصابات داعش على وفق عوامل: أ- فتوى السيد السستاني التي لها دور بالحشد والمقاومة الشعبية. ب- مشاركة فصائل المقاومة الاسلامية مع القوات الامنية والجيش والشرطة. ج- الدعم اللازم والعظيم الذي قدمته جمهورية ايران الاسلامية الحشد الشعبي. د- الشعار الذي رفعه الحشد الشعبي والتعاضد مع القوات الامنية من الجيش والشرطة

٢- الشهيد ابو مهدي المهندس رحمه الله: اشار الى ان دعم دولة ايران كان السبب المباشر لتحقيق النصر وذلك من خلال دعم جمهورية ايران الاسلامية الحشد الشعبي بالأسلحة والعتاد التي وصلت للمقاتلين بالوقت المناسب.

**السعودية**

كانت السعودية رافضة كل الرفض لوجود الحشد وهذا الموقف له جذور طائفية بحته فالسعودية لا تريد العراق إن يخرج من فلكها السياسي أو الديني أو المعتقدي على اعتباراتها الراعية لشؤون المسلمين في المنظومة العربية وهي تتصدى لفكر اخر لا يدور ضمن الفلك الوهابي ومن الثابت ان الوهابية حركة ذات جذور بريطانية اسس لها محمد بن عبد الوهاب بمساعدة بريطانيا بهدف تمزيق العالم الاسلامي بأيدي مسلمين يحملون شعارات التوحيد الخالص ويبيحون دم كل من يخالفهم على منهج (الخوارج).

**مصر**

كان الموقف المصري بالضد من الحشد الشعبي وهذا جاء في بيان الازهر الاكثر جدلا بالقول : يؤكد الازهر أدانته الشديدة لما ترتكبه ما يسمى (بميليشيا الحشد الشعبي) الشعبية المخالفة مع الجيش العراقي من ذبح واعتداء بغير حق ضد مواطنين عراقيين مسالمين لا ينتمون الى داعش أو غيرها من التنظيمات الارهابية في تكريت والانبار وغيرها من مدن الغالبية السنية، في حين ردت الحكومة العراقية عبر وزارة الخارجية عن طريق استدعائها السفير، المصري ببغداد (احمد درويش) وسلمته مذكرة احتجاج معبرة عن رفضها الموقف الرسمي اتجاه تصرفات الازهر ازاء الحشد الشعبي معتبرا التصرفات تسيء الى طبيعة العلاقات بين البلدين الشقيقين.

**الاردن**

يقترب موقف الاردن من الحشد الشعبي من الموقف المصري وذلك من خلال ما تم التصريح به من قبل اكثر من مسؤول ، فقد اشترطت الاردن فتح معبر طريبيل الحكومي مع العراق لإعادة استئناف الحركة التجارية بين الدولتين، بتولي الجيش العراقي مسؤوليات الامن والحماية للمعبر ، رافضا وجود وتولي مقاتلين من الشيعة لأي مسؤوليات في المنطقة الحدودية بين الاردن والعراق، والذي يعبر عن موقف الملك الاردني والذي صرح: "التخوف الذي حذرنا منه في السابق هو إن يكون هناك هيمنة سياسية لمحور على اساس مذهبي.

**تركيا**

موقف تركيا من الحشد الشعبي ربما لم يبرز بالهجوم المباشر، لكن وزير الخارجية التركي (مولود جاويش اوغلو) صرح بانه: "قدمنا الدعم بالمعدات العسكرية اليوم لبغداد وللبيشمركة، لكن تشكيل الحرس الوطني امر مهم للغاية، وان غالبية السكان في الموصل من السنة"، مؤكدا على ضرورة الحصول على دعم السنة في محاربة داعش وقال اوغلوا: "اتتنا معلومات تفيد بحصول اعتداءات ضد السنة في بعض وهذا خطير جدا، والحرب يجب إن تكون منصبه ضد الدولة الاسلامية"، ومما تقدم يتضح تركيز رئيس الوزراء التركي احمد اوغلو على النزعة المذهبية لبلاده بالقول: إن القلق الاكبر لمحافظ الموصل اثيل النجيفي هو حلول مليشيات شيعية بدل داعش بعد خروجها من المدينة.

**الكيان الصهيوني**

اسرائيل تمثل السرطان الذي ينخر العالم بأسره والساعي الى تدمير العالم الاسلامي بشكل عام والعالم العربي بشكل خاص على الرغم من زرعها في قلب الوطن العربي وسلبها القدس- يتباين موقف اسرائيل من الحشد الشعبي فهو موقف عدائي غير معلن، وذلك على اساس حجة مؤداها إن الحشد الشعبي يشكل جزءا من القوة الضاربة للهلال الشيعي الممتد من لبنان وسوريا والعراق[1] .

ونستنتج من هذه الدراسة ما يلي:

١- ان الصراع الإقليمي في المنطقة يؤثر على كل دول الجوار، وفي دراستنا بالتحديد على مستقبل العراق ووجودها كدولة بحدود معينة في الخريطة العالمية.

١- تمر المنطقة بحالة عدم استقرار نتيجة تغييرات لأنظمة سياسية ومطالبات بتغير انظمة والمنطقة العربية الاكثر تعقيدا ودخول الاسلام التكفيري كمتغير رئيس في الشأن الداخلي لكثير من البلدان مما يصعب التنبؤ المستقبلي.

---

[1] فيحاء مجيد حسن ، الأهمية الجيوبولتيكية للحشد الشعيب وأثره يف االمن الوطين العراقي، رسالة ماجستير، كلية الآداب ،جامعة بغداد، ٢٠١٨.

٢- شهدت العلاقات الدولية للعراق تغيير جذري بعد تغير النظام الحاكم بعد عام ٢٠٠٣ ودخول القوات الامريكية كدولة خارجية مسيطرة على المعادلة السياسية للعراق .

٣- اصبح الوتر الطائفي يأخذ مأخذ كبير من سلوك وخطاب الدول المجاورة وهذا انعكس سلبا" في بلورة سياسة خارجية موجهة لا تخضع لافكار ومبادى العلاقات الدولية القائمة على اساس الاستقرار والمصالح المتبادلة.

٤- كانت ولا زالت الصراعات التي حكمت العلاقات بين العراق والجوار الجغرافي عبارة عن سياسات خارجية وضعتها محددات للدول الكبرى .

٥- اصبح العراق بعد عام ٢٠٠٣ ساحة لتصفية الحسابات الخارجية لدول الاقليم إذ كان الشعب العراقي هو الذي يدفع الفاتورة لتلك الصراعات.

٦- كان العراق اكثر دول الاقليم اتزانا بالتعامل مع دول الجوار وفق البروتوكولات والمواثيق الدولية واحترام سيادة الحكومات على بلدانها وعدم التدخل في شؤون الدول الجوار.

٧- شكلت القضية الكردية هاجس لثلاث دول مجاورة للعراق وهي ايران و تركيا وسوريا بسبب نسبة الاكراد الكبيرة في تلك البلدان ومجاورتها الجغرافية حيث يسكن الاكراد في المناطق الحدودية لتلك الدول.

٨- كانت الازمة السورية هي ازمة خارجية اكثر مما هو شأن داخلي القي بضلال المشكلة على العراق حيث بدأت تلك المجاميع بالتمدد باتجاه لبنان والعراق محاولة انشاء مايسمى دولة الخلافة في العراق والشام.

٩- خلال الحكومات التي حكمت العراق بعد عام ٢٠٠٣ لم تتقاطع السياسة الايرانية معها بل كانت داعمة لها .

١٠- كانت روية الساسة الايرانيين ان تواجد القوات الامريكية في العراق تهديد واضح للنظام الحاكم في ايران لذلك اعلنت الرفض للوجود الامريكي في العراق .

١١- كانت قضية مديونية العراق وميناء مبارك والمشاكل الحدودية من اهم المشاكل التي انعكست على السياسة الخارجية للعراق مع الكويت.

١٢- في أثناء العشر سنوات التي اعقبت تغير النظام الحاكم في العراق كان هناك توتر شديد للعلاقات بين العراق والسعودية حيث كانت تبادل الاتهامات بين البلدين يمثل السمة البارزة في طبيعة تلك العلاقة وكانت قضية الارهاب ودعم الارهابين من قبل الحكومة السعودية كان وراء الجمود علاقات بين البلدين .

- **التوصيات**

١- الاهتمام بالموارد الطبيعية ولاسيما المشتركة مع دول الجوار واستغلالها بالطريقة المثلى بما يعود بالنفع لكلا الدول وعدم استغلالها من دولة واحدة وبالتالي الحاق الضرر مما يدفع الى التوتر في العلاقات.

٢- الاهتمام بالتبادل التجاري وتوسيعه بين العراق والبلدان المجاورة وجعلها ورقة يمكن التلويح بها في حالة وجود ضرر يمكن ان يلحق بمصالح العراق العليا.

٣- تحسين العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية بين العراق ودول الجوار وزيادة التمثيل الدبلوماسي للعراق في تلك البلدان.

٤- توحيد الخطاب السياسي للحكومة العراقية وعدم السماح للبرلمانيين ورؤساء الكتل والوزراء بالتصريح بما يتقاطع مع مصالح الدولة العليا وعدم تدخلهم بأمور السياسة الخارجية للعراق.

٥- اعادة تقييم علاقات العراق مع الدول المجاورة له ودراسة اسباب هذه التقاطعات وماهي السبل المتاحة لتغيير سياسة تلك الدول مع العراق.

٦- استغلال اهمية هذا الموقع بالنسبة للعراق من خلال اتخاذ القرارات السياسية المناسبة وعدم جر المنطقة الى صراعات وحروب مما ينعكس سلبا" على الامن المنطقة.

٧- استخدام سياسة الامد الطويل و عدم التعامل بأنوية او انفعالية واستثمار العلاقة لغرض الارتقاء الى مستوى التطور مع العالم الحديث .

٨- توحيد الخطاب الوطني والديني للقضاء على الخلافات الداخلية كالقضية القومية او القضية الطائفية وتغليب المصلحة الوطنية على المصلحة الفئوية وان اضعاف الى اي مكون او قومية هو اضعاف للعراق.

٩- توحيد القرار السياسي مع هذه الدول والذي يخدم مصلحة الجميع من ناحية الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

١٠- لضمان أستمرارية العلاقات بين العراق ومحيطه الاقليمي في المجالات شتى على جميع المستويات, قد توثر بعض المشاكل المتعلقة بالحدود في الوقت الحاضر أو المستقبل، فلابد من اللجوء الى التسويات السلمية.

- **قائمة المراجع**


١. إبراهيم عبد القادر محمد، التحديات الداخلية والخارجية المؤثرة على الامن الوطني الأردني في الفترة (١٩٩٩-٢٠١٣) دراسة حالة، رسالة ماجستير، أنقرة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، ٢٠١٣.

٢. إبراهيم عبد القادر محمد، التحديات الداخلية والخارجية المؤثرة على الامن الوطني الأردني في الفترة (١٩٩٩-٢٠١٣) دراسة حالة، رسالة ماجستير، أنقرة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، ٢٠١٣،ص٨.

٣. أحمد فاضل جاسم داود، عدم الاستقرار المجتمعي في العراق ما بعد ٢٠٠٣ دراسة تحليلية في التحديات المجتمعية ... والافاق المستقبلية، بحث منشور على الانترنت.

٤. أحمد فاضل جاسم داود، عدم الاستقرار المجتمعي في العراق ما بعد ٢٠٠٣ دراسة تحليلية في التحديات المجتمعية ... والافاق المستقبلية، بحث منشور على الانترنت، ص٣.

٥. اسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الاصول والنظريات ، ط٥ ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٧ .

٦. تقرير الشرق الأوسط رقم ١٤/١٩٤ ، إعادة إحياء وساطة الأمم المتحدة بشأن الحدود الداخلية المتنازع عليها في العراق، تقرير مترجم من INTERNATIONAL CRISIS GROUP، ديسمبر ٢٠١٨.

٧. جمهورية العراق، مجلس الوزراء، هيئة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية السنوية ، ٢٠٠٧، بغداد، .

٨. الحاج، عبد الله جمعه، التحدي الإقليمي، مجلد١٠، العدد٣٨، شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعيين في الشارقة، ٢٠١٢.

٩. الحاج، عبدالله جمعه، التحدي الإقليمي، مجلد١٠، العدد٣٨، شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعيين في الشارقة، ٢٠١٢، ص٢٠٢.

١٠. حسن، شذى زكي، النظام الإقليمي العربي بين إشكاليات الواقع والتدخلات الإقليمية والدولية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٣٦، الجامعة المستنصرية- مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ٢٠١١.

١١. خضر عباس عطوان، مستقبل دور العراق السياسي الإقليمي، مجلة دراسات دولية، العدد الثالث والثلاثون.

١٢. خطاب صكار العاني ،نوري خليل البرازي, جغرافية العراق ، الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ١٩٧٩ .

١٣. خطاب صكار العاني، نوري خليل البرازي، جغرافية العراق، دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد، ١٩٧٩م.

١٤. سعدون شلال ظاهر، أهمية موقع العراق الجغرافي وإثره في دوافع العدوان الأمريكي عليه، مجلة الآداب، جامعة البصرة، ع ٣٥، عدد خاص بوقائع بحوث المؤتمر العلمي لكلية الاداب٦-٧، آذار، ٢٠٠٢م.

١٥. سعدون شلال ظاهر، دور السكان في الوزن السياسي للعراق، اطروحة دكتوراه .(غير منشورة)، كلية الاداب ،جامعة بغداد، بغداد ،١٩٩٦م .

١٦. السعدون، واثق محمد براك، مستقبل العلاقات العراقية- التركية في ظل تحديات الامن الإقليمي، مجلة دراسات إقليمية، مجلد١٠، العدد٣١، جامعة الموصل، مركز الدراسات الإقليمية ٢٠١٣.

١٧. السعدون، واثق محمد براك، مستقبل العلاقات العراقية- التركية في ظل تحديات الامن الإقليمي، مجلة دراسات إقليمية، مجلد١٠، العدد٣١، جامعة الموصل، مركز الدراسات الإقليمية ٢٠١٣، ص٢٩٩.

١٨. سيد إبراهيم، عدم الاستقرار السياسي في العراق بعد عام ٢٠٠٣، بحث منشور على الانترنت، مايو ٢٠١٨.

١٩. سيد إبراهيم، عدم الاستقرار السياسي في العراق بعد عام ٢٠٠٣، بحث منشور على الانترنت، مايو ٢٠١٨، ص٤٤، ٤٥.

٢٠. سيف الدين عبد القادر، جغرافية العراق العسكري، دار الوفاء للنشر,ط١,بغداد,١٩٧٨م.

٢١. سيف الدين عبد القادر، جغرافية العراق العسكرية، مطبعة شفيق ،بغداد، ١٩٧٠.

٢٢. صفاء خلف، ايران ومياه العراق: طرائق في الخنق، السفير العربي ، ٢٠١٨.

٢٣. صلاح حميد الجنابي، وسعدي علي غالب، جغرافية العراق الإقليمية، دار الكتب للطباعة والنشر ,الموصل,١٩٩٢.

٢٤. عباس فاضل السعدي ، جغرافية العراق( إطارها الطبيعي , نشاطها الاقتصادي , جانبها البشري) ، ط١ ، الدار الجامعية للطباعة ، بغداد، ٢٠٠٩.

٢٥. عبد الله، على زياد، مستقبل التوازن والصراع في الشرق الأوسط، العدد١٥٣، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٦.

٢٦. عبد الله، على زياد، مستقبل التوازن والصراع في الشرق الأوسط، العدد١٥٣، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٦، ص٨٠.

٢٧. عبد المنعم عبد الوهاب ،جغرافية العلاقات السياسية منشورات مؤسسة الوحدة النشر والتوزيع ,الكويت، بدون سنة طبع .
٢٨. فاتن محمد رزاق، علاء جبار احمد، ضعف الهوية الوطنية وتأثيرها على الامن الوطني العراقي، بحث منشور من الانترنت.
٢٩. فاتن محمد رزاق، علاء جبار احمد، ضعف الهوية الوطنية وتأثيرها على الامن الوطني العراقي، بحث منشور من الانترنت ، ص٤.
٣٠. فيسير، ريدار، الهوية الطائفية والصراع الإقليمي في العراق: وجهة نظر تاريخية، مجلد ٣٠، العدد٣٤٧، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، يناير٢٠٠٨.
٣١. فيسير، ريدار، الهوية الطائفية والصراع الإقليمي في العراق: وجهة نظر تاريخية، مجلد ٣٠، العدد٣٤٧، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، يناير٢٠٠٨، ص٤٤.
٣٢. قاسم محمد عبد الجنابي ، القوة العراقية السورية في مواجهة الكيان الصهيوني ، دراسة مقارنة في الجغرافية السياية ،اطروحة دكتوراة, كلية الاداب جامعة بغداد غير منشورة ٢٠٠٢ .
٣٣. قحطان احمد سليمان، السياسة الخارجية العراقية من ١٤\ تموز\ ١٩٥٨م إلى ٨ \شباط\ ١٩٦٣م، رسالة ماجستير، (غير منشورة).كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، ١٩٧٨م.
٣٤. محمد ازهر السماك ، الجغرافية السياسية ،اسس وتطبيقات ، جامعت الموصل ١٩٨٨ .
٣٥. محمد ازهر السماك, الجغرافية السياسية أسس وتطبيقات, جامعة الموصل,١٩٨٨.
٣٦. محمد رمضان أبو شعيشع، ملفات معقدة: مستقبل الصراع الإقليمي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، مارس٢٠١٨.

٣٧. محمد رمضان أبو شعيشع، ملفات معقدة: مستقبل الصراع الإقليمي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، مارس٢٠١٨.
٣٨. محمد رمضان أبو شعيشع، ملفات معقدة: مستقبل الصراع الإقليمي في الشرق الأوسط، مرجع سابق.
٣٩. محمد عبد الغني سعودي, الجغرافية المعاصرة, مكتبة الانجلو المصرية القاهرة, ٢٠٠٧.
٤٠. محمد عبد المجيد عبد الباقي، الأهمية الجيوستراجية للعراق وإثرها في بناء قوته الدولية، رسالة ماجستير، (غير منشورة)كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص٢٩ .
٤١. محمد كامل محمد عبدالرحمن. سياسة إيران الخارجية في عهد رضا شاه.رسالة ماجستير, (غير منشورة) قسم التاريخ كلية الآداب, جامعة بغداد, ١٩٨٥.
٤٢. محمد محي عيسى الهيمص، المقومات الجغرافية وإثرها في الآمن الوطني العراقي، أطروحة دكتوراه،(غير منشورة) كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٦م.
٤٣. مريم عزيز فتاح، تحليل العوامل التي رسمت الحدود العراقية- التركية، رسالة ماجستير،(غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠م .
٤٤. معجم الخريشا، العلاقات الأردنية- العراقية، أوراق ووثائق المؤتمر الثاني، منشورات الجمعية الأردنية للعلوم السياسية، ط١، الأردن، ٢٠٠٠م.
٤٥. موسى جعفر راضي الموسوي، تحليل جغرافي سياسي لعلاقات العراق مع دول الجوار الجغرافي، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٥.
٤٦. نبيل السمان، أمريكا وخفايا حرب الخليج، ط٢، عمان، ١٩٩١م.
٤٧. هنري ج. باركي، تركيا والعراق أخطار(وإمكانات) الجوار، تقرير من معهد السلام الأمريكي، تقرير رقم ١٤١، يوليو٢٠١١.

# أمن الخليج العربي وأمن العراق الاقتصادي: المسارات والانعكاسات في ظل التوازنات الاقليمية والدولية

هاني مالك العسكري
مركز تبين للتخطيط والدراسات الستر اتيجية

## المستخلص

منطقة الخليج العربي منطقة مصالح حيوية, على المستويين الاقليمي والعالمي, وتشكل اساساً يرتكز اليه النظام الاقليمي العربي, وان السياسة الخارجية لأي من دول الخليج العربي لها اهمية خاصة في ميزان القوى الاقليمي, ولا يمكن اطلاقاً عزل امن منطقة الخليج عن الامن الوطني العراقي, والعكس صحيح, لاسيما وان العراق يشكل جزاءً منها, وان استقرار او عدم استقرار الاوضاع فيها يؤثر سلباً او ايجاباً على السياسي والاقتصادي والامني. وعليه جاء تنظيم هذا البحث لبيان التأثير والاهمية البالغة التي يشكلها امن الخليج العربي على الامن الوطني العراقي في ضل جملة من الظروف الدولية المتسارعة والمتقلبة التي تركت تداعيات خطيرة على امن المنطقة, ولجعل صانع القرار العراقي في الصورة الحقيقية لحجم التحديات التي تواجه المنطقة برمتها كونها جزء لا يتجزأ من المجال الحيوي للعراق, وادراك طبيعة السياسة الخارجية العراقية المناسبة للتعامل معها.

## المقدمة.

تعد منطقة الخليج العربي واحدة من اهم المناطق الجيوسياسية في منطقة الشرق الاوسط وفي العالم، وذلك للعديد من الخصائص التي تمتلكها, فجغرافياً تتوسط هذه المنطقة قارات العالم اسيا وافريقيا واروبا، وصلاحية مياهها للملاحة الدولية، وطول واجهتها البحرية، والدور الذي يؤديه مضيق هرمز كنقطة عبور مهمة في مجال الملاحة

الدولية، وغيرها من الخصائص الجغرافية التي جعلتها في قمة الاهتمامات الدولية التي زادتها اضعافا مضاعفه بعد اكتشاف النفط فيها. وهنا يبرز اهمية العامل الاقتصادي، إذ تحظى دول الخليج العربي بأكبر احتياطي من النفط العالمي، كما انها من اكبر الدول المنتجة للنفط عالميا، وهذا ما أكسبها بعداً استراتيجياً هاماً في الخريطة الدولية، فضلاً عن الاستثمارات والتبادل التجاري وما تقدمة هذه المنطقة من سوقا مهمة للدول الصناعية الكبرى, بسبب القدرة المالية التي وفرتها عائدات بيع النفط. ولذلك تحتل قضية أمن منطقة الخليج العربي مكانة مهمة في الأولويات الاستراتيجية ليس لدول مجلس التعاون الخليجي فحسب، بل لجميع القوى والأطراف الإقليمية والدولية.

وعليه سوف يتناول البحث اهم المتغيرات المحلية وعلى وجه الخصوص ( دول مجلس التعاون الخليجي) والتي تمثل تحدياً حقيقياً لها, فضلاً عن المتغيرات الدولية التي تتمثل بسياسة الولايات المتحدة الامريكية وروسيا , والصين تجاه المنطقة, لمعرفة اثر هذه المتغيرات على منطقة الخليج العربي وانعكاساتها على العراق.

**اهمية البحث:**

تتمثل اهمية البحث في دراسة منطقة عالية الحساسية للشعوب القاطنة فيها, اذ تعد هذه المنطقة في الدراسات الاستراتيجية الحاضرة انها واحدة من بين خمسة مناطق في العالم مهيئة لإشعال فتيل الحرب العالمية الثالثة، بل واكثرها ترجيحاً بسبب التنافس الدولي والاقليمي عليها لاسيما منطقة مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

**اشكالية البحث:**

تكمن اشكالية البحث في ان البيئة الاقليمية لمنطقة الخليج العربي تشهد عوامل استمرار صراع الادوار الاقليمية والدولية, والتدخلات في الشؤون الداخلية, في ضل اوضاع وتوازنات لا يبدو منها احتمالات للسيطرة عليها. وبناءً على ذلك يمكن صياغة اشكالية البحث على النحو التالي.(( كيف يمكن ان يتأثر امن الاقتصاد العراقي بأمن الخليج العربي في ظل تطور عوامل التهديد وتنوع مجالاته )) .

**فرضية البحث:**

ينطلق البحث من فرضيها مفادها ان امن الخليج العربي يرتبط كثيراً بمواقف القوى الإقليمية والدولية، والتحالفات والتوازنات في الخليج العربي، وآلية حسم النزاعات والصراعات القائمة, وبدون شك سوف تكون هناك ارتدادات وانعكاسات سلبية او ايجابية, على العراق و مصالحه الحيوية في تحقيق الامن والاستقرار كجزء لا يتجزأ من أمن واستقرار جواره الخليجي.

## المبحث الاول: الامن والامن الاقتصادي حدود المفهوم و ابرز المستويات

يعد مفهوم الامن من المفاهيم المعقدة نسبياً عند تطبيقه في اطار السياسة الدولية, لما يتسم به من بساطة التعبير وغموض الدلالة, اذ انه حقيقة متغيرة تتسم بالتغيرات التي تطرأ نتيجة عوامل او ظروف داخلية وخارجية متعددة, فضلاً عن ذلك فمفهوم الامن من المفاهيم المركبة التي تجمع في مضامينها معانٍ متعددة تتسم بالغموض والوضوح في آنٍ واحد, اذن فهو حقيقة نسبية, لأن ضمانه المطلق لا يمكن تحقيقه, بل هو رهن بالمتغيرات الداخلية والخارجية[1]. وعليه تقتضي الضرورة تناول ابرز ما طرأ من تصورات على المستوى المفاهيمي للأمن وطبيعة مستوياته, لاسيما على المستوى الاقليمي وما اكتنفها من تصورات جديدة خصوصا بعد تبدل مفاهيم البيئة الاستراتيجية, بما فيها البيئة الامنية الخليجية, لذا سوف يتم تناول هذا المبحث في وفقاً للمطالب التالية.

### المطلب الاول : مفهوم الامن

في اطار العلاقات الدولية يعد مفهوم الامن من المفاهيم المركزية, ومنذ ظهور العلاقات الدولية اتسم بالغموض الشديد بوصفه حقلاً مستقلاً لمرحلة ما بعد الحرب العالمية

[1] نجدت صبري, الاطار القانوني للأمن القومي: دراسة تحليلية, دار دجلة, عمان, ٢٠١١, ص٤٤.

الاولى[١].فمفهوم الامن في ابسط معانيه يشير الى الطمأنينة من الخوف والقدرة على مواجهة التهديد وما يرتبط به عن طريق تهيئة القدرات اللازمة لأدراك التهديد ومصادره الاساسية ومستوياته[٢]. ويتخذ الامن مفهومان : الاول, مفهوم محدود يتمثل بالإجراءات الخاصة بتأمين الافراد داخل الدولة ضد الخطر المحتمل وتهيئة بيئة ملائمة لإشباع احتياجاتهم الاساسية. الثاني, وهو المفهوم الاوسع والذي يتمثل بكل ما يحقق الاستقلال السياسي للدولة وصيانة اراضيها وتحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي[٣].وقد عرف روبرت ماكنمارا الامن بأنه يعني: التنمية وليس القوة العسكرية بالرغم من انها جزء منه, وان الامن ليس هو النشاط العسكري على الرغم من انه جزء منه, فالأمن هو التنمية والتطور وبدون التنمية لا يمكن تحقيق الامن[٤].

اذن هو احساس الافراد والجماعات التي يتشكل منها المجتمع بالطمأنينة والاستقرار والذي يمكنهم من زيادة العمل والانتاج . أما أطروحات المدرسة الواقعية التقليدية حول مفهوم الأمن فتنطلق من فكرة مفادها :التركيز على الدولة بوصفها فاعلاً أساساً فيما يتعلق بالأمن وأولوية البعد العسكري على غيره من الأبعاد الأخرى، إذ يعتقد أنصار المدرسة الواقعية التقليدية أنَّ القضايا العسكرية والأمنية هي قضايا السياسة العليا وما عداها من القضايا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية هي قضايا السياسة الدنيا، وبناءً على ذلك يكون التهديد العسكري الخارجي ضمن قائمة أولويات الاستراتيجية الرئيسة لأمن الدولة، ومن ثم تلجأ إلى توظيف خيار الأمن الذاتي للدفاع عن مصالحها عن

---

[١] سليمان عبد الله الحربي، مفهوم الأمن :مستوياته وصيغته وتهديداته، دراسة نظرية في المفاهيم والأطر، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ١٩, مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008 ، ص.9

[٢] مصطفى علوي، الأمن الإقليمي بين الأمن الوطني والأمن العالمي، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، القاهرة، 2005 ، ص.8

[٣] سليمان عبدالله الحربي , مصدر سابق , ص١١.

[٤]روبرت ماكنمارا، جوهر الأمن، ترجمة (:يونس شاهين)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠, ص١٢٥.

طريق كيفية التحكم بالقوة وتوظيفها التي تعد جوهر السياسة الأمنية للدول، فأطروحات الواقعية التقليدية تميزت باختزال الأمن في الدولة بوصفه موضوعاً وفي البعد العسكري بوصفه قطاعاً للتحليل[١].

أما الإطار الفكري لأطروحات الواقعية الجديدة فيستند إلى رفض وانتقاد أطروحات المدرسة الواقعية التقليدية، فالدولة لديهم ليست هي الفاعل الوحيد في علاقات الأمن الدولية، بل يوجد فاعلون آخرون من غير الدول ممن يكون تأثيرهم في مدركات الأمن مساوياً أو يفوق التأثيرات التي تحظى بها الدولة، فالأمن لا يقتصر على البعد العسكري بل على أبعاد أخرى متنوعة[٢].

وفي أطار هذا السياق فأنَّ أصحاب المنظور الواقعي للأمن يرون :ضرورة تحديد التهديدات العسكرية والفعلية والمحتملة التي تواجهها الدولة، وتقييم القدرات العسكرية للدولة من أجل مواجهة تلك التهديدات، إذ يمكن عن طريق النظرية الواقعية تحليل مستويات متعدِّدة، فمن ناحية الأمن الإقليمي الخليجي الذي يضم دول مجلس التعاون الخليجي الست وإيران والعراق، فقد كانت التفاعلات بين الدول الست وإيران تقوم على أساس من علاقة تنافس وصراع بينهما، لذا شهدت المنطقة ثلاثة حروب مدمرة أثرت بشكل كبير على استقرار المنطقة الخليجية[٣].

أما الليبراليون الجدد فيعرفون الأمن من منطلقات أوسع من أطروحات الواقعيين الجدد, فهم يبتعدون عن قراءة جغرافية– عسكرية للمصطلح، ويركزون على قضايا الثروة والرفاه والبيئة بوصفها أموراً لا تقل أهمية، فهم يركزون في المؤسسات وإيجاد الأنظمة والبحث عن مكاسب مطلقة، لذلك أكدوا على ضرورة اللجوء إلى الأمن الجماعي بوصفه حلاً بديلاً

---

[١] أيمان رجب، مناقشة أولية لتطور نظريات الأمن وإشكاليات تطبيقها :اتجاهات نظرية، ملحق السياسة الدولية، العدد ,٢٠٧ مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2017 ، ص6

[٢] عبد النور عنتر، تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد ,١٦٠, مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2005 ، ص. 89 - 90

[٣] أشرف عبد الحميد كشك، تطورات الأمن الإقليمي منذ عام : 2003 دراسة في تأثير إستراتيجية حلف الناتو، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013 ، ص40

عن الأمن الذاتي من أجل تحقيق الاستقرار، لاسيّما أنَّ القوة في الشؤون العالمية أصبحت تتجه نحو القوة الاقتصادية بدلاً من القوة العسكرية[١].

أما أطروحات النظرية البنائية للأمن، فقد ركزت على الهوية، وهو ما أهملته النظريات السابقة ومدارسها الفكرية، لاسيّما فيما يتعلق بأسباب حدوث النزاعات الداخلية، إذ ترى البنائية أنَّ أغلب النزاعات الداخلية يغذيها عنصر الهوية، والأفكار والقيم والمعرفة .لذا فالرؤية لمفهوم الأمن من وجهة نظر المدرسة البنائية تنطلق من أنَّ الشروط المادية ليست المحدِّد الوحيد للأمن مثل القوة العسكرية والاقتصادية التي لا تكفي لتفسير وتحليل السياسات الدولية، بل إنَّ هناك معايير أخرى مثل القيم والمعايير الثقافية والمؤسسات والمعرفة، وهي تؤدي دوراً مهماً في تفسير وتحليل حالة عدم الاستقرار والنزاعات وتوجيه سلوكيات الدول في إطار النظام الدولي[٢]. واتساقاً مع ذلك يتم صياغة الأمن في ضوء أربع ركائز أساسية[٣].

1-إدراك التهديدات التي تفرزها البيئة الاستراتيجية.

2-رسم استراتيجية لتنمية قوى الدولة وتطويرها.

3-توفير القدرة على مواجهة التهديدات الخارجية والداخلية عن طريق بناء قوات مسلحة قادرة على مواجهة تلك التهديدات.

4-إعداد سيناريوهات واتخاذ إجراءات لمواجهة التهديدات التي تتناسب معها.

---

[١] غراهام أيفانز، جيفري نوينهام، قاموس بنغوين للعلاقات الدولية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، جدة، 2004 ، ص.494

[٢] رياض حمدوش، تطور مفهوم الأمن والدراسات الأمنية من منظور العلاقات الدولية، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي (الجزائر والأمن في المتوسط، تحرير، عبد المجيد قموح، جامعة قسطنطينية، الجزائر، 2008،ص 279

[٣] زكريا حسين، الأمن القومي، على الرابط الالكتروني:
http://www.khayma.com/almoudaress/takafah/amnkaoumi.htm

## المطلب الثاني: مستويات الامن

يتخذ الامن مستويات متعدِّدة تشمل الأمن الدولي والأمن القومي والأمن الإقليمي، وعن طريق تلك المستويات يمكن توظيف الأمن الإقليمي باعتباره الحلقة الأهم في مسار هذا البحث، الذي يركز على دراسة إشكالية الأمن في دول مجلس التعاون الخليجي. ان العلاقة متداخلة بين الأمن الإقليمي والأمن الدولي، فمع أنَّ الأمن الإقليمي هو نتاج تفاعلات محلية بين أطراف الإقليم فإنَّه لا ينفصل عن الأمن الدولي وتفاعلاته الأساسية، لاسيّما إذا كان في إقليم مصالح إستراتيجية للأطراف الدولية، مما يجعله محط أنظار الدول الكبرى ومحفزاً لاستقطاب إرادات القوى الدولية للتنافس حوله . ويعد إقليم الخليج العربي، وهو موضوع البحث، مثالا واضحاً وصورة فعلية للأمن الإقليمي المتداخل مع الأمن الدولي[١] . ويعد الامن الدولي المستوى الاوسع والأشمل الذي يتمثل في أمن كل دولة عضو من أعضاء البيئة الدولية، وهذا المستوى يتأثر بعلاقة الدولة مع غيرها من الدول الأخرى، لاسيّما الكبرى، وطبيعة تحالفاتها الاستراتيجية التي تنتهجها تجاه قضايا الصراع والتنافس الدولي، وثقلها في تحقيق الأمن الدولي ومشاركتها في المؤتمرات الدولية، والقيود التي يفرضها نظام الأمن الجماعي الذي ارتضته الدولة في إطار المجتمع الدولي[٢].

أما في إطار الأمن القومي، فان الآراء الفكرية و التحليلية التي تناولته لم ينتج عنها بلورة مفهوم جامع وشامل ذي مضامين موحَّدة لتعريف الأمن القومي، فقد تباينت تلك الآراء واتخذت اتجاهات متعدِّدة، ركز البعض منها على القيم الاستراتيجية، والبعض الأخر على أهمية الدولة القومية، وآخرون انبروا للدفاع عن القضايا الاقتصادية والاجتماعية، كل تلك الآراء جاءت لتفسير مفهوم الأمن القومي ودلالاته وتوظيف الوسائل اللازمة لتحقيق أهدافه، ومن ثم فقد ارتبط مفهوم الأمن القومي في بداياته بالقدرة العسكرية التي تستند إلى توظيف القدرات الردعية العسكرية لتحقيق الأمن، لاسيّما والتر ليبمان الذي يعد من أوائل الذين وضعوا تعريفاً لمصطلح الأمن القومي، فعدَّ الدولة أمنة إذا لم تبلغ

---

[١] اشرف محمد عبد الحميد كشك, مصدر سابق , ص٥٤.

[٢] نجدت صبري , مصدر سابق , ص٦٧.

الحد الذي تضحي بقيمها إن أرادت أن تتفادى وقوع الحرب وتبقى قادرة على صون هذه القيم في حالة تعرضها لتحديات البيئة الاستراتيجية [١]. وهذا يعني تحصين الدولة من الاخطار القائمة والمحتملة التي تتعرض لها نتيجة افرازات داخلية او خارجية وتأمين مصالحها وتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق اهدافها القومية, وكغيره من المفاهيم فان مفهوم الأمن الإقليمي تعددت تعاريفه وتنوعت مثل غيره من المفاهيم الاجتماعية، إذ يتمثل بمفهوم يصوِّر إدراك إقليم معين بالدولة المنتمية إليه لأسلوب تحقيق الحماية لذلك الإقليم من خلال الاتِّفاق بين أعضائه، وهذا يتطلب الرغبة لدول الإقليم في الوصول إلى ذلك الهدف، وتوفير القدرات اللازمة لتحقيقه، لذا فقد تعددت تفسيرات أبعاد ذلك المفهوم واتخذت خطوات متدرجة تهدف إلى تنسيق السياسات الدفاعية بين أكثر من طرف، وصولاً إلى تبني سياسة دفاعية موحَّدة تستند إلى تقدير موحَّد لمصادر التهديدات وكيفية مواجهتها[٢]

## المطلب الثالث: ماهية الامن الاقتصادي

اخذ موضوع الامن الاقتصادي اليوم حيزاً واسعاً من الدراسات الاقتصادية واصبح اولوية من أولويات الاهتمام ، لأنه يتعلق بنمو الاقتصاد وتطوره بشكل رئيسي، فضلاً عن تأثيره المباشر على أنواع الأمن الاخرى سواء كان داخلياً أو خارجياً لأي دولة، وارتباطه بالأمن القومي والغذائي والبيئي والفكري. فأهميته تبرز بعده المنفذ الأساسي إلى تحقيق الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي , والسياسي في الدولة. وبهذه الاهمية يعتبر الامن الاقتصادي تحدي لأي دولة لا بد من تأمينه, اذ اصبحت الدول تسعى لإيجاد السبل والاستراتيجيات الملائمة لتحقيق امنها الاقتصادي ,ولتتمكن الدول من تعزيز امنها الاقتصادي ملزمة بتتبع ورصد كل شيء يحيط بها وذلك من خلال تشخيص البيئة الداخلية والخارجية. ان تحقيق الامن الاقتصادي اصبح محدداً لقوة وتماسك الدول

---

[١] جون بيليس، وستيف سميث،عولمة السياسة العالمية، ترجمة :مركز الخليج للأبحاث، دبي، 2005 ، ص ٤٦٦

[٢] ظفر عبد مطر، الإدارة الأمنية الأمريكية في الشرق الأوسط :تفوق التوازنات الإقليمية، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2017 ، ص69

واستقرارها, وبخاصة , اذا كانت البيئة المحيطة تتسم بعدم الاستقرار وتعارض المصالح وبسط النفوذ.

**اولاً: مفهوم الامن الاقتصادي.**

يعرف الأمن الاقتصادي، بانه العمل على توفير الاستقرار الاقتصادي وتنمية الصناعات الوطنية، ورفع القدرة المعيشية للمواطنين، وتوفير جميع متطلبات الشعب من المواد الغذائية والمواد الخدمية، وتوفير سبل التقدم والرفاهية، وتحقيق حالة من الاكتفاء الذاتي من الموارد المحلية، فضلا عن تنمية الموارد البشرية وخلق تنمية اقتصادية واجتماعية مستدامة[١].

تعرّف اللجنة الدولية الأمن الاقتصادي اصطلاحياً، بانه الحالة التي تمكن الأفراد أو الأسر أو المجتمعات المحلية من تلبية احتياجاتهم الأساسية وتغطية المصاريف الإجبارية تغطيةً مستدامةً، بالنظر إلى الاحتياجات الوظيفية والبيئة والمعايير الثقافية السائدة ,أو بأنه الحالة التي تمكن الافراد أو الأسر أو المجتمعات المحلية من تلبية احتياجاتهم الأساسية وتغطية المصاريف الالزامية بشكل مستدام يحترم كرامتهم، وتشمل الاحتياجات الأساسية الطعام والماء والمأوى واللباس وأدوات النظافة الشخصية، بالإضافة إلى القدرة على تغطية مصاريف الرعاية الصحية والتعليم. كما أن مفهوم الامن لم يعد ذلك المفهوم المحصور في أمن الدولة فقط بحسب رؤية المدرسة الكلاسيكية، والتي اعتبرت على مدى قرون طويلة أن القوة العسكرية هي الاداة الوحيدة القادرة على تحقيق الامن، انما اصبح المفهوم الجديد للأمن هو مفهوم يتمحور حول أمن الافراد وليس أمن الدولة. لذلك كان هناك ترابط وثيق بين القرار السياسي في الدولة وبين ما هو اقتصادي، فتحقيق الامن الاقتصادي هو هدف لتحقيق الاستقرار السياسي من خلال تحقيق مضامين التنمية الانسانية[٢].

---

[١] اكرم هادي حمزه , الامن الاقتصادي الدولي , مجلة الحقوق العدد ٣٨-٣٩. مجلد ٥. ٢٠٢٠ .الجامعة المستنصرية .ص٧.

[٢] -https://www.icrc.org/ar/what-we-do/ensuring-economic-security.

**ثانياً: اهمية الامن الاقتصادي.**

تكمن اهمية الامن الاقتصادي بكونه مرتكز للأمن بمفهومه الشامل العسكري والبيئي والاجتماعي والسياسي, اذ نجد ان كل الشعوب تسعى الى استقرار اقتصادها ومعيشتها وهذا لا يأتي الا ببذل الجهود من قبل حكومات تلك الشعوب . ومما يدل على اهمية الامن الاقتصادي ان المجتمعات والافراد مفطورين على بذل الجهود لتحقيق الامن الاقتصادي وتتنافس الدول وتتصارع من اجل الاستحواذ على الموارد الاقتصادية والارتباط بالأسواق العالمية لتصريف منتجاتها[١].

**ثالثاً- اهداف الامن الاقتصادي[٢].**

تشمل اهداف الامن الاقتصادي كل مكونات البناء الاجتماعي على مستوى الافراد والمجتمعات

المحلية بصورة عامة ولا يتحقق الامن الاقتصادي بدون تحقيق هذه الاهداف وكما يلي:

أ- تأمين الدخل الفردي من خلال تأمين سوق العمل واستقراره في تقديم فرص عمل وفق المتطلبات الاقتصادية.

ب- العدالة في توزيع الوظائف واتخاذ مبدأ المساوة التامة بين افراد المجتمع بهدف ازالة الفوارق الاقتصادية بين طبقات المجتمع.

ت- تحقيق وتحسين الرفاهية الاجتماعية وزيادة مستويات المعيشة من خلال توفير المتطلبات الرئيسة للعيش لكريم مثل الغذاء والكساء والمسكن والتأمين الصحي.

ث- التحرر الاقتصادي والاستقلال بعيداً عن التبعية والمحافظة على الثروات والاموال من الهدر وسوء الاستخدام.

---

[١] مازن مزهر عواد , دور القضاء الدستوري في حماية الامن الاقتصادي , مجلة جامعة تكريت , المجلد ٥, العدد ٣ ,٢٠٢١.ص ٤٥٦.

[٢] مهدي عطية الجبوري . دور اليقضة الاستراتيجية في تعزيز الامن الاقتصادي , مجلة كلية الإدارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والإدارية والمالية. المجلد ١٢ , العدد ٤ , ٢٠٢٠ , ص٤٢٥

## المبحث الثاني : اهمية منطقة الخليج الاستر اتيجية وتحدياتها الرئيسية.

### المطلب الاول : الاهمية الجغر افية والاقتصادية لمنطقة الخليج العربي.

تحتل منطقة الخليج العربي اهمية كبرى على الصعيدين الاقليمي والدولي، مما يجعلها قوة مؤثرة ، تستمد هذه القوة من الخصائص التي تتمتع بها كالموقع الجغرافي، الامكانيات التي تزخر بها، الموارد المادية ، حيث تقع في موقع استراتيجي يجمع بين ثلاث قارات اسيا افريقيا واوروبا كما تتميز منطقة الخليج العربي بإطلالة بحرية واسعة، فضلاً عن صلاحية مياهها للملاحة طول العام، وكذلك سهولة تحرك الاساطيل البحرية في حالات السلم والحرب، مما يجعلها مجالاً لاستقطاب جميع السفن بما فيها السفن الحربية فضلا عن الجزر المنتشرة في منطقة الخليج العربي التي تتمتع بميزات استراتيجية هامة، كما يحظى مضيق هرمز بأهمية خاصة، إذ يعد أحد الممرات الاساسية لصادرات نفط الشرق الاوسط، وقد ازدادت اهمية الخليج العربي الجغرافية بعد اكتشافات حقول النفط فيها إذ تمر عبر موانئ هذه المنطقة العديد من ناقلات النفط في سواحله ولهذا تعد هذه المنطقة من اكثر الممرات ازدحاما في العالم اما فيما يتعلق بمقومات القوة في اقتصاديات دول مجلس التعاون الخليجي فهو الاستثمار الكبير الموجه في مشروعات البنية التحتية, حيث صنفت دول مجلس التعاون الخليجي ضمن الاقتصاديات العالمية الصاعدة والتي تساهم في انعاش الاقتصاد العالمي، بفضل ارتفاع معدلات التنمية العالية التي تحققها، بالإضافة الى دورها المحوري في تعزيز التوازن المطلوب في الاسواق النفط العالمية، والمساهمة في ايجاد ظروف مناسبة لنمو الاقتصاد العالمي وتنويعه في شتى المجالات الانتاجية, كما تمتلك دول الخليج اكثر من ثلثي الاحتياط العالمي من النفط، خاصة ان هذا الاخير يعتبر السلعة الاستراتيجية التي يتوقف عليها النمو الاقتصادي, مما يعني ان دول الخليج ستكون المصدر الرئيس في تأمين الزيادة المتوقعة من الطلب العالمي على النفط، اذ تتمتع دول الخليج العربي باحتياطات بترولية ضخمة وسهلة الاكتشاف، فضلاً عن انها منخفضة التكاليف، مقارنة باي منطقة اخرى في العالم لذلك فان دول الخليج تحظى بأهمية اقتصادية بالغة، وثروات نفطية وغازية كبيرة، اذ تعد مصدرا رئيسا لتغذية الطاقة على المستوى العالمي، كما تزخر بمخزونات نفطية ضخمة، ظف الى ذلك كون المنطقة مهد الدين الاسلامي ومركز

لاهم المناطق الاسلامية المقدسة والذي يقصده ملايين المسلمين سنويا, وانتعاش قطاع السياحة في المنطقة كلها قطاعات ذات عوائد مالية عالية تنعش اقتصاديات المنطقة.

وبالتالي فان الاعتبارات الجيوساسية والجيوستراتيجية لأي اقليم دور كبير في تحديد ماهية العلاقات البينية واشكالها لدول هذا الاقليم، وكذلك اليات التفاعل التي تحكم هذه العلاقات وتحديد مساراتها، اتجاهاتها واهدافها، فالعلاقات الدولية عادة هي انعكاس لمتطلبات واقع جغرافي وسياسي واقتصادي معين، يفرض على اطراف هذه العلاقة طبيعة السلوك المتبع في علاقاتها مع الاطراف الاخرى، سواء على الصعيد الاقليمي او الدولي، وهكذا هو الحال في سياسات دول منطقة الخليج العربي اذ تلعب الجغرافية السياسية لأي دولة دورا هاما في سياستها الخارجية[1].

## المطلب الثاني: التحديات الرئيسة في منطقة الخليج العربي:

تعد منطقة الخليج العربي منطقة مصالح حيوية على المستويين الاقليمي والدولي, ولذلك فهي تشتمل على مجموعة من التحديات الامنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الاعلامية والتي يمكن ايجازها بالشكل التالي.

**اولا: التحديات الامنية.**

دول مجلس التعاون الخليجي من ناحية الغرب تطل على شواطئ الخليج العربي, بينما ايران تطل عليه من ناحية الشرق, اما العراق فيطل عليه في الشمال, وفي البعد الاستراتيجي لساحل الخليج الشرقي يعني وجود استراتيجية واحدة وكذلك سياسة خارجية ودفاعية واحدة وقوات مسلحة واحدة تخضع لقيادة واحدة مقرها طهران. بالمقابل فان السواحل الغربية للخليج تحكمها استراتيجيات مختلفة ودول عربية مختلفة وحلفاء دوليون

---

[1] - ينظر في ذلك

- بدر عواد برغش وسلام داود غزيل , الاهمية الجيوبولتيكية للمعادن الاستراتيجية في دول مجلس التعاون الخليجي, مجلة الجامعة العراقية , المجلد (٣٦) العدد (٣) ,٢٠١٦. عدة صفحات.
- محمد صالح المسفر , العلاقات الخليجية – الخليجية معضلة الفراغ الاستراتيجي والتجزئة , مركز الجزيرة للدراسات ٢٠١٨, ص٣٥-٤٠

متعددون والعلاقات بين الدول الخليجية وتعدد الحلفاء تفرز مجموعة من التحديات الامنية يمكن تحديدها بالتالي:

١. **سباق التسلح :** بعد تصاعد خلافات دول مجلس التعاون بعضها مع البعض ( الازمة القطرية نموذجاً) وكذلك مع محيطها الاقليمي ولاسيما الجمهورية الاسلامية الايرانية, ناهيك عن ادراك مخاطر تنظيم داعش الارهابي, دخلت دول المنطقة في مرحلة سباق تسلح فيما بينها, من اجل تعزيز وتطوير منظومة الدفاعات العسكرية في شتى المجالات. وترى بعض دول مجلس التعاون ان هذا السباق يفهم بأنه تهديد للأخرين الذين لا يرومون الدخول في دائرة سباق التسلح, إلا ان استمرار دول الخليج بموضوع استمرار تعزيز التسلح قد يدخل الكل في هذا السباق واستمراره سيفكك منظومة الامن الخليجية التقليدية وسيدخلها مجال بناء قوة نووية اذا ما توفرت البيئة الدولية المناسبة والداعمة لها . وهذا التصعيد سيجعل المنطقة في حالة من عدم الاستقرار السياسي والامني وستكون المنطقة عرضة للتقلبات السياسية والامنية والاقتصادية[١] .

٢. **خطر التنظيمات الارهابية:** على الرغم من القضاء على تنظيم داعش الارهابي بعد ان سيطر على مساحات شاسعة من العراق وسوريا في العام ٢٠١٤, وضع دول المنطقة امام تحدي كبير يتمثل بتنامي نشاط الجماعات الارهابية وغياب الاستراتيجية الشاملة لمكافحتها سواء على الصعيد الداخلي او الاقليمي ,خصوصاً انه لم ينته ايديولوجياً, اذ ما يزال يهدد المنطقة بشكل مستمر, لاسيما في ضل غياب الحلول السياسية وعدم الاتفاق بشأن مفهوم الامن اقليمياً. وهذا من شانه ان يجعل قضية الامن الخليجي قضية اقليمية مشتركة تتقاطع فيها الرؤى والمصالح الدولية.

٣. **الخلافات الخليجية – الخليجية :** هذه الخلافات ليست بظاهرة جديدة, فمن المعروف ان هناك العديد من الاختلافات في وجهات النظر, وعلى الرغم من مرور الزمن بقيت بعض هذه الخلافات سرية وذلك نتيجة لطبيعة الثقافة السياسية في منطقة الخليج, ورغم ذلك

---

[١] سعد فضاله و ميثاق مناحي, تأثير القدرات النووية الايرانية في الامن القومي الخليجي , وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول :مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الامن القومي العربي في ضل التحديات الراهنة , ط١, مركز الدراسات الستراتيجية جامعة كربلاء ٢٠١٩, ص٣٦٩-٣٧٠.

ظهر بعضها للعلن ما بين الحين والاخر, وترجع اسباب هذه الخلافات الى الكثير من القضايا العالقة بينها, مثل مسألة الحدود التي احدثت ازمات وصراعات متعددة بين دول المجلس, وكذلك النزاعات السياسية المتعلقة بعنصري الزعامة والقيادة, ناهيك عن ذلك, هناك نزاعات ترتبط بالمتبنيات الايديولوجية, فكثيراً ما عرضت تلك المتبنيات امن الخليج واستقراره الى خطر كبير وتعرض منظومة الامن الخليجية الى الانكشاف على التهديدات الاقليمية والدولية, وان خير دليل على ذلك هو الازمة بين قطر من جهة والسعودية ومحورها الخليجي من جهة اخرى[1]

٤. **التواجد العسكري الدولي**: يعد التواجد العسكري الدولي من اهم واكبر التحديات الامنية التي ما تزال تعرقل امن الدول العربية بشكل خاص وامن المنطقة برمتها, لا سيما ان هذا التواجد لا يقف على مسافة واحدة مع كل دول الخليج, ويعد عامل معرقل امام طموحات الدول العربية والاقليمية من ايجاد صيغة مشتركة للأمن الخليجي والعربي والاقليمي, وهو في نفس الوقت عامل تهديد وابتزاز لدول الخليج العربي وخير دليل ما نراه من مواقف الادارة الامريكية التي ابتزت دول الخليج ماليا واقتصاديا مستغلة التواجد الامريكي في المنطقة.

**ثانياً: التحديات السياسية.**

عادة ما تكون التحديات الامنية امتداداً لحالة عدم الاستقرار السياسي. ومن اهم التحديات السياسية التي تواجه دول الخليج العربي في المستقبل المنظور هي ما يلي:

١. **شرعية النظم السياسية** : تعد شرعية النظم السياسية من اهم التحديات على مستوى البيئة الداخلية, فمن المعروف ان جميع دول مجلس التعاون الخليجي ذات انظمة وراثية, تكون فيها السلطة محتكرة من الاسر, تكتسب شرعيتها اما من دعوى الحكم بمقتضيات الشريعة واحكامها كما هو الحال في المملكة العربية السعودية, او المذهب كما في سلطنة

---

[1] ايناس عبد السادة و حنان علي , ازمات العلاقات الخليجية – الخليجية واثرها على مستقبل مجلس التعاون لدول الخليج العربية , وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول : مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الامن القومي العربي في ضل التحديات الراهنة , ط١, مركز الدراسات الستراتيجية جامعة كربلاء ٢٠١٩ ص٤١٧-٤١٨

عمان, او عصبية القبيلة والعائلة والعشيرة, كما هو الحال في الكويت وقطر والامارات العربية المتحدة, لذا فهي معرضة لمواجهة عاجلاً ام اجلاً ففي ضل تحدي التحديث الديمقراطي وحراك اجتماعي داخلي يتطلع الى التغير وضغوط خارجية مساندة لمثل هذه التغيرات, ومالم يجرِ تحول بنيوي وتحديث حقيقي لهذه الانظمة ستكون عرضة لهزات اجتماعية كبيرة قد تبدأ على شكل نزاع في قمة هرم السلطة وتتحول بمرور الوقت الى نزاع داخلي حول شرعية السلطة ومدى تبنيها لأسس ديمقراطية تستند الى دستور منتخب يرضي الطموح العام بالمشاركة السياسية, بدلا من طور الدولة الراعية فالعلاقة بين الدول ومواطنيها قائمة على اساس انهم رعايا لا شركاء ناهيك من ان دول المجلس لم تنتقل من دولة القبيلة الى الدولة الحديثة بمقوماتها العصرية القائمة على مقومات الكفاءة والمؤهلات بدلا من الولاء الشخصي وعلاقات القرابة, وعلى الرغم من ان احداث الربيع العربي وقفت على تخوم منطقة الخليج العربي لسبب او اخر إلا ان هذه الانظمة لابد وان يطالها ربيع خليجي قادم لا محالة[١].

٢. **الاعتماد على الدول الكبرى** : على المستوى الدولي, فان التحدي الامني لدول مجلس التعاون الخليجي هو ما يتعلق بنفوذ الولايات المتحدة الامريكية والقوى الدولية الاخرى في المنطقة اذ اعتادت دول الخليج على الاعتماد على قوة اجنبية في الدفاع عنها, ويعتبر هذا التحدي من اكبر التحديات على المستوى الدولي الذي يهدد امن واستقرار دول الخليج فكثير ما يؤشر على هذه الدول انها تعتمد على الولايات المتحدة بشكل مطلق, والدلائل كبيرة في هذا المجال فالتحالف العربي وحرب اليمن وكذلك الدور الذي قامت به هذه الدول في دعم الجماعات المسلحة في سوريا, ناهيك عن استقلالية الامن الداخلي الخليجي عن القرار

---

[١] عبير سهام مهدي و وعمار حميد , اشكالية الامن في دول مجلس التعاون الخليجي : دراسة في التحديات الداخلية والافاق المستقبلية : وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول : مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الامن القومي العربي في ضل التحديات الراهنة , ط١, مركز الدراسات الستراتيجية جامعة كربلاء ٢٠١٩ , ص٢٥٠-٢٥١.

الخارجي, وهذا يكفي ان يدخل المنطقة في نزاع مستمر ربما تستثمره الدول الكبرى لصالحها, وما الحرب على اليمن والحصار على الجمهورية الاسلامية إلا صورة واضحة لهذا التحدي[1]

**ثالثاً التحديات الاقتصادية والاجتماعية.**

١. **فخ الاقتصاد الريعي**: من ابرز التحديات على المستوى الاقتصادي التي تواجه دول المجلس هي مسألة الانكشاف الاقتصادي, وذلك بسبب عدم تنوع الهياكل الاقتصادية , ناهيك عن اعتمادها على سلعة واحدة ( النفط) وهذا الامر يضعف الامن الاقتصادي ويجعلها اسيرة تقلبات اسعار النفط العالمية التي يتحكم بها تطورات اكتشاف مصادر الطاقة البديلة وحجم الانتاج من النفوط غير التقليدية. وعليه ان بقاء الوضع الاقتصادي رهناً باستخراج النفط وتصديره يعرض اقتصاديات المنطقة الى كارثة حقيقية في حالة حصول مواجهة عسكرية في المنطقة بين الدول المتنافسة على المصالح, او حصول انخفاض حاد في اسعار النفط الخام, وعلى الرغم من ادراك بعض دول الخليج لهشاشة امنها الاقتصادي فبدأت تعمل على تنويع الموارد المغذية لموازناتها السنوية كما هو الحال في السعودية والامارات إلا ان ذلك يتطلب استراتيجية واضحة تشمل كل دول الخليج النفطية

٢. **العمالة الوافدة** :تعتبر العمالة الوافدة واحدة من اهم التحديات التي تواجه دول مجلس التعاون الخلجي على الصعيد الاجتماعي, فهذه العمالة اخذت بالزيادة على حساب اليد العاملة المحلية, الامر الذي يرفع من معدلات البطالة بين الفئات الوطنية الشابة, وهذا من شأنه ان يؤدي الى حدوث قلاقل اجتماعية بين العمالة الوطنية والوافدة, لاسيما بعد ان وصلت اعدادها الى مستويات كبيرة جداً مقارنة بالتركيبة السكانية للدول الخليجية, مما يعني امكانية تجذر انقسام اجتماعي واقتصادي وحتى سياسي بين المواطنين الاصلين والوافدين, بسبب بروز حالة من اللاتوازن بسبب الاعتماد شبه الكلي على هذه العمالة, ناهيك عن بروز تحديات امنية تمثل تهديدا فعليا لأستقرار دول الخليج او قد توظف تلك

---

[1] عمر هاشم ذنون, العلاقات الخليجية – الامريكية رؤية مستقبلية , وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول : مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الامن القومي العربي في ضل التحديات الراهنة , ط١, مركز الدراسات الستراتيجية جامعة كربلاء ٢٠١٩ ص٣١٣

العمالة من قبل الدول الاقليمية والدولية, لكي تضطلع بأداء ادوار ضاغطة على دول المنطقة تمثل تهديدا للامن والاستقرار الخليجي[1].

## المبحث الثالث: التوازنات الاقليمية والدولية في منطقة الخليج الو اقع والاستر اتيجيات.

تعد منطقة الخليج المنطقة الأكثر إثارة، ولقد كانت وما زالت محور اهتمام إقليمي ودولي واسع، لا سيما في ظل المتغيرات السياسية التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط خلال المرحلة الراهنة , ولذلك تحاط بها استراتيجيات واقع اقليمي ودولي يؤثر عليها بشكل كبير وفيما يلي نحاول ان نبين هذه الاستراتيجيات من خلال المطالب التالية.

### المطلب الاول : استر اتيجيات الدول العظمى ازاء منطقة الخليج.

**اولاً الولايات المتحدة الامريكية.**

تحظى منطقة الخليج باهتمام الولايات المتحدة, لما تتمتع به هذه المنطقة من ثروات نفطية كبيرة تمثل اكبر احتياطي في العالم, فالنفط هو العامل الرئيس في تحديد المصالح الاستراتيجية في المنطقة، إذ يتميز نفط الخليج بتكاليف منخفضة في الاستخراج قياسا بمناطق أخرى في العالم. إن الحفاظ على أمن الخليج يعد من المصالح الأمريكية الحيوية، لذلك تنطلق استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في الحفاظ على الملكيات القائمة لدول مجلس التعاون الخليجي، وليس في نيتها إجراء إي تحرك في سبيل تغيير الأنظمة هناك، لاسيما موضوع دعم الديمقراطية إلا بمقدار ما تحقق مصالح الولايات المتحدة، لصعوبة التنبؤ بظهور طبقات سياسية مؤيدة للتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية, لذلك تتبنى الولايات المتحدة استراتيجية تسليح دول مجلس التعاون الخليجي

[1] عبير سهام مهدي و وعمار حميد , مصدر سابق , ص٢٥٧

بالمعدات والأسلحة الحديثة وبناء قوات مسلحة لغرض تحقيق التوازن الاستراتيجي بحجة ضمان التواز الاستراتيجي بينها وبين إيران ضمن مبدا توازن القوى[١].

**ثانياً: روسيا.**

من اجل فهم الاستراتيجية الروسية نحتاج التعرف على العناصر المهمة من مصالح روسيا في منطقة الشرق الأوسط ولاسيما في منطقة الخليج للوقوف على ملامح هذه الاستراتيجية ، إذ شرعت روسيا بالتخطيط للانفتاح الواسع على دول الشرق الأوسط، وتحديداً منطقة الخليج، عندما دخلت روسيا المرحلة البوتينية، حيث اجرى الرئيس بوتين زيارات إلى دول الخليج العربية( المملكة العربية السعودية - الامارات – قطر ) إلى جانب إيران والأردن واسرائيل، عدت تلك الزيارات بالعلامة الفارقة في السياسة الروسية بعد انتهاء حقبة الاتحاد السوفيتي، اكسبت روسيا وضعية المراقب في منظمة التعاون الاسلامي[٢]. تعد منطقة الخليج بالنسبة لاستراتيجية الامن القومي الروسي من الأولويات, قياسا باستراتيجيتها إزاء أوروبا وأسيا, إدراكا منها أن هذه المنطقة تمثل مجالا حيويا لأمريكا، وما الدور الروسي في المنطقة إلا بمثابة الحفاظ على المكانة العالمية لها وعدها فاعلا دوليا مهما في السياسة الدولية[٣]. وحيث ان روسيا تعد أكبر مصدر للنفط خارج اطار منظمة اوبك، فهي تسعى على الدوام إلى إجراء تنسيق مع المملكة العربية السعودية المصدر الأكبر للنفط ضمن منظمة أوبك، إذ أبرمت روسيا والسعودية اتِّفاقا بشان تخفيض إنتاج النفط, لاعتماد روسيا المتزايد على عائدات النفط نتيجة للتباطؤ الاقتصادي لديها والعقوبات الغربية التي ألقت بضغط كبير على موسكو للسعي في الانفتاح على دول الشرق الأوسط.

---

[١] للمزيد عن الأستراتيجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط أنظر -:جمال مصطفى عبدالله سلطان ، الأستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط ) 1979 -2000 ( ، دار وائل للنشر ،2002

[٢] Russian ، and Sarah Grand- Clement، Ben Connable، Becca Wasser، James،Sladden Strategy in the Middle East. Santa Monica ،CA: RAND Corporation .html،.https://www.rand.org/pubs/perspectives/PE236 2017

[٣] آنا بورشيفكايا ، روسيا في الشرق الأوسط( الدوافع – الاثار – الامال ) ، دراسة صادرة عن معهد واشنطن ، ترجمة مركز ادارك للدراسات والاستشارات ، فبراير 2016، ص39 .

إلى جانب اتِّسام الاستراتيجية الروسية بالبرغماتية في التعامل مع دول الخليج العربية، والانطلاق من خلال الفرص المسموح بها في لعب دور كبير لاسيما الصفقات التجارية وصفقات الأسلحة. كما ينبغي التأكيد على أن الازمة السورية قد أثارت حفيظة الدول الخليجية في التعامل مع روسيا، نتيجة وقوفها الى جانب الحكومة السورية, لما لها من مصالح استراتيجية في سوريا تتمثل بوجود قواعد بحرية وجوية في سوريا، مثلت إطلالتها الوحيدة في البحر المتوسط، كما أن روسيا لم تجد في القوى المعارضة المدعومة خليجيا وأمريكيا وتركيا شركاء يمكن الوثوق بهم لضمان مصالح روسيا في سوريا.

**ثالثاً: الصين.**

على المستوى الاقتصادي تعد الصين المنافس العالمي الأهم للولايات المتحدة الأمريكية ، بعد أن حققت نموا اقتصاديا كبيرا خلال العقود الأخيرة المنصرمة, بفعل النهضة الصناعية التي شرعتها الصين، الذي احتاجت لديمومتها إلى تامين مصادر الطاقة الضرورية. مستفيدة من تجاربها السابقة لاسيما تجربة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتِّحاد السوفيتي، أدركت أن تحقيق المكانة العالمية لا يتحقق إلا من خلال النهضة الاقتصادية والتجارية والصناعية وعدها مقدمة للقوة العسكرية .على أثر ذلك سعت الصين إلى تطوير علاقاتها بالدول المصدرة للطاقة، لاسيما دول الشرق الأوسط التي تتمتع باحتياطات نفطية ضخمة .وتعد الصين ثاني أكبر مستهلك للطاقة بعد الولايات المتحدة الأمريكية، فدول الخليج تمد الصين بحوالي % 50 من وارداتها النفطية[1]. والصين تعي جيداً التعقيدات السياسية والصراعات البينية في منطقة الشرق الأوسط، لذلك تسعى إلى إرضاء الأطراف كافة ببناء علاقات متوازنة بين طرفي الخليج المتمثل بإيران وباقي الدول العربية الخليجية

[1] د.زينب عبد الله ، السياسة الخارجية الصينية تجاه دول الخليج( السعودية نموذجا )، مجلة اتجاهات سياسية ، العدد الخامس ، المركز الديمقراطي العربي برلين – المانيا ، 2018 ، ص. 51

كما ان الصين في الآونة الاخيرة اثارت مخاوف خليجية وبالتحديد الإمارات العربية المتحدة من خلال دعمها إنشاء ميناء جوادر على بحر العرب في دولة باكستان , اذ تعده الامارات تهديد لمستقبل التجارة في ميناء دبي[١].

**رابعاً: الاتحاد الاوربي.**

يطمح الاتِحاد الأوروبي بأخذ دور سياسي عالمي خصوصا بعد ان قطع الاتِحاد الأوروبي مراحل متقدمة في مجال تحقيق التكامل الاقتصادي والسياسي والأمني آخذا العبر من الحروب العالمية الاولى والثانية مدركا أهمية العمل المشترك ، حيث عقدت العديد من الاتِفاقيات في مجال التجارة الحرة واصدار عملة موحدة لدول الاتِحاد الأوروبي كافة (اليورو )عام 1999 م، والتي أخذت طريقها نحو الاسواق العالمية ، ناهيك عن تشكيل البرلمان الأوروبي واستمرار العمل بحلف شمال الأطلسي بالتنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة في تسعينيات القرن المنصرم. لذا فإن الاتِحاد الأوروبي يسير قدما باتجاه ظهوره بوصفه قطبا دوليا فاعلا ومؤثرا ، فهو يملك القابلية الاقتصادية وتوظيف القوة العسكرية بصورة مستقلة ولعب دور متمايز عن الولايات المتحدة الأمريكية، التي تخشى من حصول تقارب بين الاتِحاد الأوروبي وروسيا الاتِحادية، مثلت الأخيرة المزود الرئيس للطاقة لأوروبا عبر أنابيب الغاز الروسي .ناهيك عن ذلك أدراكت الدول الأوروبية أن الولايات المتحدة تمارس نوعا من الهيمنة على القرار الأوروبي. ينظر الاتِحاد الأوروبي لمنطقة الخليج بنظرة اهتمام، لاسيّما للاعتبارات الاقتصادية .لذا سعى الاتِحاد الأوروبي إلى بناء علاقات اقتصادية متميزة مع دول

الخليج العربية، إذ يعد مجلس التعاون الخليجي خامس أكبر سوق تصدير للاتِحاد الأوروبي مع فائض قوي وثابت في الميزان التجاري. إن تتبع تطور السياسات الأوروبية في منطقة الخليج يشير بشكل واضح إلى الاهتمام الملاحي في الخليج، نتيجة اعتماد أوروبا على نفط الخليج الذي يتم نقله بواسطة حاملات النفط ناهيك عن تامين الممر الناقل للنفط عبر

---

[١] Hasan Yaser Malik، Strategic Importance of Gwadar Port، Journal of, Political Studies, Vol19, Issue2, 2012,p60.

مضيق هرمز. وهذا يؤكد الأهمية الجيو اقتصادية والجيو سياسية والأمنية للخليج في حسابات الدول الكبرى.

## المطلب الثاني: استراتيجيات الدول الاقليمية ازاء منطقة الخليج.

اولا: الجمهورية الاسلامية الايرانية.

تمتلك جمهورية ايران الاسلامية مكونات القوة الكبيرة والقدرات العسكرية والاقتصادية والمساحة الجغرافية والسكانية وحتى الحضارية ، التي تدفع بها إلى لعب دور إقليمي بارز ضمن الفضاء الحيوي وبالتحديد منطقة الخليج( الذي تسميه معظم دول العالم بالخليج الفارسي، إذ إن هذه التسمية تثير حفيظة الدول العربية الخليجية التي ترغب بتسميته بالعربي وهذه من الأمور المختلف عليها تاريخيا.

إن عناصر القوة الذاتية لدى إيران مكنتها من لعب ادوار متعددة ، وأخذت هذه الأدوار تتنوع بتنوع الواقع الدولي والإقليمي , وبالخصوص بعد قيام الثورة الاسلامية عام 1979 م,وحملها لشعارات اسلامية بعيدا عن القومية الفارسية، فقد أثيرت حفيظة القوى العالمية والإقليمية من اجل اضعاف قدراتها في المجالات كافة بوصفها قوة اقليمية صاعدة الامر الذي جعل الولايات المتحدة الامريكية تروج للمجتمع العالمي على ان ايران تشكل تهديدا على الدول الخليجية الناشئة. وعليه أخذت إيران ببناء قدراتها الاقتصادية والعسكرية وعلاقاتها الدولية والإقليمية

من اجل احداث توازن إقليمي يؤمن مصالح إيران في المنطقة[1].

**ثانياً. تركيا.**

بعد وصول حزب العدالة والتنمية بزعامة اوردغان عام 2002 للسلطة, انفتحت تركيا من جديد على العالم العربي والاسلامي، بعد أن أخفقت العلمانية التركية من دمج أو دخول تركيا الى الاتِّحاد الأوروبي، إذ مثل صعود حزب العدالة والتنمية في تركيا أحد التحولات المهمة في قضايا منطقة الشرق الأوسط والمؤثرة في التوازن الإقليمي في هذه المنطقة. كما

[1] للمزيد أنظر -:طايل يوسف عبدالله العدوان ، الاستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران نحوالشرق الأوسط ، جامعة الشرق الأوسط ،. 2013

أخذ حزب العدالة بتبني قضايا العالم الاسلامي والعربي مثل القضية الفلسطينية، ودعم ما يسمى بالربيع العربي 2011 م ودعم تيارات الإسلام السياسي بالتحديد حركة الإخوان المسلمين. إن الاستراتيجية التركية تجاه منطقة الشرق الأوسط زادت من اهتمام تركيا بقضايا هذه المنطقة، لتغير المنطلقات الفكرية لتركيا الحديثة التي يقودها حزب العدالة والتنمية الذي أستمد تلك التوجهات من نظرية العمق الاستراتيجي التي صاغها أحمد داود أوغلو , وزير الخارجية التركي عندما كان يعمل بمنصب مستشار رئيس الوزراء (رجب طيب أردوغان)، هذه النظرية التي وضعت أسس النظام السياسي الجديد، إذ استهدفت السياسة الخارجية التركية الجديدة توظيف عمقها التاريخي والثقافي والسياسي من أجل إعادة بناء علاقات وطيدة، تؤسس لدور فاعل ومؤثر لتركيا في منطقة الشرق الأوسط، وهو ما يعزز من مكانة تركيا الدولية وجهودها للانضمام إلى الاتِّحاد الأوروبي على أساس من كونها - حسب مفهوم السياسية الخارجية التركية الجديدة - لم تعد دولة طرفية بل أصبحت دولة مركزية تقوم على مبدأ( سياسة متعددة الأبعاد ومبدأ التأثير في الأقاليم الداخلية والخارجية لدول الجوار. وعلى اساس ذلك بدأت تركيا تنظر إلى الشرق الأوسط بمثابة دائرة إقليمية بديلة يمكن الاعتماد عليها[١].

[١] للمزيد ينظر :- بدرة سليم , الشرق الاوسط , دراسة تحليلية في طبيعة المتغيرات الدولية والاقليمية المساهمة في التحول الاستراتيجي التركي تجاه المنطقة , مجلة الاستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية , العدد (٩), المجلد(٢), ٢٠١٨.

## المبحث الرابع : انعكاسات امن الخليج على الامن العراقي ومتطلبات التقارب الجيوسياسي العراقي - الخليجي.

### المطلب الاول: قنوات تأثر امن العراق بأمن الخليج العربي.

يتأثر الامن في العراق بشكل مباشر بأمن واستقرار منطقة الخليج العربي , وهناك ثلاث تأثيرات مباشرة وخطيرة لا يمكن بأي حال من الاحوال تجاهلها من قبل صناع القرار في العراق وذلك لارتباطها المباشر بأمن العراق وهذه التأثيرات تتمثل بالاتي[1] :

١- الاستقرار في العراق: اثبتت تجارب السنوات الماضية ان الاستقرار في العراق يتناسب طردياً مع استقرار الامن في الخليج العرب, اذ ان وجود توتر بين بغداد ومحيطها الخليجي يمكن ان يزعزع الاستقرار في الداخل العراقي بشكل جدي وخطير, وتجربة العراق الحديثة خير دليل على توضيح الدور السلبي الذي لعبته الدول الخليجية في رفع معدلات العنف والتطرف والارهاب داخل العراق بشكل او اخر, اذ منعت تلك الاحداث تجربة العراق السياسية الجديدة الوقت الكافي من الهدوء لكي تصل مراحل النضوج الفكري والسياسي, حتى دخل العراق مرحلة جديدة من الاضراب السياسي وعدم الاستقرار عام ٢٠١٤ باحتلال تنظيم داعش الارهابي مساحات شاسعة من الاراضي العراقية, الذي لم تتوقف تداعياته عند حدود العراق بل ان امن الدول الخليجية جميعها تم تهديده, ولو قدر لهذا التنظيم السيطرة على بغداد لكانت سيطرته على عواصم خليجية اخرى اكثر سهوله مع وجود بيئة خصبة ومناسبة لتمدده . ان تعزيز الاستقرار في العراق والنجاح في بناء الدولة لا يمكن ان يتحقق ما لم تكن منطقة الخليج تتمتع برمتها في الاستقرار, فما يهدد هذا الاستقرار فهو تهديد مباشر للأمن الوطني المباشر والعكس صحيح, ولا يمكن تصور نجاح اي سياسة عراقية مالم تضع في الحسبان امن واستقرار جوارها الخليجي, او ان تكون جزءاً من سياسة اقليمية تكرس ذلك او تستمر بعلاقات متوترة مع العواصم الخليجية , بالمقابل يجب على دول الخليج العربي ان تدرك اهمية دعم واستقرار العراق السياسي والاقتصادي

---

[1] تاثير امن الخليج العربي على الامن الوطني العراقي في الربع الاول من القرن الحادي والعشرين, مركز الدراسات الاستراتيجية , جامعة كربلاء , ٢٠١٩ ,ص ١٠.

لضمان امنها واستقرارها . وعليه يتعين على سياسة العراق الخارجية ان ترسخ هذه القناعة لدى دول الخليج العربي, وان تعمل على خلق اجواء الثقة في طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية بين دول المنطقة, وكذلك العمل على توفيق المصالح السياسية والاقتصادية المتضاربة في الوقت الحالي, فيما يتعلق بالموانئ وانابيب النفط والغاز .

٢- صراع المصالح على المستوين الاقليمي والمحلي: منطقة الخليج العربي هي منطقة نفوذ ومصالح اقليمية ودولية , ولذلك تزخر المنطقة باللاعبين الاقليميين والدوليين الراغبين بتوسيع دائرة نفوذهم وتحقيق مصالحهم , ومكمن الخطر هو انه غالياً ما يكون اللاعب الاقليمي مدفوعاً من لا عب دولي كبير, هذه البيئة ومستويات التنافس والصراع بين لاعبيها الكثر تشكل مصدر تهديد وزعزعة للأمن والاستقرار وتجعل منها منطقة هشة , بسبب تعدد قواعد اللعب والخطوط الحمراء فيما بينهم , فتارة تكون هناك خطوط حمراء واضحة تتمثل بعدم تطور الصراع بالمستوى الذي يهدد لاعباً اقليمياً او دولياً رئيساً, لذا يتجه الصراع بشكل اخر ويتخذ صورة الحرب بالوكالة ومعروف ان هذه الحروب امدها طويل ومدمر لبنية المجتمعات التي تجرى على ساحتها وعندما تتطور مستويات الصراع بين اللاعبين الدوليين يمكن ان تتجه حروب الوكالة الى الحرب الاهلية ليتم من خلالها توظيف ابشع واقذر ادوات الصراع لتحقيق اهداف من يقف خلفها.

٣- تهديد الامن الاقتصادي العراقي: يحتاج العراق الى وقت طويل من اجل وضع السياسات الاقتصادية الكفيلة بتنويع موارده الاقتصادية, وحتى يتحقق ذلك سيبقى معتمد كل الاعتماد على استخراج النفط وتصديره من اجل دعم موازنته السنوية التي تعاني من مخاطر الصدمات النفطية , ففي الوقت الذي عملت بعض الدول الخليجية على اتخاذ اجراءات من اجل تنويع صادراتها وتقليل اعتمادها على النفط وتجنب اثار الاضطرابات الاقتصادية غير المتوقعة التي تخلفها تقلبات اسعار النفط , فان العراق ما زال متخلفاً الى حدا كبير بهذا الشأن , ولذا فان حصول اي حدث غير متوقع يهدد امن الخليج العربي سيمتد مباشرة الى مضيق هرمز مما يعرقل من امدادات النفط التي تمر خلاله, وهذا يعني عرقلة امدادات النفط العراقي كونه يعتمد بشكل شبه تام على هذا الممر المائي في تصدير نفطه, وسيترتب على هكذا سيناريو تهديد للامن الاقتصادي يدفع الى حصول اضطرابات

اجتماعية خطيرة تخلق الفوضى والارباك في عمل الدولة والمجتمع . ولا يمكن لدولة مثل العراق ان تهمل تطورات الاوضاع في منطقة الخليج او ان تسمح بخروجها عن السيطرة فكل المؤشرات ترجح عدم وجود اي مصلحة عراقية في عدم القيام بهذا الدور في المدى المنظور.

## المطلب الثاني : متطلبات التقارب الجيوسياسي العراقي – الخليجي.

يشهد العراق في الوقت الراهن تحولات مهمة سواء مع المحيط الاقليمي او جواره الخليجي , حيث بدأت هذه التحولات منذ العام ٢١٤, واتخذت مسارات جديدة لاسيما المملكة العربية السعودية, في مسعى لتعزيز الانفتاح والتقارب مع المحيط الاقليمي, هذه التوجهات تصب في مصلحة العراق , ويتطلب من الحكومة الحالية تعزيزها بشكل يتجاوز الانفتاح الى التقارب الجيوسياسي مع دول الخليج العربي, وبما يحقق مصالح العراق العليا وفي مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والامنية والثقافية . وهذا يتطلب العمل على الاتي[١]

١- ربما يشهد الشرق الاوسط ولادة منظومة اقليمية او دولية جديدة بديلاً عن المنظومة الحالية , وهذا يتطلب بناء مقومات قوة العراق الداخلية وتعزيز استقراره السياسي والاقتصادي, وبناء قوته العسكرية وتعزيز بنيته الثقافية والاعلامية لكي يكون مؤثراً على مستوى علاقته الخارجية , من اجل تحقيق امنه الوطني .

٢- العمل على وضع تطمينات مشتركة وخلق بيئة من الثقة لأجراء الحوارات والمفاوضات المتبادلة والمباشرة بين دول المنطقة وبأقصى سرعة منعاً لتطور اي حدث خارجي او تهديد .

٣- تعزيز التقارب العراقي الخليجي من خلال مد جسور العلاقات الودية التعاونية القائمة على اساس التعاون الاقتصادي والامني والثقافي, واستثمار اساليب القوة الناعمة تجاه دول المنطقة لتعزيز علاقاتها الرسمية والشعبية

٤- وضع خطة جادة وطموحة لتقوية المؤسسة العسكرية العراقية , من اجل استعادة العراق لمكانته الاقليمية, بما يحقق ميزان القوى في المنطقة, وارسال رسائل تطمين لكل الدور المجاورة بان العراق لن يكون منطقة تهديد لأي دولة او تخضع لأي طرف اقليمي او

---

[١] تاثير امن الخليج العربي على الامن الوطني العراقي في الربع الاول من القرن الحادي والعشرين, مركز الدراسات الاستراتيجية , جامعة كربلاء , ٢٠١٩, ص١٢-١٣.

دولي , وان سياسته الخارجية تقوم على مبدأ احترام العلاقات بين الدول والجوار الاقليمي, وعدم التدخل بالشؤون الداخلية.

٦- العمل الجاد من اجل انشاء تكتل اقتصادي وامني يضم جميع دول المنطقة العربية وغير العربية , وبناء شبكة مصالح اقتصادية تتجاوز الهويات الطائفية والدينية والقومية من اجل خلق جو من التقارب الحكومي والشعبي يمكن ان يعزز التقارب في السياسات الخارجية لهذه البلدان.

٧- وضع سياسة خارجية اقليمة للمرحلة القادمة وفق برامج عمل محددة سريعة التطبيق , وتعد أولوية للعراق. وقد تكون العلاقات الثنائية والشراكة الاستراتيجية مع كل دولة من تلك الدول في اطار تبادل المصالح وتقاسمها احدى الوسائل الاستراتيجية التي يمكن اتباعها وربما تكون افضل من الدخول في محور او تكتل على حساب اخر.

٨- يجب ان يكون التنسيق بين وزارة الخارجية ومجلس النواب ولجنة العلاقات الخارجية على مستوى عالي من اجل خلق رؤية موحدة للسياسة الخارجية والحيلولة قدر الامكان من تصريحات نيابية او اعلامية تتقاطع مع رؤية الحكومة ووزارة الخارجية, حتى لا تستخدم تلك التصرفات من الدول بما يؤثر على الخطوات والسياسات التي تعمل الحكومة على تنميتها في المراحل القادمة.

٩- عقد اتفاقية مشتركة بين دول الخليج توفر التزامات متبادلة, هدفها تجفيف منابع التطرف والارهاب بكل اشكاله, ويتم من خلالها دعم الخطاب الديني والقومي المعتدل وعدم السماح للمتطرفين والطائفيين بالتمدد على حساب مصالح الحكومات وشعوبها.

١٠- تفعيل مراكز السيطرة والرقابة الالكترونية, على شبكة الانترنت والقنوات التلفزيونية الفضائية وسن قوانين الجرائم الالكترونية, وخلق نقاط اتصال مع الشركات العالمية لتعزيز الامن السيبراني, من اجل السيطرة على المنصات الاعلامية التي تروج للعداء العربي - العربي او العربي الفارسي.

١١- وضع الحلول السياسية لما يدور في سوريا واليمن وايقاف الحروب بالوكالة واتخاذ اجراءات سياسية من اجل احتواء التصعيد الامريكي ضد الجمهورية الاسلامية الايرانية , لضمان وجود بيئة اقليمية ممهدة لعلاقات ودية بين دول المنطقة.

١٢- منطقة الخليج العربي هي منطقة مصالح حيوية على المستويين الاقليمي والدولي وبالتالي يجب على الحكومات العراقية ان تضع قراءات واضحة لمصالح الاطراف الفاعلة اقليميا ودوليا في المنطقة منها الولايات المتحدة الامريكية وتركيا والصين وروسيا

١٣- العراق اليوم في ضل العقوبات الامريكية المفروضة على الجانب الايراني امام تحدي كبير يتمثل في كيفية تحقيق التوازن الاستراتيجي في التعامل مع كل المحورين , المحور الايراني بما يمثل من مصالح ووجود جغرافي واقتصادي مهم للعراق, ومحور بدأ يتسع جغرافيا واقتصاديا وسياسيا وفي كلا المحورين هناك تأثير امني على العراق بحكم موقعه الجغرافي بينهما.

## خاتمة البحث:

في ضل التحديات التي تواجه دول منطقة الخليج, والتي تم عرضها في الدارسة يتوقف مستقبلها على عدد من الاعتبارات والتي تقع على عاتق دول المجلس الست اضافة الى العراق وايران للخروج من جميع هذه التحديات , هي العمل الجماعي والجاد حيث ان امن الخليج يعتمد على مجلس تعاون خليجي متماسك وعراق مستقر وايران جاره صديقة ويمن موحدة. كما ينبغي على دول الخليج ادراك سياسات الولايات المتحدة في المنطقة اذ تتبع أساليب متغيرة ومتطوّرة من أجل الحفاظ على سيطرتها على الطاقة العالمية، لا سيما مصادرها في دول مجلس التعاون الخليجي. ويكمن أول هذه الأساليب في نشر الفرقة بين دول الخليج وجيرانها ,إذ بعد انتهاء حرب الخليج الثانية استهدفت الولايات المتحدة تقويض العراق، على أساس من ان بقاءه على ما هو عليه يهدد أمن الخليج, وفي الوقت الحالي، تعمل على تغذية المخاوف الخليجية من إيران، وذلك من خلال السعي الدائم لتأسيس مناخ نفسي وسياسي معادٍ لأيران . ان دول مجلس التعاون الخليجي منكشفة امنياً لاعتمادها شبه التام على غيرها. وهي معرضة لضغوطات من الدول الداعمة امنياً، ومن الدول التي تستورد منها اليد العاملة .لذلك فان المحدد الأهم لسلوك النظام السياسي الخليجي لا يمكن في استرضاء المجتمع بل في استرضاء الدولة الراعية امنياً، وهي هنا الولايات المتحدة والرصد الدقيق لعملية الاسترضاء يقتضي فهم ما تتطلبه الولايات المتحدة من هذه الدول.

ملاحظة: لم يتطرق البحث الى فقرة التوصيات , حيث ما جاء في المبحث الرابع المطلب الثاني : متطلبات التقارب الجيوسياسي العراقي – الخليجي. تعد بمثابة توصيات فعلية تتناسب والواقع الدولي والاقليمي الذي يحيط بالعراق بشكل خاص ودول الخليج على وجه العموم.

## المصادر:


١. أشرف عبد الحميد كشك، تطورات الأمن الإقليمي منذ عام 2003 دراسة في تأثير إستراتيجية حلف الناتو، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013 ، ص40

٢. اكرم هادي حمزه , الامن الاقتصادي الدولي , مجلة الحقوق العدد ٣٨-٣٩. مجلد ٥. ٢٠٢٠ .الجامعة المستنصرية .ص٧.

٣. أيمان رجب، مناقشة أولية لتطور نظريات الأمن وإشكاليات تطبيقها :اتجاهات نظرية، ملحق السياسة الدولية، العدد ٢٠٧, مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2017 ، ص6

٤. ايناس عبد السادة و حنان علي , ازمات العلاقات الخليجية – الخليجية واثرها على مستقبل مجلس التعاون لدول الخليج العربية , وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول : مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الامن القومي العربي في ضل التحديات الراهنة , ط١, مركز الدراسات الستراتيجية جامعة كربلاء ٢٠١٩ ص٤١٧-٤١٨

٥. بدر عواد برغش وسلام داود غزيل , الاهمية الجيوبولتيكية للمعادن الاستراتيجية في دول مجلس التعاون الخليجي, مجلة الجامعة العراقية , المجلد (٣٦) العدد (٣) ,٢٠١٦. عدة صفحات.

٦. بدرة سليم , الشرق الاوسط , دراسة تحليلية في طبيعة المتغيرات الدولية والاقليمية المساهمة في التحول الاستراتيجي التركي تجاه المنطقة , مجلة الاستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية , العدد (٩), المجلد(٢), ٢٠١٨.

٧. تأثير امن الخليج العربي على الامن الوطني العراقي في الربع الاول من القرن الحادي والعشرين, مركز الدراسات الاستراتيجية , جامعة كربلاء , ٢٠١٩, ص١٢- ١٣.

٨. تأثير امن الخليج العربي على الامن الوطني العراقي في الربع الاول من القرن الحادي والعشرين, مركز الدراسات الاستراتيجية , جامعة كربلاء , ٢٠١٩ ,ص ١٠.
٩. جمال مصطفى عبدالله سلطان ، الأستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط 1979 -2000 ، دار وائل للنشر ،2002
١٠. جون بيليس، وستيف سميث،عولمة السياسة العالمية، ترجمة :مركز الخليج للأبحاث، دبي، 2005 ، ص ٤٦٦
١١. روبرت ماكنمارا، جوهر الأمن، ترجمة (:يونس شاهين)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠, ص١٢٥.
١٢. رياض حمدوش، تطور مفهوم الأمن والدراسات الأمنية من منظور العلاقات الدولية، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي (الجزائر والأمن في المتوسط، تحرير، عبد المجيد قموح، جامعة قسطنطينية، الجزائر، 2008 ،ص 279
١٣. سعد فضاله و ميثاق مناحي, تأثير القدرات النووية الايرانية في الامن القومي الخليجي, وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول :مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الامن القومي العربي في ضل التحديات الراهنة , ط١, مركز الدراسات الستراتيجية جامعة كربلاء ٢٠١٩, ص٣٦٩-٣٧٠.
١٤. سليمان عبد الله الحربي، مفهوم الأمن :مستوياته وصيغته وتهديداته، دراسة نظرية في المفاهيم والأطر، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ١٩, مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008 ، ص.9
١٥. طايل يوسف عبدالله العدوان ، الاستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران نحوالشرق الأوسط ، جامعة الشرق الأوسط ،. 2013
١٦. ظفر عبد مطر، الإدارة الأمنية الأمريكية في الشرق الأوسط :تفوق التوازنات الإقليمية، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2017 ، ص69
١٧. عبد النور عنتر، تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد ,١٦٠, مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2005 ، ص. 89 - 90

١٨. عبير سهام مهدي و وعمار حميد , اشكالية الامن في دول مجلس التعاون الخليجي : دراسة في التحديات الداخلية والافاق المستقبلية : وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول : مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الامن القومي العربي في ضل التحديات الراهنة , ط١, مركز الدراسات الستراتيجية جامعة كربلاء ٢٠١٩ , ص٢٥٠-٢٥١.

١٩. عمر هاشم ذنون, العلاقات الخليجية – الامريكية رؤية مستقبلية , وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول : مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الامن القومي العربي في ضل التحديات الراهنة , ط١, مركز الدراسات الستراتيجية جامعة كربلاء ٢٠١٩ ص٣١٣

٢٠. غراهام أيفانز، جيفري نوينهام، قاموس بنغوين للعلاقات الدولية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، جدة، 2004 ، ص.494

٢١. مازن مزهر عواد , دور القضاء الدستوري في حماية الامن الاقتصادي , مجلة جامعة تكريت , المجلد ٥, العدد ٣ ,٢٠٢١.ص ٤٥٦.

٢٢. محمد صالح المسفر , العلاقات الخليجية – الخليجية معضلة الفراغ الاستراتيجي والتجزئة , مركز الجزيرة للدراسات ٢٠١٨, ص٣٥ - ٤٠

٢٣. مصطفى علوي، الأمن الإقليمي بين الأمن الوطني والأمن العالمي، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، القاهرة، 2005 ، ص.8

**المصادر الانكليزية:**

١. Sladden، James، Becca Wasser، Ben Connable، and Sarah Grand- Clement ، Russian Strategy in the Middle East. Santa Monica، CA: RAND Corporation .html،https://www.rand.org/pubs/perspectives/PE236 2017

**الانترنت:**

زكريا حسين، الأمن القومي، على الرابط الالكتروني:

http://www.khayma.com/almoudaress/takafah/amnkaoumi.htm

https://www.icrc.org/ar/what-we-do/ensuring-economic-security.

# العراق بوصلة التوازنات الشرق اوسطية
# (نظرة وقراءة للو اقع)

أحمد زايد عبد علي/محافظة ذي قار/العراق

**المستخلص:**

مكانة العراق الإقليمية والدولية واثنياته المتعددة تفسر الكثير مما جرى ويجري فيه من صراعات لا تكاد تنتهي، ولا يبدو انها ستنتهي في المدى المنظور بالإضافة الى رؤى وتوجهات ومصالح الدول المجاورة له لقد مرت علاقات دول جوار العراق واطراف النظام الاقليمي العربي مع العراق بتحولات عديدة بدءاً من تداعيات الصراع الدولي وانعكاساته على دول المنطقة، فموقع العراق ينفتح على دول خارج المنظومة العربية تقوم سياساتها على استثمار المنطقة العربية في صراعاتها الاقليمية، لذلك حكمت العلاقات الاقليمية بين العراق وجيرانه عدة متغيرات سياسية وجيوسياسية غذتها عوامل مهمة، كان موضوع التوازن الاقليمي ودور العراق فيه هو محور البحث الاول اما المحور الثاني فقد عالج بالدراسة نفوذ اللاعبين الاقليميين في العراق، في حين سلط المحور الثالث الضوء على موضوع صراع المصالح والنفوذ في العراق اما المحور الرابع فقد ناقش أهداف ومصالح دول الجوار في العراق من خلال طرح تصورات لهذه الاهداف لدول الاقليم الفاعلة في الشأن العراقي، وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج اهمها أن يبقى العامل الحاسم والمؤثر في تقرير شكل المستقبل بيد العراقيين أنفسهم فالشعب-حكاما ومحكومين-هو من سيمتلك مفاتيح الإجابة عن التساؤل وإن أهمية استقرار هيكلة ونظام توازن القوى في منطقة الشرق الأوسط والعراق بالتحديد، ينبع أساساً من أهمية المنطقة استراتيجياً، واقتصادياً، فبحكم الموقع الاستراتيجي وما تملكه من ثروات نفطية و اقتصادية، أصبحت منطقة

الشرق الأوسط بؤرة لتتنافس قوى إقليمية ودولية، بهدف فرض معادلات توزيع الأدوار والهيمنة بما يتلاءم مع المصالح الاستراتيجية لهذه القوى بالإضافة الى عدم تمتع معظم القادة السياسيين الذين حكموا العراق بالمهارات اللازمة كرجال دولة، فضلا عن التخندقات الداخلية والخارجية التي ورطوا أنفسهم فيها، وغياب الحكمة والرؤية الواضحة للقيادة، كما توصل البحث لجملة من التوصيات ومنها ان بناء دولة حديثة وفاعلة ليس مجرد حلم أو امنية عابرة، بل هو نتاج جهد علمي دؤوب يستند الى رؤى استراتيجية واضحة وصحيحة وعملية وقابلة للتطبيق ينكب على تنفيذها قادة حكماء ذو مهارات عالية في الحكم والإدارة، يستثمرون خلالها جميع الفرص المتاحة لتعبئة وتوحيد مواطنيهم خلفهم من اجل تحقيق هذا الهدف الكبير، واعادة بناء الشرق الاوسط بما يخدم مصالح الشعوب لا الحكام والابتعاد عن السياسية احادية القطب لثبوت فشلها امام ارادة الشعب.

## المقدمة:

لابد من استخلاص العبر والدروس التي مر بها هذا التراب الابي والوطن الذي استحق ان يعلو شأنه ويكون منارة للماضين وقبلة للأمم التالية نعم انه العراق بلاد ما بين النهرين ارض سومر ولكش والوركاء ارض اول القوانين واول من اخترع الكتابة، مثل العراق على مدى عقود طويلة موضع اهتمام إقليمي ودولي وتقاطعت فيه المشاريع الكبرى، وبنيت عليه الرهانات المتفاوتة، التي تغيرت بتغير اللاعبين محليا وإقليميا ودوليا. وبين تأسيس الدولة الحديثة في العراق، في عشرينيات القرن الماضي ومرورا بالعهد الملكي وحلف بغداد ١٩٥٥(١) والاتحاد الهاشمي ١٩٥٨(٢) وقيام النظام الجمهوري وحقبة الانقلابات التي تلتها وحرب الخليج الأولى والثانية واخرها الاجتياح الأمريكي في ٢٠٠٣ وليومنا هذا، تغير كل شيء تقريبا في النظام الإقليمي العربي والدولي على حد سواء، بيد أن إشكالية موقع العراق، ودوره في هذا النظام، ظلت قريبة من جوهرها، الذي بدت عليه لأول مرة. واليوم تبدو تجاذبات العراق الاقليمية، وكأنها تؤسس لمناخ جديد يحدد اهداف ومصالح الدول فيه من اجل الاسهام في تكوين بيئته السياسية الداخلية وتوجهاته الخارجية وتسعى دول الاقليم الى أخذ زمام المبادرة، والتحرك باتجاه يؤكد دورها وحضورها في تشكيل المشهد العراقي

ويمكن النظر إلى العراق باعتباره قوة متوسطة في محيطه الإقليمي، بدوائره الثلاث: الخليجية والعربية والشرق أوسطية وهنا تبدأ إشكالية دوره وموقعه ومصالح واهداف دول الجوار، ان مكانة العراق الإقليمية والدولية واثنياته المتعددة تفسر الكثير مما جرى ويجري فيه من صراعات لا تكاد تنتهي، ولا يبدو انها ستنتهي في المدى المنظور. لقد دفعت حدة هذه الصراعات التي عاشها العراق، لاسيما بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ الى شك كثير من المحللين والمتابعين في إمكانية حفاظ العراقيين على وحدتهم الجغرافية، لذا تنبأ بعضهم ان البلد سيذهب الى الانقسام الى ثلاثة دول، بعد احتلال ما يسمى (داعش) الارهابي لمدينة الموصل وتمدده الى ما يقارب ثلث مساحة الدولة العراقية، الا ان معظم هذه التنبؤات ذهبت ادراج الرياح؛ لأسباب عديدة تقف في مقدمتها بطولة العراقيين، وعدم استعدادهم للتفريط بوحدة بلدهم، فضلا على عدم توفر البيئة الإقليمية والدولية الداعمة لهذا الخيار؛ لما قد يجره تقسيم العراق من مخاطر وتهديدات تنذر بانهيار النظام الإقليمي برمته، اذا لم نقل النظام الدولي الذي ارست دعائمه قواعد ومصالح ما بعد الحرب العالمية الثانية.

ان قيمة العراق – وربما سوء حظه- التي جعلته يتوسط بيئة جغرافية ملتهبة وذات مصالح حيوية، متقاطعة في معظم الأحيان، زاد بشكل دراماتيكي من حدة الصراع الإقليمي والدولي على ارضه؛ لتصفية حسابات الخصوم، واستعراض القوة بينهم، وكسب الحلفاء والاتباع في معظم الأحيان لاستغلالهم في حروب بالنيابة، معظمها تكون على حساب مصالح العراق العليا، وسلامة وأمن ورفاه مواطنيه فقد أشر العام ٢٠٠٣ حدوث تحول سياسي واستراتيجي جذري ادخل المنطقة والنظام الاقليمي العربي في استحقاقات سياسية وامنية جديدة وضعت دولها امام تحديات الاستيعاب والتكيف السياسي مع الواقع الجديد فالسمات التي قام عليها النظام السياسي الجديد في العراق بعد احتلاله من قبل الولايات المتحدة الامريكية هي ذات طابع مغاير تماما لما سبقها للنظام السابق، فقد شكلت هذه السمات مضامين رؤية سياسية مختلفة مع ما هو موجود من سياسات ، ورؤى وتوجهات في الدول المجاورة له لقد مرت علاقات دول جوار العراق واطراف النظام الاقليمي العربي مع العراق بتحولات عديدة بدءاً من تداعيات الصراع الدولي وانعكاساته على دول المنطقة،

فموقع العراق ينفتح على دول خارج المنظومة العربية تقوم سياساتها على استثمار المنطقة العربية في صراعاتها الاقليمية، لذلك حكمت العلاقات الاقليمية بين العراق وجيرانه عدة متغيرات سياسية وجيوسياسية غذتها عوامل مهمة، وتنبع أهمية هذا الموضوع من كون العراق رقم صعب في معادلة التوازن الاقليمي وفاعلا مهما ومؤثرا في السياسات الاقليمية والدولية ، كما ان التغيير الذي حصل في العراق ادخل المنطقة في حالة من صراع الارادات وباتت الساحة العراقية ميدانا تتصادم عليها ارادات وطموحات واستراتيجيات الدول الاقليمية المؤثرة، كما أن الوجود الأمريكي في العراق يعد تطورا استراتيجيا للواقع الامني والسياسي في عموم منطقة الشرق الأوسط . وينطلق البحث من اشكالية محددة تتركز في ان دول جوار العراق تسعى الى تشكيل المشهد العراقي على وفق تصورات واليات تتناسب مع توجهاتها السياسية والاستراتيجية لذا فان الدراسة ينبغي ان تركز على اهداف وتطلعات ومصالح هذه الدول في العراق ويستند البحث الى فرضية اساسية مفادها ان المعطيات الجغرافية والاقتصادية والسياسية والامنية والايديولوجية والعرقية والمذهبية التي يتوافر عليها العراق جعلت منه ميدانا وبيئة ملائمة لبلورة مصالح واهداف دول الجوار فيه حيث أن لكل دولة منها اسبابها وتوجهاتها من اجل صياغة سياسات محددة للتعامل مع الشأن العراقي بالقدر الذي يضمن مصالحها واهدافها العليا. وقسم البحث من حيث هيكليته الى محاور عدة ناقش المحور الأول موضوع التوازن الاقليمي ودور العراق فيه اما المحور الثاني فقد عالج بالدراسة نفوذ اللاعبين الاقليميين في العراق، في حين سلط المحور الثالث الضوء على موضوع صراع المصالح والنفوذ في العراق اما المحور الرابع فقد ناقش أهداف ومصالح دول الجوار في العراق من خلال طرح تصورات لهذه الاهداف لدول الاقليم الفاعلة في الشأن العراقي.

## مشكلة البحث:

التوجهات والمتطلبات المستقبلية للرؤيا الوطنية لدولة العراق في ظل التحولات الاقليمية والمتغير الداخلي وأدلجة المفاعيل الداخلية والخارجية لطرف دون أخر.

اهمية البحث:

القاء الضوء على اهم المرتكزات ونقاط القوة التي يتمتع بها العراق والدور الجيوبولتيكي في المنطقة والاقليم، والتوصل لاجابة ناجعه وحقيقة لتساؤل مثير ويفرض نفسه وبإلحاح في ظل الأوضاع العراقية والإقليمية والدولية المأزومة وهو ليس كيف سيكون مستقبل العراق، بل من سيقرر مستقبل العراق؟

**هدف البحث:**

تعزيز وادامة عرى التوافق الوطني وقراءة حاضر ومستقبل البلد بما ويتلائم مع المصالح العليا، بكل ما ينطوي عليه من قوانين وتنظيمات ومؤسسات وقوى وقيم وتوازنات وموارد وثروات وعلاقات وغيرها، وقراءة المتغيرات الخارجية والداخلية لتعزز إيجابياتها او تزيد من سلبياتها على تلك التوافقات.

**منهج البحث:**

دراسة وصفية ونظرة عامة واحاطة بالمجريات المعاصرة للعراق والمنطقة قسمت على محاور أربع تبنى الاول منها العراق ومعادلة توازن القوى والتوازن الإقليمي والمحور الثاني حول دور اللاعبين الإقليميين للعراق والثالث تبيان لصراع المصالح والنفوذ في العراق أما المحور الرابع فتركز حول إدارة الصراع في المنطقة وهل هو صراع أثبات وجود ودور الاصطفافات الإقليمية ومؤداها الحقيقي على الأرض.

## المحور الأول: العراق ومعادلة توازن القوى الإقليمي

يمثل العراق محورا جيوسياسيا دوليا وإقليميا فعالا يسهم في التوازن الاستراتيجي المستقر في المنطقة التي ينتمي اليها لما امتلكه من ما يعرف بالبعد البنائي سابقا والمتمثل بالقدرات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والحضاري كدولة، وكذلك البعد السلوكي وما يربطه بمصالح حيوية بالعالم ومرونة وحركة القوى الفاعلة باتجاهه، وكذلك البعد القيمي فجميع تلك الأبعاد تجعل من العراق محورا جيوسياسيا أو لاعبا جيوسياسيا يشكل رقم ذو أهمية ضمن معادلة التوازن الدولي والإقليمي والعربي (٣) ويمكن القول اذا كان احتلال العراق قد ولد توترا اقليميا ناجما عن ارتفاع سقف الطموحات الأمريكية التي

تمثلت "بشرق أوسط كبير " يمكن القول ايضا إن البيئة الإقليمية التي نتجت عن الوضع الذي خلفة الوجود الامريكي في العراق رفع من سقف الطموحات للقوى الاقليمية ، بل للجماعات السياسية والعسكرية المنتشرة في العراق وغيره بشكل ادى الى خلق توترات وصراعات يصعب التحكم بمسارها فبعض المتغيرات لا تخضع لمنطق المعادلات السياسية التقليدية وإنما تعمل على ارباك هذه المعادلات وخلق معادلات سياسية جديدة. وعند تتبع الخط البياني للتأثير العراقي في معادلة التوازن الاقليمية، نجد ان المتغير العراقي وما نتج عنه ادى الى ايجاد حالة من الترابط الوظيفي بين الاطراف الفاعلة في المنطقة فبفعل تضاريس البيئة الأمنية الإقليمية سوف تصب السيناريوهات المحتملة لمستقبل العراق في حوض مستقبل دول جواره بشكل او بأخر، لذا فمن البديهي أن تشارك الأقطاب الاقليمية في معادلة التوازن الإقليمي من اجل تعزيز مصالحها وتقوية مكانتها الدولية خصوصا في معادلة التوازن الدولي (التوازن الاستراتيجي المستقر) وتنئ بنفسها عن الصراع الإقليمي إلا إذا كان ضرورة تحتمها أولويات الأمن والسلم الدوليين (٤) وبناءا على ذلك تعكف هذه الاطراف على صياغة استراتيجية واضحة لضمان التفوق والتقاطع الإقليمي، وينتج عنه مصالح واهداف أساسية مشتركة تتكئ على الاستقرار الإقليمي والمحلي وهذا مفقود في العراق والمنطقة منذ سنوات، وتتسم المصالح بطابع استراتيجي عسكري أو اقتصادي أو اجتماعي وتشير القاعدة الفقهية السياسية إلى أن المصالح هي التي تحدد القضايا وهذه قاعدة سياسية اقتصادية تحدد المسارات السياسية والتوازنات ونوع التوازن المطلوب (توازن مركب - توازن بسيط) وبعبارة أخرى "توازن مرن او جامد". ومن الطبيعي أن يؤثر التغيير في العراق على قضايا الأمن والاستقرار ومقومات الأمن السياسية في محيطه الاقليمي، بالإضافة إلى التأثيرات الجانبية في البنية الاقتصادية والاجتماعية والديمقراطية لدول المنطقة حيث يؤدي العراق دورا محوريا في هذا الاتجاه من حيث انه:

يقع في قلب منطقة الشرق الأوسط الكبير ويعد العامل الرئيس لقياس مدى استقرار المنطقة، ويشكل العراق بوابة العرب الشرقية والمدخل الرئيس لدول المواجهة (التماس) الأول مع الجانب العربي من ناحية الشرق الشمال اي مع إيران وتركيا،

بالإضافة الى انه قد ادى العراق دورا مهما في الصراع العربي - الاسرائيلي. كما يؤثر وضع العراق بما له من اهمية في المنطقة الممتدة من إيران وحتى مصر، ولاشك ان احتلال العراق من قبل الولايات المتحدة الامريكية اخل بميزان القوة والذي كان قائما بشكل من الاشكال في المنطقة. وبرغم هشاشة وضع هذا التوازن بسبب انحسار وتأكل القدرات العراقية منذ عام ١٩٩٠ الا ان الوضع تدهور لصالح دول اقليمية استطاعت ان تمد نفوذها بشكل فاعل في المنطقة ابرزها تركيا وإسرائيل وإيران واذا كان التفوق العسكري الاسرائيلي يخرج عن اطار حسابات توازن القوى الاقليمية بالمعنى التقليدي لحسابات عديدة ، فان الوضع في العراق بعد خروجه من حسابات القوة والتوازن اوجد نوعا من توازن القوى في القدرات العسكرية التقليدية بين تركيا وإيران وفجوة بين ايران ودول الخليج، مع تفوق ايراني ملحوظ ازاء دول الخليج الاخرى في مجال القدرات التناظرية وبناء الاذرع ومد النفوذ وامكانيات الدفاع عن البلاد خارج الحدود وقدرات الردع (٥)

لقد افرز تغير التوازن في المنطقة تداعيات كثيرة، ليس فقط على المستقبل السياسي للعراق بل على مستوى النظام الإقليمي بمعناه الضيق الذي يضم دول مجلس التعاون الخليجي واليمن وبمعناه الواسع ليشمل هذه الدول بالإضافة إلى إيران وتركيا. فخروج العراق من خريطة التوازنات الإقليمية نتج عنه أوضاعا جديدة سواء صعوداً بالنسبة لبعض القوى أو هبوطاً للبعض الآخر، فقد برز مصطلح إعادة رسم خريطة المنطقة في الخطاب السياسي الأمريكي، بيد أن ظهور هذا المصطلح لم يتواكب فقط مع بدء التغيير في العراق، وانما سبقها بفترة طويلة ليؤكد أن هذا الأمر مطروح في الاستراتيجية الأمريكية، بيد أن إعادة رسم خريطة المنطقة، تتضمن خيارين رئيسين:

الخيار الأول: إعادة رسم الخريطة بمعناه الحرفي، أي رسم الحدود في المنطقة، وهو ما سيترتب عليه بروز دول واختفاء دول أخرى.

الخيار الثاني: إعادة رسم الخريطة بمعنى تغيير الفكر والنظم القائمة بالمنطقة، وليس تغيير خرائط الدول، فإعادة التشكيل الأساسي كما تعلن الإدارة الأمريكية ليس تغيير الحدود وليس إنشاء الدول والأوطان الجديدة، إنما تغيير أنظمة الحكم السياسية والاقتصادية من دون المساس بالحدود لأن الإدارة الأمريكية لم تطرح إعادة النظر في

الحدود القائمة. ولم يعد هناك أدنى شك في أن التغيير في العراق والتواجد الأمريكي المباشر في منطقة الخليج غير من معادلة توازن القوى الإقليمي في المنطقة جملة وتفصيلاً ، فأي توازن قوى قادم لا بد وأن يأخذ بعين الاعتبار الوجود الأمريكي المهيمن على دول المنطقة لا سيما دول مجلس التعاون الخليجي ، إضافة إلى العراق بعد احتلاله، خاصة وأن الولايات المتحدة لن تكون مجرد شريك في هذا التوازن وحسب، وانما ستكون الطرف الأول والأوحد الذي يحدد شكل ونوع ونظام هذا التوازن القائم ، باعتبار أنها الطرف الأقوى في معادلة التوازن الإقليمي الى جانب القوى الاقليمية التي ستساهم في بناء هيكلية المشهد العراقي المستقبلي ويبدو هذا الوضع مؤقت. ولكن استمراره، وما سيأتي بعده، يتسمان بأهمية حرجة ليس بالنسبة للمشروع الأمريكي فحسب، بل على مستوى التفاعل الاقليمي والدولي ايضا. وهكذا، فإن ظهور قوى اقليمية قادرة على تحريك عوامل التأثير في المشهد السياسي العراقي سيقود الى تحولات في بيئة التوازن السياسي الداخلي في العراق وفي معادلة توازن القوى الاقليمية التي اصبحت الولايات المتحدة وقوى اقليمية اخرى شركاء فيها وهذا بطبيعة الحال سوف يولد حالة عدم استقرار داخلية واقليمية واسعة النطاق. حيث سوف تحفز هذه المتغيرات انتشار فوضى اقليمية وتضاربا في المصالح الاستراتيجية للأطراف الفاعلة على طرفي المعادلة القائمة (٦) أضف الى ذلك إن التواجد الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، من ناحية نظرية قد بدأ منذ عام (١٩٥٧) على خلفية الخطاب الذي ألقاء الرئيس الأمريكي (ايزنهاور) والذي عرف بمبدأ (ايزنهاور)، إلا أنه يمكن القول إن التواجد العملي والفعلي والمباشر للقوات الأمريكية في المنطقة، قد بدأ من (١٩٩٠) وتجلى هذا التواجد، بالاحتلال الأمريكي للعراق عام (٢٠٠٣) (الكاتب)

## المحور الثاني /نفوذ اللاعبين الاقليميين في العراق:

خرج النظام الاقليمي من مراحل الصراع السياسي السابق وهي تداعيات صراع المعسكرين الاشتراكي، الرأسمالي الحرب فاقداً الزخم السياسي مشتتا بين سياسة المحاور الاقليمية، حيث تغيرت ادوار بعض دول المنطقة وبروز دول اخرى وادى التغير في العراق الى تجاوز متبنيات المنظومة الاقليمية السابقة من هيمنة بعض الدول والدخول في تكوين نظام اقليمي جديد كانت من ابرز ملامحه تغير السلوك السياسي لدول جوار العراق في ظل

التجاذب الاقليمي الحاصل ومصالح واهداف دول الجوار وسياساتها ازاء العراق خاصة بعد دخول المنطقة في مجال سياسي مغاير الشرق الاوسط (الجديد) حيث برز التوتر السياسي بين النظام الجديد في العراق وبعض دول المنطقة، ربما تعود خلفية هذا التوتر الى اختلاف المرتكزات السياسية بين النظام العراقي والنظم السياسية في الدول المجاورة(٧) . فمن المعروف أن دولا مجاورة للعراق اشتركت مع دول غير عربية مجاورة أيضا في دعم الموقف الأميركي من الحرب بل وراهنت عليه، كما أن دولا عربية وغير عربية مجاورة للعراق اشتركت في رفض الحرب والاحتلال الأميركي للعراق من منطلق أنهما يشكلان مصدر تهديد لأمنها الوطني. إن تشكيل مجموعة دول الجوار العراقي وتحولها إلى ما يشبه النظام الفرعي الجديد في المنطقة، يعد في حد ذاته أحد النتائج الاستراتيجية المترتبة على الحرب وعلى الاحتلال الأميركي للعراق. ولذلك تحددت عدة ادوار لدول الاقليم وسياساتها لملء الفراغ في العراق وهنا نستعرض بعض تلك الأدوار فأما تركيا ربما تكون فترة الحرب قد تسببت لها في أضرار مادية وضاعفت بالتالي من أزمتها الاقتصادية، غير أنها لا تبدو مستاءة كثيرا من إضعاف دور العراق السياسي في المنطقة أو حتى من احتمال خضوع العراق لاحتلال أميركي طويل الأمد أو دائم. ومع ذلك فمن المسلم به أن تركيا لا تطمئن كثيرا للسياسات الأميركية تجاه العراق خاصة فيما يتعلق بمعالجتها للقضية الكردية هناك، وهي قضية تعتبرها ماسة بأمنها القومي تشكل بالنسبة لها قضية حياة أو موت. وتدل الطريقة الذكية التي أدارت بها تركيا علاقتها بالولايات المتحدة خلال فترة الحرب، خاصة وأنها تمكنت من الصمود في وجه الضغوط الأميركية دون أن تلحق أي ضرر حقيقي بعلاقاتها الاستراتيجية مع الولايات المتحدة على إمكانية وجود فجوة بين المصالح الاستراتيجية الأميركية - كما تعكسها سياسة البيت الأبيض الحالية تجاه العراق وبين المصالح الاستراتيجية التركية. غير أن تركيا تبدو في موقف يتيح لها أن تلعب دورا لا غنى عنه بالنسبة للولايات المتحدة من ناحية، ولا يتناقض في الوقت نفسه مع مصالح أهم دول الجوار العراقي إيران وسوريا من ناحية أخرى. وتتطابق مصالح تركيا الاستراتيجية مع مصالح كل من إيران وسوريا، ومع مصالح الشعب العراقي وربما بقية دول المنطقة في رفض تقسيم الدولة العراقية ورفض قيام دولة كردية في

شمال العراق قد تصبح نواة لدولة كردية أكبر في المنطقة تضم أكراد تركيا وإيران وسوريا معا (٨).

وفيما يتعلق بإيران فمن الواضح أنها كانت على وعي تام بأن احتلال العراق سوف يشكل تهديدا مباشرا على أمنها الوطني، وربما يكون هو الخطوة الأولى التي تمهد لضربها واحتلالها - منفردة أو بالجمع مع سوريا - في خطوة تالية قد لا تتأخر كثيرا. ولأنه لم يكن بوسع إيران أن تدخل في مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة بسبب العراق، وكان لها في الوقت نفسه مصلحة واضحة في اختفاء نظام البعث الذي سبق له الدخول معها في حرب ضارية، فقد حاولت إدارة الأزمة بمنهج سد الذرائع أمام الإدارة الأميركية المتلهفة لإسقاط النظام الإسلامي في إيران فاتخذت موقف الحياد خلال الحرب، وتعاملت بعدها بمرونة شديدة مع التحرشات الأميركية المتعللة بالبرنامج النووي الإيراني. ولأن إيران تدرك أن لديها أوراقا كثيرة تستطيع أن تلعبها خاصة فيما يتعلق بالتأثير على الداخل العراقي، فقد نجحت حتى الآن في سد الذرائع والصمود في وجه الضغوط الامريكية.

## المحور الثالث/ صراع المصالح والنفوذ في العراق:

لم تتمكن الدول الاقليمية المجاورة للعراق من توحيد سياساتها تجاه عوامل الاضطراب التي اجتاحت العراق وتداعياتها، وإنما انقسمت على نفسها وتراوحت مواقفها من التأييد المطلق للسياسة الامريكية إلى المعارضة العلنية والرفض الصريح والتنديد الواضح بمخطط احتلال العراق مرورا بمواقف عربية اقليمية أخرى متباينة الظلال تعكس مواقف بدت مرتبكة ومتناقضة واختلف ظاهرها عن باطنها وقد استندت تلك المواقف المتباينة منها والمتناغمة إلى دوافع وأسباب مختلفة. أن أحد أهم التأثيرات الاستراتيجية الناجمة عن تباين هذه المواقف إزاء السياسة الامريكية تجاه العراق تمثل في تهيئة الأوضاع الإقليمية على نحو أدى إلى تمكين الدول الهامشية في النظام العربي من لعب دور متصاعد لحساب الولايات المتحدة وبتحريض وتشجيع منها على حساب دول القلب في النظام العربي. غير أن الولايات المتحدة تدرك في الوقت نفسه وبحكم خبرتها التاريخية أن مشروع الشرق الأوسط الكبير لا يمكن أن يمر إلا عبر بوابة النظام العربي الضعيف، وأن هذا الأخير لم يتحول بعد إلى درجة من الضعف، وذلك لسبب بسيط هو استمرار قدر من

التناغم بين مواقف ومصالح دول القلب العربي من هنا كان إصرار الولايات المتحدة على ضرب تماسك هذا المرتكز العربي كمقدمة ضرورية لضرب النظام العربي ولإنهاء دور الجامعة العربية. وقد شكل الغزو والاحتلال الأميركي إحدى أهم الخطوات على طريق تحقيق هذا الهدف، على جانب اخر فان الاحتلال الأميركي للعراق حقق مكاسب أمنية غالية لإسرائيل بتنحية العراق عن معادلة التوازن الإقليمي، ومحاولة اشغاله بشتى الذرائع ويختلف موقف إسرائيل جوهريا عن مواقف بقية دول الجوار العراقي غير العربية. فعلى عكس هذه الأخيرة كانت إسرائيل من أكثر الاطراف حماسا للحرب الأميركية على العراق، بل وليس من المستبعد أن تكون قد لعبت دورا محوريا في حملة التضليل الإعلامي وفي تزييف الوثائق المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل (٩)

من هذا الاستعراض الموجز يتضح لنا أن الوضع في العراق ادى الى ايجاد حالة من الضعف الاستراتيجي في هيكل النظام العربي لحساب النظم الفرعية الأخرى في المنطقة، وزيادة دور الدول الهامشية على حساب دول القلب في النظام العربي، ودعم الموقف الاستراتيجي لدول الجوار العراقي غير العربية على حساب دول الجوار العربية. لقد أوجدت المتغيرات الاستراتيجية التي شهدتها المنطقة في السنوات الأخيرة مجالا جيوسياسياً معقداً ومتشابكاً. تضيق في إطاره اهتمامات الأنظمة السياسية إلى حدود جغرافيتها الطبيعية، في محاولة للحفاظ على مكونات وحدتها. ولكن بنفس الوقت، حتمت متطلبات الأمن والدور المكانة على تلك الأنظمة التمدد إلى الفضاء الإقليمي انطلاقا من اعتبارات تاريخية وأيديولوجية تصب في صلب العقيدة الأمنية والسياسية لهذه النظم السياسية، الأمر الذي تولد عنه نوع من التنافس هو في حقيقته درجة من درجات الصراع، أو نمط من أنماطه، ذو طبيعة خاصة ومميزة. الحديث عن تأثير القوى الإقليمية والدولية في استقرار وأمن العراق أمر لا جدال فيه، فهناك علاقة حتمية من التأثير والتأثر بين أي دولة ومحيطها الخارجي، ولكن، الباحث لا يريد ان ينطلق في تحديد المستقبل من الخارج الى الداخل، وانما يرى ان الدور الحاسم في هذا الامر مبعثه الداخل العراقي، بكل ما ينطوي عليه من قوانين وتنظيمات ومؤسسات وقوى وقيم وتوازنات وموارد وثروات وعلاقات وغيرها، والتي يمكن ان تأتي الفواعل الخارجية لتعزز إيجابياتها او تزيد من سلبياتها. وبناءا على معطيات البيئة

الداخلية ستكون لها الكلمة الفصل في رسم ملامح المستقبل، وإمكانية تحول العراق الى دولة حديثة قائمة على مؤسسات دستورية رصينة او البقاء دولة هشة تعاني من ضعف مؤسساتي كارثي. دولة تحافظ على وحدتها الجغرافية وسيادتها الدولية او تذهب باتجاه انقسام اجتماعي شديد ربما يقود الى تفكيكها وتقسيمها والسماح لجميع القوى الخارجية بالتدخل في شأنها الداخلي وانتهاك سيادتها. دولة تعزز سلطة القانون فيها او لا تكون فيها قيمة للنصوص القانونية مع وجود فواعل داخلية تجد نفسها فوق القانون، وربما فوق الدولة. دولة تعزز قيم التسامح والتعايش والديمقراطية او تنتج المزيد من التطرف والتناحر والكراهية.

**المحور الرابع: صراع الوجود و اثبات الذات:**

وبما أن هذا الصراع في أصله هو صراع سياسات وإرادات في شكله الظاهر والمعلن صراع وجود في حقيقته، حيث يسود اعتقاد بأن الأهداف التي يتوخى كل فريق تحقيقها هي مصادر خطر حقيقية في هذه اللحظة السياسية المعقدة، فإن الصراع غالباً ما يأخذ شكل المعادلة الصفرية بمعنى أن خسارة نقطة من قبل هذا الفريق تضاف إلى الفريق الآخر وهكذا، وعليه فإن الصراع اتخذ أيضا نمطاً صلباً يفتقد لأي شكل من أشكال المرونة السياسية. فرغم زخم البعد الدولي في الحالة العراقية، فإن الصراعات الإقليمية التي أدارها العراق مع أكثر من طرف في وقت واحد قد ساهمت بدرجة كبيرة في المآل الذي وصل إليه، فالطموحات الإقليمية، والرغبة في تغيير الواقع والمعادلة الجيوسياسية للمنطقة ذي الأهمية الاستراتيجية، كان لها الدور الكبير في التوافق (الضمني) أقله "إقليمياً ودولياً" على ضرورة ابتداع صيغة جديدة لبلورة تصور لعراق جديد سياسياً، ولا يعكر صفو الترتيبات الاستراتيجية الإقليمية والدولية المتواضع عليها. فقد تعددت التأثيرات والابعاد الاقليمية للوضع العراقي من حيث طبيعتها ومستوياتها وهي في حقيقة الأمر محصلة لتضاد عدة قوى ، هي الولايات المتحدة ووجودها المباشر في العراق والتي تسعى الى توظيف التغيير الحاصل في البيئة الاقليمية والداخلية في العراق سياسيا يهدف الى انتاج اثار اقليمية مرحلية وهيكلية متعددة المصالح ، مقابل قوة اخرى متمثلة بردود افعال كل دولة من دول النظام الاقليمي ودول جوار العراق التي تواجه تأثيرات السياسة الامريكية إلى جانب قوة الدفع

الناجمة عن العنصر العراقي غير أن محاولة إعادة صوغ الحالة العراقية، بقدر ما نتج عنها فرص ومكاسب استراتيجية لبعض الأطراف الإقليمية والدولية، فإنها أنتجت بذات القدر خسائر ومخاطر الأطراف أخرى، ناهيك عن كون السياق الذي اندرجت في إطاره محاولة إعادة الصياغة تلك، بأنه سياق تغييري سعى إلى إعادة صوغ وتشكيل منظومة العلاقات والأدوار والمراتب في الواقع الإقليمي. وهكذا وفي ظل مناخ (نظام) دولي مستجد وسريع التغيير، لم توفر متغيراته حتى الدول التي تبدو قائدة لهذا النظام الإقليمي، وكذلك التفاهمات التي سادت لعقود، سقطت بفضل عدم قدرتها على مسايرة الأوضاع المستجدة، وبسقوطها وزوال مفاعيلها انكشفت العلاقات الإقليمية على نمط تصارعي جديد بين أطراف ترى أنه مصلحتها الإبقاء على ذلك الشكل القديم الذي يساعد في إعادة إنتاج تجددها واستمرارها والحفاظ على مواقفها وأدوارها القديمة، وأطراف أخرى رأت في التغيير فرصة لتغيير واقع إقليمي طالما وجدت نفسها في إطاره مرهونة بإمكانياتها وقدراتها وتطلعات شعوبها لخدمة رؤى وتقديرات ومصالح بدت أنها لا عقلانية ولا رشيدة (١٠) ولا شك أن هذا الصراع تساهم مجموعة من العوامل في ديمومة استمراره وهي:

* افتقاد المنطقة لأطار يضبط الصراعات ويديرها، وذلك بعد أن جرى تقييد حدود وهوامش حركة ودبلوماسية الجامعة العربية إلى أبعد الحدود، واقتصار دورها على مجرد الدعوة للحوار والتلاقي، وهذا في الواقع يشكل تكريسا خطيراً للدور المتدني الذي طالما وضعت فيه الجامعة نتيجة افتقادها لآليات تساعد على حل النزاعات بين أطرافها.

* الحاجة الى وجود مشتركات سياسية في ظل حالة الاصطفاف الحاد التي تشهدها المنطقة، وقد ظهرت تجليات ذلك بشكل واضح في الخلاف على المشترك السياسي الوحيد الذي جمع الأطراف العربية على مدار السنوات التي مضت والمتمثل في المصلحة القومية بعملية السلام مع إسرائيل، والمعلن عنها في المبادرة العربية للسلام والتي يبدو أنها في طريقها للزوال سواء بسبب تعنت إسرائيل حيالها أو بسبب الحسابات المختلفة والمتضاربة للأطراف العربية.

* تراجع مفهوم الأمن القومي العربي في ظل الخلاف على الموقف من القضايا التي يواجهها العرب، ويعود السبب في ذلك إلى تعدد مصادر الخطر بالنسبة لكل طرف وبالتالي تنوع

الاستجابات العربية حيال ذلك تبعا لظروف وأوضاع كل طرف على حدة ومسارات التطبيع مع الكيان الصهيوني لبعض الأنظمة العربية خير دليل على ذلك.

* الرهان على حدوث متغيرات استراتيجية مهمة في سياسة الفاعل الدولي والإقليمي الأهم (الولايات المتحدة بانتظار ما ستأتي به الإدارة الأميركية الجديدة. وفي هذا الإطار يلاحظ وجود انقسام عربي حول تقدير توجهات السياسة الخارجية الأميركية التي ستتبعها واشنطن، فهل ستكون استمرارا لسياسة الإدارة السابقة القائمة على الضغط على أطراف إقليمية، أم أنها ستتبع نهجا تحاورياً مع هذه الأطراف (١١).

ومن الواضح والجدير بالذكر الى ان أمريكا قد تباينت ردود افعالها وسياستها لما جرى في معظم الدول العربية من تغيرات في الحكومات او الأطر التي تعمل بها تلك الأنظمة وبما يخدم مصالحها واستمرار الهيمنة الغربية على مجريات الأمور بالمنطقة.

## الاستنتاجات:

من خلال استعراض معطيات ومجريات البحث بمحاوره الأربع نصل لحقيقة لا بد منها "أن يبقى العامل الحاسم والمؤثر في تقرير شكل المستقبل بيد العراقيين أنفسهم. فالشعب-حكاما ومحكومين-هو من سيمتلك مفاتيح الإجابة عن التساؤل"، وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج التي يمكن إجمالها على النحو التالي:

إن أهمية استقرار هيكلة ونظام توازن القوى في منطقة الشرق الأوسط والعراق بالتحديد، ينبع أساساً من أهمية المنطقة استراتيجياً، واقتصادياً ، فبحكم الموقع الاستراتيجي وما تملكه من ثروات نفطية و اقتصادية، أصبحت منطقة الشرق الأوسط، بؤرة لتنافس قوى إقليمية ودولية، بهدف فرض معادلات توزيع الأدوار والهيمنة بما يتلاءم مع المصالح الاستراتيجية لهذه القوى، مما فتح المجال لبروز توازنات للقوى الإقليمية والدولية، أضف الى ذلك عدم تمتع معظم القادة السياسيين الذي حكموا العراق بالمهارات اللازمة كرجال دولة، فضلا عن التخندقات الداخلية والخارجية التي ورطوا أنفسهم فيها، وغياب الحكمة والرؤية الواضحة للقيادة، والطمع وحب السلطة لبعضهم، وغيرها، امور كانت كفيلة في اضعاف دورهم الاستراتيجي خلال السنوات الماضية، مما انعكس سلبا على طبيعة الأداء الحكومي، ومستوى تقديم الخدمات، وجهود محاربة الفساد، وزعزعة منظومة القيم

المدنية، وتخبط العلاقات الخارجية، وهشاشة بناء مؤسسات الدولة (المدنية والأمنية والعسكرية)، وتراجع شرعية السلطة والعلاقة بينها وبين الشعب ...

## التوصيات:

ان بناء دولة وفاعلة حديثة ليس مجرد حلم أو امنية عابرة، بل هو نتاج جهد علمي دؤوب يستند الى رؤى استراتيجية واضحة وصحيحة وعملية وقابلة للتطبيق، يسهر على تنفيذها قادة حكماء ذو مهارات عالية في الحكم والإدارة، يستثمرون خلالها جميع الفرص المتاحة لتعبئة وتوحيد مواطنيهم خلفهم من اجل تحقيق هذا الهدف الكبير ونبذ فكرة القائد الاوحد او التشبث بزمام السلطة وانما المعيار مقدار الخدمة المؤداة للبلد وعليه، سيكون تقرير مستقبل العراق هو المعيار لنجاح قادته في استيعاب الدروس القاسية التي مر بها البلد ولا زال، ومن جملة التوصيات التي تؤسس لأعاده هيكلة حقيقة لأطر التعامل وضبط التوازن بالمنطقة داخليا وخارجيا الاتي:

* إعادة بناء شرق أوسط جديد يخدم أبناء المنطقة، وتطوير الأوضاع الاقتصادية لهذه الدول، باعتبار ذلك أساساً لحل المشكلات والنزاعات الموجودة فيه وذلك من خلال إيجاد منظومة أمنية واقتصادية تكفل حماية مصادر ثرواته وتوزيع مكتسباتها بكل عدالة.

*حل القضية الفلسطينية، لكونها أهم قضايا الشرق الأوسط، والتي شكلت نقطة البداية لتوازنات القوى في المنطقة، سواء كان صعوداً أو هبوطاً. فوجود اسرائيل باحتلالها لفلسطين ومساندة الغرب لها في كافة المجالات العربية والاقتصادية جعل من مسألة توازن القوى في منطقة الشرق الأوسط مرهونة بإمكانية أن تبقى إسرائيل هي الطرف الأقوى في المنطقة طالما لم يكن هناك سلام حقيقي يضمن حلا عادلا للقضية الفلسطينية.

*ضرورة العودة إلى نظام الثنائية القطبية، أو تعدد الأقطاب، بعدما فشل نظام أحادي القطبية في تحقيق الأمن والسلم الدوليين. فمسألة انفراد الولايات المتحدة على مسرح الأحداث الدولية والعالمية دون منافس حقيقي لها حيث كان لذلك الأثر التأثير الواضح في تحكم السياسة الأمريكية بمجريات الأمور ومراكز القوى في منطقة الشرق الأوسط والذي أثر بدوره في تحقيق السلم والأمن الدوليين.

## قائمة المراجع والمصادر العربية والاجنبية:


١. https://m.marefa.orgF

٢. https://www.aljazeera.net/politics/2021/2/14

٣. د. مهند العزاوي العراق بين التوازن الاستراتيجي والتهديدات الخارجية والداخلية (صراع الأجندات) العرب الاسبوعي، السبت ٣١ / ١٠ / ٢٠٠٩

٤. ظافر محمد العجمي، أثر الانسحاب الأميركي من العراق على دول الخليج، مركز الجزيرة للدراسات http://www.aljazeera.net/NR/exeres/

٥. علي حسين باكير، انعكاسات الوضع العراقي على موازين القوى في المنطقة، اراء حول الخليج، مركز الخليج للأبحاث، العدد ٧٣، اكتوبر ٢٠١٠، ص ٢٧

٦. زبغنو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، السيطرة الأميركية وما يترتب عليها جيواستراتيجيا، طبعة ثانية، مركز الدراسات العسكرية واشنطن، ١٩٩٩، ص ٣٨

٧. ناصر عمران الموسوي، قراءة جغرافية في تأثير التغيير العراقي على محيطه، جريدة الصباح العراقية -http://www.alsabaah.com/paper.php?source-akbar&mlf

٨. د. باسل حسين عملية الفجر الجديد) الانسحاب الأميركي من العراق نتائجه وتداعياته)، مركز الجزيرة للدراسات. – http://aljazeera.net/NR/exeres/

٩. جراهام فولر ، الجمهورية التركية الجديدة - تركيا دولة محورية في العالم الاسلامي - دراسات مترجمة رقم ١٣٦-مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ٢٠٠٩، ص ١٤٢

١٠. محمد السعيد إدريس (أكتوبر (٢٠٠٥ إيران وبناء الدولة العراقية: المصالح والسياسات، السياسة الدولية العدد ١٦٢ المجلد ٤٠

١١. الاتفاقية الأمنية العراقية بين طهران وواشنطن (يناير ٢٠٠٩)، السياسة الدولية، العدد ١٧٥ المجلد ٤٤.

https://meu.edu.jo/libraryTheses/586a1b509e9d1_1.pdf

# مشروع طريق التنمية الاستراتيجي العراقي وتأثيره على التوازن المحلي والاقليمي

م.م عبد الخالق شهد / ماجستير علوم سياسية

**الملخص**

يتناول هذا البحث مشروع طريق التنمية الاستراتيجي واثاره المحتملة على التوازن الداخلي والاقليمي للعراق في المنطقة, في ضل ما تشهده الساحة العراقية من تحركات سياسية واقتصادية و إعلامية باتجاه انشاء مشروع تنمية مستدامة ينقل حال الاقتصاد العراقي من الحالة الريعية الى حالة التنوع المستدام. وكانت لهذه التحركات وانعقاد المؤتمرات الدور الكبير في الشروع بالعمل ، لاسيما وان العراق بسبب موقعه الاستراتيجي وثرواته الطبيعية تجعله يملك كل المقومات لإقامة مثل هكذا مشاريع . فضلا عن ترحيب دول الجوار وذات الشراكة بالعمل وسعيها من أجل الالتحاق بهذا المشروع الاقتصادي المتكامل .

وعليه جاء هذا البحث ليسلط الضوء دعوة العراق لعقد مؤتمر دولي لتفعيل مشروع طريق التنمية ونقله من مرحلة الفكرة والتخطيط الى مرحلة التنفيذ والتطبيق, وليسهم في إحداث طفرة اقتصادية فريدة في مجال التجارة العالمية, اذ سيختصر المسافة بين الشرق والغرب ويقلل من الوقت والكلفة المالية لنقل البضائع والمواد الاولية فضلا عن النقل السكاني ناهيك عن المردود الاقتصادي الكبير لتحسين وتنشيط الاقتصاد العراقي إذ سيقلل كثيرا" من اعتماد العراق على الاقتصاد الريعي المتمثل بإيرادات الصادرات النفطية , فضلا عن توفير فرص العمل وامكانية انشاء مدن صناعية ، سيما وأن الطريق سوف يمر بـ ١٠ محافظات عراقية مما يسهل نقل وتسويق البضائع , كذلك سيساعد ايضا

على نمو وازدهار القطاع الخاص الذي من شانه التخفيف من الصعوبات الملقاة على عاتق الدولة وتحقيق رفاهية اقتصادية .

المقدمة

يحمل طريق التنمية ابعاد استراتيجية على مستوى نهضة العراق الاقتصادية التنموية الشاملة , فضلا عن صلات العراق مع دول العالم , وبالتأكيد أن مثل هذه المشاريع الكبرى وبالذات هذا المشروع الاستراتيجي سيسهم في تطوير وتحديث مسار التنمية الجماعية والشراكة على مختلفة الصعد , ويعكس طبيعة الاستقرار في الوقت الراهن وسيكرس الأمن والاستقرار وتعزيز مسارات الحوار بين العراق ودول المنطقة ودول العالم الأخرى , ومن المؤمل ان ينعكس هذا الاستقرار على سبل الاخذ بجميع الفرص ومواجهة التحديات بشكل مشترك وجماعي من قبل جميع دول المنطقة .

**مشكلة البحث :**

تتمحور اشكالية الدراسة حول ماهي اهمية هذا المشروع الاستراتيجي؟ وما هو الدور الذي سيلعبه في احداث تغيرات في البنية الهيكلية للاقتصاد العراقي , وهل ستتعاون دول الجوار ودول العالم مع الحكومة العراقية من اجل انجاح هذا المشروع الذي يعود بالنفع على مسار التجارة العالمية. والبحث محاولة للإجابة على هذه الاسئلة من خلال عرض ماهية مشروع طريق التنمية الاستراتيجي ؟ فضلا عن استقراء تأثير المشروع من الناحيتين الاقتصادية والسياسية على دور العراق الاقليمي والدولي.

**فرضية البحث :**

ينطلق البحث من فرضيتين اساسيتين مؤداهما : **الاولى**: قدرة هذا المشروع على خلق التوازن والاستقرار الداخلي للبلد من خلال النمو الاقتصادي المستدام المعتمد على تنوع مصادر التمويل وبالتالي القضاء على الامور السلبية التي يسببها الاقتصاد الريعي . **اما الثانية** هي امكانية هذا المشروع الاستراتيجي من خلق توازن دولي اقليمي وعالمي اذا ما دخل حيز التنفيذ حيث ان كل الدول الاقليمية ستدخل في شراكة اقتصادية والكل يريد الحفاظ على مصالحه الخاصة .

**هدف البحث : يهدف البحث الى تحقيق جملة من الاهداف لعل ابرزها يتمثل بالاتي:**

١_ معرفة حقيقة المشروع الاستراتيجي وبيان اهم العقبات التي تقف بوجه هكذا مشاريع اقتصادية ذات الطابع العالمي فضلا عن ابراز اهم هي الايجابيات التي يمكن ان يحققها المشروع للعراق والمنطقة.

٢_ معرفة وجهات نظر الجهات الرافضة للمشروع والجهات الراعية له ، وماهي جدية الحكومة العراقية في انشاء هذا المشروع من ناحية الجدية في العمل والجدوى الاقتصادية .

٣_ التعرف على نتائج المشروع وهل سيكون ملبي لمتطلبات الحكومة وهل النتائج التي سيحققها كما جاء في الدراسات التي تنظر له .

**منهجية البحث :**

اعتمد البحث على عدة من مناهج البحث العلمي, اذ اعتمد منهج البحث التحليلي القائم على تحليل المادة العلمية من خلال تحديد اطار المشكلة والاسباب المؤدية اليها وما هي الحلول المناسبة لتلك المشكلة وكيف يتم معالجتها ، والى جانب المنهج التحليلي اعتمدنا المنهج الوصفي الذي يساعد في وصف التحديات الحالية المعاصرة ومحاولة طرح رؤية استشرافية مستقبلية .

## المبحث الأول : طريق التنمية الاستر اتيجي :جذور الفكر ومتطلبات الشروع

### اولا: فكرة المشروع.

لم تكن هذه المرة الاولى التي طرحت بها هذه الفكرة او ما يشابهها حيث طرحت اول فكرة باسم مشروع سكة حديد برلين بغداد الذي ظهرت بوادره حوالي عام ١٦٠٠م ، عندما قامت شركة الهند الشرقية بفتح الملف مخاطبة شركة الليفانت البريطانية في محاولة انشاء طريق بري من الهند الى اوروبا ولم تتلقى الفكرة اي قبول ايجابي ، وعادة الفكرة لتظهر من جديد عام ١٧٨٢م عندما اقترح جون سيلفان على الحكومة البريطانية انشاء طريق بري من البريطانية نحو الهند عبر اسيا الصغرى ، ثم في عام ١٩٢٩م اعادة شركة الهند الشرقية فكرة انشاء طريق بري من البريطانية نحو الهند يمر عبر سوريا والعراق حيث اخذت هذه الفكرة صدى واسع في الاوساط العالمية [١].

عقب تلقي الفكرة قبولا واسعا اسرعت الحكومة البريطانية بأرسال بعثة برئاسة جيسني في عام ١٨٣٠م ، لزيارة مناطق اسيا الصغرى المتمثلة بسوريا والعراق ، وبعد عودة فرنسيس جيسني الى بريطانيا قدم تقريرا الى الحكومة يشير بانه يمكن انشاء طريق بري نحو الهند عبر الاراضي السورية ومرورا بالأراضي العراقية ، فضلا عن امكانية ربط هذا الطريق بنهر الفرات الذي يصل عبر النقل النهري الى الخليج العربي . الا ان الحكومة البريطانية لم تكتفي بهذا التقرير فجددت البعثة في عام ١٨٣٥م وفي هذه المرة تحت اشراف حكومتي لندن والهند وايضا لاقت البعثة تايد من فرنسيس جيسني صاحب البعثة الاولى ، واشار في البعثة الثانية على مد سكة حديد بمحاذاة نهر الفرات عبر سوريا و وادي الرافدين وصولا الى البصرة واضاف جيسني للحكومة البريطانية اغراء بانه توجد في العراق الاراضي الزراعية التي يمكن استغلالها ويمكن ان تنتج اكثر مما تنتجه مصر من القطن ويكون مصدر اقتصادي فضلا عن الخط الناقل واستثماراته ، حيث خصصت الحكومة

---

[١] _لؤي بحري ، سكة حديد بغداد دراسة في تطور ودبلوماسية قضية حديد برلين بغداد حتى عام ١٩١٤م ، ط٢ ، بغداد ، العراق ، ١٩٦٧، ص ١٤

البريطانية لهذه اللجنة التي قادها جينسي ٢٠,٠٠٠ جنيه فضلا عن مساهمة شركة الهند بمبلغ ٥٠٠٠جنيه [١].

ثم ظهرت الفكرة مرة اخرى في عام ١٨٥١م عندما وضع جيمس طومسون مشروعا مشابه للمشروع البريطاني وسعيه الحصول على تايد عالمي يمكنه من تنفيذ مشروعه ، الا ان فرنسيس جيمسي جدد ضهوره ١٨٦٢م بفكرته في مد مشروع سكة حديد تمتد من السويداء ، على خليج الاسكندرونة وصولا الى قلعة جابر في بدايات نهر الفرات وتكون هذه السكة حلقة ربط بين البحر المتوسط والطرق النهرية في الفرات ، ومنها تمتد سكة حديد نحو بغداد ومنها الى البصرة وصولا الى الكويت حيث تكون الكويت نهاية الخط ، وهذه المرة الوحيدة التي ظهرت فيها الكويت ورغم تظافر الجهود بائت تلك الافكار بالفشل [٢].

وبعد ما انتهت فرنسا من انشاء قناة السويس وفتحها عام ١٨٦٩م . اخذت بريطانيا تطمح لخلق طريق بري ينافس قناة السويس ، لأن من شانه ان يقضي على مكانة فرنسا وتهديد مشروعها ، حيث وضع ستسفون مشروعا منافسا لقناة السويس من خلال مد سكة حديد نقطة بدايتها عند سكوتاري ومنها الى ازمير ثم الى سيفري الى حسار فاكسراي وبعدها وادي الفرات مرورا ببغداد وياخذ طريقها في وسط العراق الى البصرة وصولا الى ايران فبلوجيستان ثم كالكوتا في الهند ولم ينجح المشروع ايضا بسبب المعارضة الشديدة من فرنسا [٣].

وبعد كثرة الدراسات الميدانية التي قام بها المهندسون الاوربيون اخذ المهندسون النمساويين التوغل في ميدان العمل في مشاريع سكك الحديد في اراضي اسيا الصغرى ، فاخذ المهندس الفون بروسل دراسته لمد خط سكة حديد برلين بغداد واستطاع اقناع السلطان العثماني بمسح الاراضي العثمانية وفي عام ١٨٧٤م وبعد التطور الملحوظ في مد

---

[١] _ امال عمر خميس عبيد ، النشاط الملاحي البريطانية في انهار العراق ( ١٨٣١م_ ١٩١٤م ) ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة الانبار ، منشورة ، العراق ، ٢٠١٦ ، ص٥٠

[٢] _ مصدر سابق , لؤي بحري , ص ١٩

[٣] _عبد العزيز سليمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ص٢٠٣

خطوط سكك الحديد فرضت مشاريع السكك الحديدية نفسها على السلطات العثمانية [١].

وفي بدايات عام ١٨٨٨م تمكن مصرف الماني باسم ( دويشك بنك ) الحصول على امتيازات تمكنه من انشاء هذا الخط حتى مدينة انقرة مع توقيع الوعود ليكمل بعدها الى بغداد بضمانات كيلو مترية تقدر بحوالي١٥ الف فرنك ، حيث باشر الالمان بالعمل في سنة ١٨٨٩م ، حيث استطاعوا خلال سنة واحدة من اتمام ٣٠٠ كم وفي عام ١٨٩٣م تم انشاء الخط الى انقرة بمسافة قدرت بـ٥٧٨ كم ، وبعد هذا الانجاز والتقدم بالعمل طالبت المانيا الحكومة العثمانية بامتياز المسافة الباقية من الخط ، وان تجري والاستقامة في الخط المنجز ، حيث انه سيغير اتجاه الخط بدلا من ان يسير من انقرة الى يوزقاد وسيواس يتم تحويله من انقرة الى قيصرية ، وحصلوا على هذه الامتيازات في اول عام ويمتد بمسافة ٣٢٠كم بضمانات كيلو مترية ايضا تقدر حوالي ١٧٦٥٠ فرنك وسمي هذا بالخط الوسطي ، الا ان روسيا اثار ذلك مخاوفها خشية من ان يتقدم الالمان في الولايات الشرقية وانتهت المفاوضات بتغير وجهة الالمان ، وطلبت المانية من الحكومة العثمانية بمنحها جزء جديد من الاراضي بين اسكي شهر وقونية ، وقامت بأنشاء هذا الخط شركة الأناضول لسكك الحديدية وتم انجاز هذا الخط وصولا الى قونية مرورا باسكي شهر في عام ١٨٩٦م وسمي هذا الخط بالخط الجنوبي بضمانات كيلومترية قدرت ب١٥ الف فرنك [٢].

بعد ما تم انشاء الخط الوسطي والخط الجنوبي داخل الاراضي التركية تم منح الامتيازات الى شركة الأناضول في نوفمبر ١٨٩٩م ووقع السلطان العثماني بنفسه على وثيقة مبدئية بمنح الشركة الالمانية مد خط سكك حديدي يمر عبر الاراضي العثمانية في الخليج العربي وبالتحديد خط حديد بغداد البصرة وقد شغل هذا الخط العلاقات الدولية لعقود من الزمن وهذا الفضل يعود الى القنصل البريطاني ببر شتاين حيث خطط الالمان

---

[١] _روبير مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج٢ ، ت بشير السابعي ، ط١ ، القاهرة ، مصر ، ص٢٢٤

[٢] _ يوسف حسن يوسف ، موقف البريطانيةة من سكة حديد برلين بغداد ، المجلة الاردنية لتاريخ والاثار ، المجلد السادس ، العدد الرابع ، ٢٠١٢ ، ص ١٧٦ .

مد سكة حديد تبلغ مسافتها ١٦٠٠ كم ، تربط بين اسطنبول وبغداد فالبصرة ونهايتها شط العرب مما يعني ربط الشرق الاوسط بأوروبا .

واطلق على هذا المشروع اسم عرف بطريق ( ب، ب ,ب) ( Route b b b) لان الطريق يبدا من برلين ثم بيزنطة ومنها الى بغداد واختيرت كلمة بيزنطة بدلا من اسطنبول لأنها تبدا بحرف ال ب وتمت الموافقة على هذا المشروع في ١٥ اذار ١٩٠٢م ، وتم التوقيع من قبل ذهني باشا وزير الاشغال ممثلا عن الحكومة العثمانية اما الموقع من الجانب الالماني مدير الشركة المنفذة كورت زندر ، وجوينر ارثر رئيس مجلس الشركة ، والمدير المساعد ايضا ، بضمانات كيلومترية قدرت بحوالي ١٦٥٠٠ فرنك ونصت هذه الاتفاقية على بنود اهم ما جاء فيها [١].

١_ مدت امتيازات الشركة ٩٩ عام .

٢_ تشغيل الايدي العاملة من العثمانيين بعد ٥ سنوات من العمل .

٣ _ تحويل الاليات بعد الانتهاء من العمل الى الملكية العثمانية .

٤_ تقوم الشركة بتسليم الخط المنجز بعد مد ٢٠٠كم لكل مرحلة مع مراقبة وزارة الاشغال العثمانية للعمل المنجز ، وعلى ان تدفع الحكومة العثمانية ٢٧٠ قرش ذهبي عن كل كلم واحد .

٥_ من حق الحكومة العثمانية اقامة ترسانات عسكرية من شانها الدفاع عن الخط اذا ما حصل تهديد عسكري

ولمشروع خط سكة حديد بغداد برلين اهداف وغايات سعت اليها كل الاطراف التي درست حول هذا المشروع او حاولت ان يُنجز ويعمل به خصوصا الدولة العثمانية والالمان ، حيث احتلت الاهداف الاقتصادية اول الاهتمامات لان لهذا المشروع مكانة كبيرة اذ يفتح البلد على التقدم الاقتصادي على مختلف القطاعات التجارية والصناعية والزراعية . حيث يسهل هذا المشروع نقل البضائع بكميت كبيرة ومدة اقل مما كان عليه من الطرق الاخرى فضلا عن كلفة النقل الباهظة ، هذا وان تطوير التجارة بالمناطق التي يمر بها الخط يساعد

[١] _ يوسف حسن يوسف ، مصدر سابق ، ص١٩٩

على تحسين معيشة السكان في تلك المناطق وتطوير التجارة الداخلية والخارجية وزيادة في خزينة الحكومة وحصولها على نسبة مقررة جراء عمليات التجارة ، واشار بعض المؤرخين والخبراء ان مد سكة حديد بغداد برلين سيشجع على انتقال السكان الى داخل اسيا الصغرى وتحضير وازدهار التجارة بشكل اسرع واكثر انتاجية [١].

اما من الناحية الاستراتيجية ايضا كانت اهداف للحكومة العثمانية من خلال انشاء هذا الخط حيث كان يرى السلطان عبد الحميد الثاني من خلال هذا المشروع يمكنه تحريك قواته بسرعة لمواجهة اي انتفاضة بعيدة كما يعده دعامة اساسية لدعم السلطة الحاكمة في الاقليم التي يمر عبرها الخط مما يسهل عليه حفظ الامن والنظام [٢].

اما اهم هدف للألمان من انشاء خط سكة حديد برلين بغداد هو النشاط الاقتصادي الذي تسعى المانيا الوصول اليه ومن اهم هذه النشاطات هو نقل البضائع الالمانية الى البصرة وبغداد ، فضلا عن استغلال المواد الخام واهما القطن ، ومنها الوصول الى منطقة الخليج العربي لمنافسة بريطانيا ، اضف الى ذلك استثمار البنوك الالمانية لرؤوس اموالها من خلال انشاء الخط وتكاليفه من ادارات ومعدات وبناء ميناء نهري في بغداد وعمليات التنقيب على بعد ٢٠ كم من الخط برخصة من الحكومة العثمانية [٣].

يعتبر المؤرخون ان مشروع سكة حديد بغداد برلين هو مشروع الماني محض جاء نتيجة تفكير غليوم الامبراطور الالماني متخذا نهج السياسية الالمانية والتي كانت وقتها تخوض تنافسا عالميا باعتبارها احد دول التحالف الثلاث التي تنافس دول الوفاق وما لبث هذا التنافس حتى تحول الى صراع حربي ومن القضايا التي دخلت التنافس هي انشاء قناة السويس من قبل فرنسا ، فضلا عن منطقة الخليج العربي التي تحتوي على وفرة الموارد الاولية وكانت تحت سيطرة النفوذ البريطاني ويراها البوابة الوحيدة المؤدية الى الهند حيث

---

[١] _ محمد شعبان صوان ، الحياة الاقتصادية في اواخر ايام الخلافة العثمانية ومقوماتها لتمديد الراسمالية الغربية ، ط١ ، ابن النديم لنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، ٢٠١٣م ، ص١٧٧

[٢] _ علي الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني رجل زمانه ، مدونة الجزيرة ، ٢٠١٨

[٣] _ حسين فيض الله الجاف ، الدبلوماسية الالمانية ( ١٨٧٠_١٩١٤م ) ، مجلة البحوث والدراسات الايلامية ، المجلد رقم ١ ، الهيئة العلمية الاستثمارية ، ديوان الوقف السني ، ٢٠١١ ، ص٣٩_

كانت الهند مستعمرة بريطانية ، واذا ما تم انشاء خط b b b سيحقق للالمان السيطرة على منطقة الخليج العربي ويقلل من اهمية قناة السويس مما يضعف قوة دول الوفاق وبالمقابل قوة الألمان ، حيث اعتبرت المانيا هذ المشروع عامل صراع استعماري قوي وقد يكون هذا من اهم الاسباب الغير مباشرة التي نشبت من اجلها الحرب العالمية الاولى لأنه اذا ما عمل بهذا المشروع ستصبح المانيا قوة عظمى لأول مرة في تاريخها واخذت تهدد البريطانية في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وحتى من حيث المستعمرات ، واخذت تتوغل داخل الدولة العثمانية وكان راس حربة هذا التوغل هو خط سكة حديد بغداد برلين ، بالرغم من الاتفاق الذي عقد بين روسيا والمانيا والبريطانية بشان انشاء هذا الخط قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى .

لابد من ذكر ان سكة حديد بغداد برلين وصلت لنقطة قريبة من الخليج العربي قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى ، ويمكن استخدام مصب نهر الفرات للملاحة وصولا الى شط العرب وبعدم النظر الى ان المشروع وصل الى اخر مراحل انجازه ام لم يصل فمن المهم انه وصل الى المنطقة التي تضم الخليج العربي والعراق خصوصا ، وبنظر الخبراء والاقتصاديون الالمان ورجال الاعمال ووجهة نظر السياسة الالمانية يمكن للعراق ان يصبح دولة منافسة سياسية واقتصاديا وعسكريا اذا ما تم انشاء الخط او ما يماثله [1].

## ثانياً: مشروع طريق التنمية الاستراتيجي مسارلتنويع الاقتصاد العراقي:

يحتاج العراق الى طفرات اقتصادية نوعية يمكن تخلصه من الازمات التي لا زال يعاني منها ، وظهرت هذه المشاريع العملاقة التي ستغير وجه العراق للابد اذا ما استغل بالشكل الافضل والانسب ، تنمية اقتصادية وانفتاح على العالم مقر مركز اقليمي ونهضة وصفت بالمرعبة لما لها تاثير واسع ، فالعراق الذي يعاني منذ زمن ليس بالقريب من ازمة اقتصادية طاحنة انهكته طوال هذه الفترات خلفت فوضى عارمة حيث لا يكاد شارع يخلو من

[1] _ سيناء محمود عبدالكريم ، المنافسة الالمانية الفرنسية بعد مؤتمر برلين حتى قيام الحرب العالمية الاولى ، مجلة الدراسات في التاريخ والاثار ، العدد ٥٠ ، ٢٠١٥ ، ص٥٩٧

الشباب العزل الباحثين عن العمل ، فضلا عن الانفلات الامني المهدد للاستقرار ، ولا يمكن ان تحل هذه المشاكل الا بعمليات متتالية وبداية الحلول مع المشكلة الاقتصادية ، فالحكومة اليوم تعمل على مشروعين عملاقين من شانهما تغير اقتصاد العراق وسياسته الداخلية والخارجية ، ويمكن ان تعيد العراق الى واجهة المنطقة والعالم من جديد ، وهذين المشروعين هما طريق التنمية الاستراتيجي ، ومشروع ميناء الفاو الكبير .

يرى الاقتصاديون حان الوقت لبغداد ان تستعيد دورها الريادي في المنطقة لكن هذه المرة ليس عن طريق الزعامة السياسية بل من خلال الشراكة الاقتصادية المستدامة ، حيث اكد المتحدثون باسم الحكومة ان الحكومة غيرت من خطة عملها وانتقلت من الاتفاقيات السياسية والعسكرية الى المصلحة الاقتصادية مما يمهد لها الطريق للعودة الى القمة الاقتصادية ، ومما جاء في بيان مدير الشركة العامة لسكك الحديد في العراق وقال ان تكلفة مشروع التنمية ستصل الى ١٧ مليار دولار ، مضيف ان المشروع مشروعا استراتيجيا و يماثل حلم العراق في السنوات المقبلة وهو مكمل لمشروع الفاو الكبير , والذي سيجعل من العراق ممر هام بين اوروبا والخليج العربي وبما ان المشروع مكمل لمشروع الفاو الكبير لابد من الاشارة الى مشروع الفاو بإيجاز .

## مشروع ميناء الفاو الكبير وطريق التنمية الاستر اتيجي يكمل بعظهما البعض:

يعد هذا المشروع من اضخم المشاريع التي تشغل اذهان العراقين منذ سنوات ، فعلى الرغم من الاستمرار بالعمل به لكن صار في السنوات الاخيرة العمل به متلكأ وبطئ مما زاد في الشكوك حوله .

حيث يقع ميناء الفاو في راس البيشة بمحافظة البصرة المطلة على الخليج العربي مباشرةً ، بدأت فكرة المشروع في اواخر الحرب العالمية الثانية ، حيث عملت بريطانيا على ان يكون مستقرا لسفنها المتجه نحو الخليج العربي الا انه لم ينفذ في تلك الفترة ، ثم عادت الفكرة في فترة حكم نظام المقبور صدام في سبعينيات القرن الماضي ، وتوقف العمل له في بسبب نشوب الحرب العراقية الايرانية ، وبعد سقوط حكم البعث البائد اعيد العمل بمشروع الفاو وطرح على طاولة اولويات الحكومات المتعاقبة ليعلن ان بدا العمل في

المشروع عام ٢٠١٠م ، ولا يزال العمل مستمرا عليه ، وبعد اكتمال العمل به سيصبح اكبر عاشر ميناء في العالم وسيملك العراق ميزة ارساء السفن الكبيرة في مينائه، فضلا عن تشغيل المدينة الصناعية الواقعة في مدينة الفاو وستكون الاولى في الشرق الاوسط مما يجعلها توفر الاف من فرص العمل للعراقين فضلا عن المردود المالي ، مما يسهل للعراق نقل البضائع بطريقة اسهل ، وسهولة نقل النفط حيث يبلغ سعة تحميل السفن الكبرى بحوالي ٩٩ مليون طن سنويا ، وتشير المؤشرات الاقتصادية ان هذا المشروع سيدر على العراق حوالي ١٥ مليار دينار شهريا، واخذت الحكومات الاخيرة تعمل على انجازه بأسرع وقت ممكن لأنه كان متلكأ خلال ١٣ سنة سابقة ، مما جعل الحكومة ان تفتح باب المناقصات امام الشركات العالمية للتعاقد من اجل انهاء المرحلة الاولى من المشروع ، لما له من اهمية بالغة حيث يعد مكملاً لمشروع طريق التنمية الذي سيربط الخليج بتركيا عبر العراق .

**ثالثاً: حكومة السوداني والاعلان عن مشروع طريق التنمية :**

ربما كان العمل بمشروع طريق التنمية يعود الى فكرة سابقة الا ان العمل على انشاء هذا الطريق بفكرة جديدة ضهر خلال حكومة محمد شياع السوداني ، واعلن بشكل رسمي عندما زار الاخير انقرة ولقاءه بنضيره التركي اردوغان بعدها اعلن الرئيس التركي عن المشروع بشكل رسمي ، والطريق الذي تسعى بغداد وانقره لتدشينه سينطلق من محافظة البصرة جنوب العرق وتحديدا من مدينة الفاو متوجها الى مثلث الحدود بين تركيا والعراق وسوريا ، ليصل العراق بأوروبا ولاحقا بشواطئ البحر الاسود ، سيبلغ الوقت المتوقع لقطع الطريق بين ١٢ الى ١٦ ساعة بواسطة السيارة ويكون ذلك الوقت اقل اذا كان بواسط السكك الحديدية ، ويتوقع ان يجني العراق ارباح مالية كبيرة اذا ما دخل المشروع حيز التنفيذ ، قد تنافس تلك الارباح ما تحصل علية قناة السويس في مصر او اكثر من ذلك ، حيث سيكون ذلك الخط الرسمي بين اوروبا واسيا لنقل للبضائع والبشر خلال وقت اقل وكلفة مناسبة ، فضلا عن توسع حركة التجارة والصناعة داخل العراق مما يساعد في نهوض الاقتصاد العراقي بشكل اسرع ، وقد يستغرق العمل في مشروع طريق التنمية مدة اربعة اعوام كاملة حيث تعمل حكومة السوداني على جلب المستثمرين للتعاقد والبدا

بالعمل وتم الاتفاق مع شركة ايطالية من اجل البدا بالعمل وقدمت الاخيرة قيمة التكاليف الاولية للمشروع الى الحكومة وقدرت حوالي ١٧ مليار دولار للطريق بالكامل ، مقسمة على ١٠,٥ مليار دولار لسكك الحديدية و٦,٥ مليار دولار لطريق السريع بموصفات عالمية ، وتشير اغلب التقديرات ما بين عامي ٢٠٢٦ و ٢٠٢٧ لتشغيل المشروع بشكل اولي كامل ، هذا ولا يخلو العمل من الكثير من العقبات والصعوبات التي يجب على الحكومة تذليلها او انهائها ، واهم هذا العقبات الوضع الامني الغير مستقر في البلاد ,واهمها الجماعات الارهابية في المنطقة الغربية ، فضلا عن الوضع الامني على الحدود التركية وما تسببها بعض الجماعات الكردية من فوضى وانفلات عسكري يهدد عمل المشروع ويجب على الحكومة تلافي تلك العقبات بشكل قطعي ونهائي لتسهيل عملية نقل البضائع بسلام [١].

## رابعاً : مسار انطلاق المشروع الجغرافي والمشاريع الملحقة به.

يمر مسار طريق التنمية بعشرة محافظات عراقية حيث تكون نقطة انطلاقه من مدينة الفاو وتحديدا راس البيشة من ميناء الفاو الكبير لانهما يعتبران مشروعان احدهما مكمل للأخر وينتهي مساره داخل العراق عند وصوله الحدود العراقية التركية في مدينة فيشخابور بعدها يأخذ مساره داخل الاراضي التركية ومنها الى اوروبا ، وخلال مروره بهذه المحافظات العشر تكون هناك محطات للتفريغ او للمسافرين او لوجود المدن صناعية او مصافي النفط ، حيث ان المشروع المكون من خطين متوازيين خط سككي حديدي والاخر طريق سريع للسيارات يمر هذا المشروع ب ١٥ محطة موزعة على المحافظات التي يمر بها وتكون المسافة بين المحطات حسب تواجد المدن ونقطة مرور الخط بالمحافظة وهذه المحطات هي كالتالي :

[١] _ alkhbar_alaan قناة , العراق على موعد مع التاريخ , دبي , الامارات , ٢ / يونيو / ٢٠٢٣ ,
https://youtu.be/8nbtot08-yw

١. نقطة انطلاق الطريق هي محطة ميناء الفاو التي تقع قرب ميناء الفاو ولا تبعد عن المدينة الصناعية الجديدة وتبعد عن مدينة الفاو بحوالي ١٤.١كم . وينطلق من هذه المحطة خط سكة الحديد وخط السريع للشاحنات والسيارات .

٢. بعد المحطة الاولى عند الميناء يمر خط سكة الحديد بمحطة ثانية في محافظة البصرة وتبعد المحطة عن مركز المحافظة ١٢ كم اما الطريق السريع يكون اقرب الى المدينة من خط سكة الحديد .

٣. بعد محافظة البصرة يدخل الطريق محافظة ذي قار وتكون محطة واحدة في مركز المحافظة على بعد ٢٧.٧ كم من مركز مدينة الناصرية .

٤. اخر محطات الطريق في المحافظات الجنوبية هي محطة السماوة وتبلغ المسافة بين المحطة ومركز المدينة ١٠,٣ كم .

٥. اما في محافظات الفرات الاوسط تكون اول محطة في محافظة الديوانية وتبعد المحطة عن مركز المدينة حوالي ١١,٠ كم .

٦. بعد محطة الديوانية يتجه الخط للمرور بمحطة محافظة النجف التي تقع على بعد ٨,٨ كم عن مركز مدينة النجف .

٧. المحطة السابعة في محافظة بابل وتقع على مسافة ٢٧,٨ عن مركز مدينة الحلة .

٨. قبل الوصول الى العاصمة يمر الخط بمحطة كربلاء التي تبعد عن مركز المحافظة ٩,٣كم .

٩. المحطة التاسعة تقع في العاصمة بغداد وتبلغ المسافة بين المحطة ومركز المدينة ٣٧,٠ كم .

١٠. يتجه بعدها الخط شمالا حتى يصل محطة سامراء والتي تقع على بعد ٨,٤كم عن مدينة سامراء

١١. محطة تكريت وتكون المسافة بين المدينة والمحطة ٥,٩ كم .

١٢. ومن المدن التي تستوجب وجود محطة هي بيجي حيث تبعد المسافة بين المحطة والمدينة ٤,٠كم .

١٣. محطة الموصل التي تقع على بعد ٨,١كم عن مركز المدينة .

١٤. وقبل المحطة الحدودية يمر الطريق بمحطة الربيعة حيث تبعد المسافة عن المدينة ٥,٦ كم .

١٥. واخر المحطات في الاراضي العراقية هي محطة الحدود العراقية قبل وصوله الى الاراضي التركية وتبعد المحطة عن مدينة زاخو حوالي ٢٨,٣ كم [١].

## خامساً: تكلفة المشروع و ايراداته :

طريقٌ تجاري لا يعني العراق فحسب بل هو مشروع لربط اسيا بأوروبا بعد ما يتحول العراق الى نقطة عبور تختصر الكثير من وقت السفر والكلفة قياسا بالطرق الاخرى .

يتكون الطريق البري من مسارين متوازيين الاول سريع لشاحنات والسيارات والاخر لخط السكك الحديدية ، يتجاوز طول هذا الطريق داخل العراق ١٢٠٠ كم يتجه من الفاو الى الشمال عند مدينة فيشخابور في المثلث العراقي التركي السوري . هذه المسافة سيقطعها طريق المسافرين بسرعة ٣٠٠كم بالساعة ، اما قطار البضائع سيسير بسرعة ١٦٠كم بالساعة مما يخفض مدة نقل البضائع من جنوب العراق الى شمال من ٣٣ يوم الى ١٥ يوم فقط، وحسب احصائيات الخبراء الاقتصادين والشركات المتعاقدة ان كلفة المشروع هي ١٧ مليار دولار ، بدورها تنقسم هذه الكلفة الى جزئيين حيث ستبلغ كلفة سكك الحديد ١٠.٥ مليار دولار اما كلفة الطريق البري ستكلف ٦.٥ مليار دولار ، هذا الطريٌق تجاري سياحي يمر خلال ١٢ مدينة عراقية من البصرة جنوبا الى بغداد حتى يصل فيشخابور ، حيث سيخدم ٢٧ مليون مواطن عراقي تقريبا ، وينقسم تنفيذ هذا المشروع الى ٣ مراحل ، المرحلة الاولى ومن المقرر تنتهي في عام ٢٠٢٨ حيث ستساهم بتسهيل سفر ١٤ مليون مسافر سنويا واكثر من ٣،٤ مليون حاوية تصل حمولتها الى اكثر من ١٥ مليون طن من البضائع خلال السنة الواحدة ، اما المرحلة الثانية والتي تنتهي في عام ٢٠٣٢ فستساهم بنقل اكثر من ٧ ملايين حاوية في السنة الواحدة تبلغ حمولتها ٣٣ مليون طن من البضائع

[١] _ المربد ميديا , ٢٦ مايو , ٢٠٢٣ , https://youtu.be487xr33vrfa

المختلفة ، اما المرحلة الثالثة ستنتهي في عام ٢٠٥٠ عندها ستبدأ الحكومة العراقية بتطبيق الرؤيا الاوسع للمشروع .

هذا المشروع العملاق من شانه ان يعود على العراق بإيرادات ضخمة قد تصل الى ما يقارب ٤,٨٥، مليار دولار سنويا ، فضلا عن مساهمته في توفير ١٠٠ الف فرصة عمل للمواطنين بشكل مباشر فضلا عن الاعمال والوظائف غير المباشرة التي ستأمنها المدن الصناعية التي ستنشأ على طرفي هذا الطريق الحيوي [١].

## المبحث الثاني

## مشروع التنمية الاهمية ومسارات التأثيرعلى التوازنات الداخلية في العراق

العراق قادم على مشروع التنمية الذي يصل الشرق بالغرب وربما يقطع هذا المشروع دعاة طريق الحرير الصيني الذي قد يكون العراق جزء منه او لا يكون ، من البصرة الى الحدود التركية سينشأ جسر تجاري عملاق ويطلق على هذا المشروع بمشروع التنمية الاستراتيجي او القناة الجافة ، ومن الممكن ان يغير هذا المشروع وضع البلد من حالة الى اخرى تكون افضل , واعلنت الحكومة برئاسة السيد محمد شياع السوداني عن هذا المشروع بداية العام الحالي وتتعلق امال عراقية كبيرة على هذا المشروع بعد المؤتمر الذي عقد في بغداد وحضره وزراء نقل عشر دول هي قطر ، الامارات العربية المتحدة ، الكويت ، عُمان ، الاردن ، تركيا ، ايران ، السعودية ، سوريا حيث يتضمن المشروع خطوط سككية تنقل البضائع والاشخاص ، ويمر داخل العراق بمسافة ١٢٠٠كم ، وقد دخل المشروع حيز التنفيذ من المرحلة الاولى ، وسيتضمن المشروع فقرات سيادية واخرى استثمارية وفق المخطط سيتم انشاء سكة حديد وطريق سريع وسيمر الطريقان على الجانب الغربي للمحافظات باستثناء محافظة صلاح الدين ، وحسب ما قررته حكومة السوداني العراق مصمم على ان يبدا بالمشروع مع مقترباته عام ٢٠٢٤ .

---

[١] _ اقتصاد الشرق , ١٦ يونيو , ٢٠٢٣ , http://bit.ly/30goO0c

المشروع بالغ الاهمية والفائدة للعراق ، خصوصا لما مر به البلد من ازمات سابقه ولم يشهد انشاء اي مشروع استراتيجي كبير سابق ، وقد استُقبل مشروع التنمية دوليا بشكل ممتاز ومرحب به وهناك من يعول على هذا المشروع لربط اوروبا بالخليج العربي بطريق مختصر يمر بالعراق ولا يمت لطريق الحرير الصيني بصلة ، طريق التنمية طريق عراقي تركي بالكامل وستستثمر في هذا الطريق الدول المستفيدة منه ويكون هذا الطريق مشابه لقناة السويس من ناحية الربط بين عالمين .

وينقسم الشارع العراقي وحتى بعض الساسة والاقتصاديين العراقيين بين مؤيد للمشروع ورافض له ,اذ يعتبره البعض مشروع عملاق من شانه ان ينقل العراق من وضع اقتصادي متهالك الى وضع اقتصادي يزهر بالنمو الايجابي والتنمية المستدامة ويجعل من العراق جسر بري بين اوروبا والشرق الاوسط ، في حين ان هناك رأي رافض ومشكك بالمشروع ويفهمه على اساس انه بديل سيئ لأفشال طريق الحرير الصيني , حيث وصفه المشككين أن المشروع هو وصمة عار واعتبره فاتورة سيدفعها الشعب العراقي بسبب فشل الطبقة السياسية التي تشبعت بالفساد الذي جعل من الساسة لا يميزون بين الضار والنافع ، وهناك اصوات وشخصيات بررت موقفها ضد هذا المشروع على انه يحول العراق الى ترانزيت بين الخليج وتركيا واكبر المستفيدين هي السعودية حسب ادعائهم[١] ، ومن المشككين بهذا المشروع الناشط في الحزام الاقتصادي كريم بدر الذي قال ان هناك اتفاق بين الكتل السياسية الشيعية والولايات المتحدة الامريكية على ايجاد مشروع من شانه ان يعرقل مشروع طريق الحرير الصيني وهذا الطريق هو لخداع الناس و لا علاقة له بالعراق فقط يخدم دول الجوار[٢] .

الامر الواضح والمتفق عليه هو ان هذا الطريق عراقي استراتيجي ممكن ان يخدم الاجيال ويجعل العراق من اهم جسور التجارة العالمية ، وعلى الحكومة الحالية واللاحقة ان تثق بعملها وتعمل بجدية والتعامل مع الموقع العراقي المهم واستثماره كحلقة وصل بين

---

[١] _ UTV, برنامج الحق يقال , عدنان الطائي , ٢٩ مايو , ٢٠٢٣ http://youtu.be/31DIH4Lc1gk

[٢] _ كريم بدر , UTV, برنامج الحق يقال , عدنان الطائي , ٢٩ مايو , ٢٠٢٣ , http://youtu.be/

اسيا و اوروبا , ولهذا المشروع انعكاسات واثار داخلية مؤثرة في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية حيث من شانه ان يجعل العراق بلد مزدهر اقتصاديا مستقر سياسيا وامنيا فضلا من جعل موقعه الاستراتيجي محط انضار دول العالم التي تسعى للاستثمار والتبادل التجاري و لتصدير واستيراد البضائع وهذه الاثار هي:

## اولا : اثر المشروع على التوازنات السياسية :

تختلف الاهتمامات السياسية بين فترة واخرى ومن حكومة الى اخرى مع تغير الاحداث في البلد وتستجد في فترة معينة منبعثة من التفكير في مجال اخر يكون وثيق الصلة بنمو المجتمع ورفاهيته ، من هذا المنطلق بدأت الاصوات تتعالى في العراق لضرورة توسيع الاهتمامات السياسية حتى يصل المجتمع الى معدلات مقبولة من التنمية الاستراتيجية والتنمية البشرية ولاسيما ان العراق اخذ يتجه نحو نضام اقتصادي تعول عليه الحكومة والشعب من شانه ان يغير البلد ، الا ان هذا التحول السياسي في الاقتصاد يتسم بالتخبط وعدم الجدية في العمل وكثرة التناقضات واهم دور في ذلك هو السلطة التشريعية والكتل السياسية ، والكثير من عوامل تخلف التنمية البشرية واهمها الاستقرار السياسي.

فظاهرة عدم الاستقرار السياسي ظاهرة حديثة الدراسة في العلوم السياسية لأنها لم تأخذ حيز واسع من الاهتمامات عند الباحثين والمنظرين وظهرت مع ظهور الدول حديثة الاستقلال من دول العالم الثالث وظهرت معها في نفس الوقت اشكال وازمات عدم الاستقرار السياسي بسبب بعض العوامل مثل الاختلال الفكري او التنوع الثقافي كما في العراق اختلاف الرؤى السياسية فرؤية الاحزاب الاسلامية تختلف عما هي عليه عند الاحزاب الكردية وحتى داخل الاحزاب الاسلامية توجد الكثير من الخلافات والرؤى التي ادت الى عدم الاستقرار السياسي [١].

[١] _ موسى ابراهيم , السياسة الاقتصادية والدولة الحديثة , دار المنهل اللبني , بيروت , ١٩٩٧ , ص ١٣

ان ظاهرة عدم الاستقرار السياسي هي تعبير عن التبديل المستمر وغياب الثبات في الاطر المؤسساتية للدولة او في النظام السياسي ككل او عدم وجود منظومة السلم الاجتماعي ، الا ان التبديل في النظم قد يكون ايجابيا في بعض الاحيان لكثير من الظواهر الاجتماعية ، بالنتيجة لا يمكن ان نفهم عدم الاستقرار السياسي بشكل تجريدي على انه ينعكس بشكل دائم للتغير المستمر بقدر ما يعبر عن تغيرات غير منتظمة في طبيعة النظام السياسي ومما يؤدي الى استبدال مؤسسات سياسية بأخرى تحل محلها ، وغالبا ما تجري هذه التغيرات بصور عنيفة تحدث وسط رفض عام او جزئي لطبيعة المؤسسات القائمة ، وفقدان الرغبة لدى المؤسسات لاستبدال نسقها بنسق اخر ويتم التعبير عن هذا الرفض بأسلوب عنيف وغير سلمي من شانه ان يحدث فوضى وهذه العملية هي تمثل احدى ظواهر عدم الاستقرار السياسي [١].

بعد ان اتضح مفهوم الاستقرار السياسي واشكاله نشير الى كيف سيأثر مشروع التنمية على الاستقرار السياسي ؟ وما هي تأثيرات وانعكاسات الاستقرار السياسي على انشاء مشرع طريق التنمية ؟.

يعيش العراق اشكاليات وعدم استقرار سياسي من شانها ان تؤثر على انشاء مشروع طريق التنمية ، حيث تتزايد التساؤلات عن امكانية تحقيق المشروع في ضل الازمات المتواجدة , وخصوصا بما يتعلق بالمجاميع الارهابية في غرب العراق وحدوده مع تركيا ، اضف الى ذلك تفشي الفساد الاداري والمالي بشكل كبير واعتماد العراق على دول الجوار في ملف الطاقة الكهربائية التي هي شريان العمل للمشروع ومن المقرر ان تكون القطارات الناقلة تعمل على الطاقة الكهربائية .

وفي ضل هذه الازمة الكهربائية التي يعاني منها العراق يطرح رئيس الوزراء محمد شياع السوداني مشروع طريق التنمية والذي يسعى من خلاله لتدعيم الاستثمار والاستغناء تدريجيا عن النفط كمصدر رئيسي لموازنة البلاد ، و تقليل اعتماد العراق على النفط

---

[١] _ احمد دخيل , اثر عدم الاستقرار السياسي على مؤشرات التنمية البشرية في العراق بعد ٢٠٠٣ , مجلة اهل البيت عليهم السلام , العدد ١٨ , ص٣

وتعزيز مشاريع التنمية في البلاد مثل ميناء الفاو والمدن الصناعية فضلا عن مشروع طريق التنمية الذي من المقرر ان تنتهي المرحلة الاولى من انجازه في بحلول ٢٠٢٨ .

غياب الارادة السياسية كانت هي السبب الرئيسي خلف اشكالية ازمة الطاقة الكهربائية وفي ضل هذه الازمة لا يمكن حدوث اي تطور صناعي تجاري زراعي الا بوجود مصادر طاقة وطنية .

وهناك اتجاه عام لصانعي السياسة الاقتصادية في البلد وهي الزيادة الدائمة للنفقات التشغيلية وهذه مشكلة اخرى تعد معوقا اساسيا لمشروع التنمية ، حيث ان زيادة تلك النفقات يعني الاستمرارية في الاعتماد على الاستيراد ، وهذا ابرز الادلة على عدم وجود رغبة او جدية في الاتجاه نحو مشاريع التنمية ، حيث توجه الموازنة العامة للبلاد للأعوام الثلاث القادمة لزيادة النفقة التشغيلية والتزام البلد بنحو ١١٢ تريليون دينار عراقي اي ما يقارب ٨٤ مليار دولار مخصصة للرواتب ، وان صياغة الموازنة بهذه الكيفية تعني غياب اي نزعة لتنمية مستدامة على كافة القطاعات الصناعية والتجارية والزراعية .

ومن اجل المضي قدما بأنشاء المشروع يجب على الحكومة تذليل جميع العقبات السياسية وغير السياسية امام المشروع اهمها توفير بيئة امنه للشركات المستثمرة لأنها ستعمل في مختلف المناطق العراقية منها الصحراء في الغرب التي يجب تطهيرها من فلول الارهاب, فضلا عن النزاعات الاهلية في الجنوب وخصوصا محافظة البصرة وعدم وجود اي خطوات جدية من الحكومة في قضية نزع السلاح او ضبطه وفق قوانين حكومية صارمة حيث ان وجود السلاح المنفلت يهدد امن واستقرار البلد الذي يجعله بيئة طاردة للاستثمار , هذا من الجانب الامني , اما من الجانب الاقتصادي يجب على الحكومة الحالية توفير مصادر طاقة وطنية دائمة حيث لا يمكن للشركات المستثمرة ان تعمل في ضل هذه الازمة الكهربائية التي يعاني منها البلد حيث ان العراق يعتمد على دول الجوار من اجل تشغيل محطات الطاقة الكهربائية , وهناك موارد طاقة لا يمتلكها العراق يجب توفيرها من زبائن ودول اخرى ,هذه هي اهم الجوانب السياسية التي من شانها ان تؤثر وتعرقل انشاء مشروع

التنمية ومن الناحية النظرية للخبراء السياسيين والاقتصادين هي ليست بالمعوقات الصعبة ويمكن تلافيها بطريقة واخرى [1].

اما تأثير مشروع التنمية بعد ان يتم انشائه بشكل كامل ويدخل حيز التنفيذ فانه من المؤكد بنظر الخبراء السياسيون ان يكون ذا جانب ايجابي دون وجود جوانب سلبية لا نه سيرفع من دخل الفرد الذي هو جزء من كل وعند وصول الاجزاء الى مرحلة متقدمة من الرفاهية يكون الكل يطمح الى تحقيق ارباح اكثر من خلال العمل المستدام وعند وجود النمو الاقتصادي وتحقيق جزء من الرفاهية تتدرج الامور السلبية الى التلاشي , على سبيل المثال التقليل من البطالة بدوره يقلل من عوامل الجنوح الى الجريمة فضلا عن عدم الرغبة بالانضمام غلى الجماعات المنفلتة والارهابية والابتعاد عن تعاطي المخدرات هذا على مستوى الافراد , اما على مستوى الشركات تتجه نحو الاستثمار بسعة اكبر من خلال وجود المدن الصناعية والطرق التجارية والتقليل من عمليات التهريب الغير قانونية , اما على المستوى السياسي فالكل سيبحث عن المكان المناسب الذي يعود عليه بفوائد مادية او معنوية من خلال طرح برامج اقتصادية او تشريع فقرات تخدم الاقتصاد الكلي الذي هو جزء من ذلك الكل , وعند توفر العمل بشكل مستمر لا يتبقى الى التخلف وعدم الانضباط شي فالكل يدخل في مرحلة تنافس من اجل الحصول على اعلى مستوى من الرفاهية وهذا سيجعل من البلد مستقر اقتصاديا من الناحية الصناعية والتجارية ووفرة مصادر الطاقة هنا سيحدث استقرار سياسي امني ومع ذلك يجب على الحكومات ان تعمل بجدية وقانون صارم مع المستثمرين والعاملين في المشاريع الاستراتيجية .

## ثانيا :اثر المشروع على التوازن الاقتصادي:

حسب رؤية الخبراء في الشأنين السياسي والاقتصادي ان مشروع طريق التنمية الاستراتيجي يعد منفذ وتذكرة لخروج البلاد من ازمة ( الاقتصاد الريعي ) القائم على السلعة الواحدة ،

[1] _ احمد السهيل , ما الاشكالات التي واجهها مشروع طريق التنمية في العراق , اندبندنت العربية , ١٩ يوليو ٢٠٢٣

ودخول البلاد منطقة الاستدامة الاقتصادية التي تساهم بنهضة شاملة في جميع القطاعات التجارية والاقتصادية والطريقة الامثل لتنفيذ المشروع تتجه نحو الشراكة مع الشركات الاستثمارية العالمية ، وان العمل بهذا المشروع يعد حجر زاوية للاقتصاد المستدام ، حيث لا يعتمد على النفط وسيساهم في النمو الاقليمي ويعد المشروع بمثابة احياء فكرة مشروع سكة حديد بغداد برلين ، الذي كان متفق عليه من قبل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني والامبراطور الالماني فيليب الثاني ، وهدفه هو نفس هدف مشروع التنمية حيث يهدفان الى ربط الشرق بالغرب .

وان طريقة تنفيذ هذا المشروع من ناحية التمويل مبنية على ثلاث خيارات ، الاول ان يكون تمويل المشروع حكوميا فقط ويعد هذا الخيار صعبا للغاية حيث اذا ما عُمل به يحدث عجزا ماليا في ميزانية الدولة ، اما الخيار الثاني هو تنفيذ المشروع بشراكة بين الدولة والقطاع الخاص وهذا الخيار ايضا مصاحب بالخطورة لعدم ثقة القطاع الخاص بالوعود الحكومية فضلا عن العقبات التي تعيق عمل القطاع الخاص ، اما الخيار الثالث والذي عملت به الحكومة هو هناك استثمار لشركات اجنبية عالمية واكد المتخصصون ان هذا هو الخيار الامثل والافضل للعراق لأنه بحاجة الى استقطاب شركات عالمية حتى يجعل من البيئة الداخلية بيئة جذب وليس بيئة طاردة ، ويجب ان تكون هناك شراكات بين المؤسسات العالمية والشركات والمؤسسات المحلية وعند النظر الى المشاريع العالمية الاقتصادية جميعها اصابت بالشلل والتلكؤ الا مشاريع النقل تعد بمثابة نهر ثالث لا يتوقف عن الجريان ولا يتأثر بالخلافات السياسية التي عانى منها العراق , ومن المؤمل ان طريق التنمية سيحقق طفرة اقتصادية كبيرة للعراق والدول المجاورة ، حيث ان جميع المؤشرات والمعطيات تشير الى ان المرحلة الاولى من المشروع ستوفر اكثر من ١٠٠ الف فرصة عمل وفي حلول ٢٠٢٩ ربما ترتفع الى نسبة مليون فرصة عمل ، في حين يحتاج هذا المشروع الاستراتيجي الى حماية واتفاق دولي مع تركيا يجبر تركيا على استمرار عمل الطريق وتدفق البضائع اذا ما تعثرت العلاقات العراقية التركية ، لان العراق بأمس الحاجة للخروج

من اقتصاده الريعي ذو القطب الواحد ومشروع طريق التنمية يعد الخطوة الاولى المهمة لتنوع المصادر الاقتصادية في العراق [١].

حسب دراسة الجدو الاقتصادية التي قدمتها الشركة الإيطالية ان هذا المشروع عندما تنجز المرحلة الأولى منه بحلول عام ٢٠٢٨ من المؤمل ان تكون ايراداته المباشرة بحدود ٤ مليارات دولار، لكن القيمة الاقتصادية الاستراتيجية لهذا المشروع هي بالوفورات، لقدرته على احياء مناطق جديدة، وقدرته على خلق تجمعات سكنية وتنشيط قطاعات اخرى مرتبطة به، مثل قطاع التجارة و السياحة والنقل واللوجستيات حتى قدرته على تحفيز قطاعات الصناعة فضلا عن القدرة الهائلة في تشغيل الايدي العاملة بالتالي يمكن ان يكون مدخل للعراق لإيجاد ثغرة في القوة الاقتصادية[٢].

التشكيل الاقتصادي الحالي هو لتطوير المجتمع المحلي وفكرة المشروع هي استدامة اقتصادية متكاملة تنبع من حاجة البلد والمنطقة لهذه الاستدامة، حيث ان المشروع الاستراتيجي يمثل العصب الجديد للاقتصاد العراقي، حيث سيكون في هذا المشروع فقرات متعددة تزيد من كفاءة الاقتصاد في المجتمع العراقي والمجتمعات العربية المجاورة وغير العربية، القطاع الاستراتيجي حيوي وسيوفر استدامة مالية استدامة مجتمعية والمحافظة على البيئة فضلا عن فتح مجالات عمل متعددة والمتوقع في المرحلة الاولى توفير ١٠٠الف درجة وضيفيه وفي المستقبل قد تصل الى المليون وضيفة، والحكومة الحالية تفكر في نهج صحيح ويخدم المجتمع العراقي حيث وضعت الخدمات في اولويات المشروع وكيف تطور هذه الخدمات الى حاجة اخرى، ومن ضمن هذا المشروع هناك موانئ ومدن صناعية جديدة ومدن سكنية على وشك الانشاء ومطارات للنقل الجوي، وبما ان الطريق باتجاه الصحراء بالجانب المعاكسة لتواجد السكاني حيث ان الابتعاد عن التجمعات السكنية يتيح استصلاح الاراضي الزراعية وحسين الاراضي وتذليلها امام انشاء المصانع، وكل قطاعات الوزارات داخل العراق لا تواجه اي مشكلة او اي عرقلة من خلال انشا المشروع، والاعداد

---

[١] - هدى العزاوي , طريق التنمية يخرجنا من الاقتصاد الريعي , جريدة الصباح, ٣١ /٥ / ٢٠٢٣

[٢] - _ نبيل بدر , UTV , برنامج الحق يقال , عدنان الطائي , ٢٩ مايو , ٢٠٢٣ ,GTREH4I/ http://youtu.be

والدراسات للمشروع تتم بأعلى مستوى من التطور والرؤيا العالية ومن المرجح ان تكون النتائج على قدر عالي من النجاح كمستوى الدراسات المقدمة [١].

وقد يساهم هذا المشروع الاستراتيجي في نمو الاقتصاد المحلي ويمكن ان يقضي على بعض الامور السلبية التي يعاني منها البلد واهمها البطالة , حيث انه اغلب المجتمعات العالمية وعلى مر العصور تعاني من هذه الظاهرة على اختلاف المستويات والانظمة التي يضعها البلد , ومن المؤكد ان البطالة داء خطير اذا اصاب اقتصاد بلد ما فسوف يصيبه بمقل فيما غض النضر عنه , وليس من المنطقي ان تلقى تلك المشكلة على عاتق قطاع او وزارة واحدة لان الاضرار سيدفع ثمنها كل القطاعات , حيث يؤكد علم الاقتصاد على انه جميع القطاعات المنتجة لسلع والخدمات بشقيها العام والخاص ترتبط بمصير مشترك واحد , وعليه فان طرق معالجة البطالة تتقاسمها جميع القطاعات دون استثناء فما لك من واجب عليك حقوق ايضا , ولعل من اهم الطرق للقضاء على البطالة هو طريق التنمية المستدامة التي من الطبيعي ان تهتم بالعنصر البشري وتقي المجتمع من شر اصابته بمرض البطالة باعتباره احد اهم ابعادها , وذلك عن طريق التطوير والتأهيل واعداد سياسي اقتصادي لتفادي تفاقم هذه الازمة , ويرى الخبراء الاقتصاديون ان مشروع التنمية الاستراتيجي هو الطريق للخروج بكثير من الردود الإيجابية من اهمها القضاء على البطالة لان هذا الطريق يستديم التقدم البشري لا في مجرد مكان معين او وقت محدد وانما للعراق بشكل خاص وللعالم بشكل عام , والتنمية المستدامة تعمل على تلبية حاجات الحاضر والمستقبل دون ان تؤدي الى تدمير اي جيل من الاجيال المقبلة وتعمل على تلبية متطلبات الاجيال اللاحقة [٢].

المشروع هو عبارة عن تكامل اقتصادي ليس طريق سريع لسيارات او سكك حديد للقطارات فحسب بل وجود مدن صناعية ضخمة ستكون بجوار ميناء الفاو حيث ستكون هذه المدن الصناعية الذكية التي تطمح الحكومة لا نشائها ، ستكون اكبر مدينة صناعية

---

[١] _ قناة العراقية الاخبارية HD, ناصر صالجح الاسدي , الاستيديو التحليلي , ٢٣ مايو ٢٠٢٣ , http://www.imn.iq

[٢] _ بريبش السعيد , فعالية التنمية المستدامة في مواجهة ظاهرة البطالة , مصر , ص١٣

ذكية في الشرق الاوسط ، وهناك بجنب الميناء مدينة سكنية كاملة تخدم العاملين في ميناء الفاو وتخدم العاملين في المدينة الصناعية ايضا بطاقة استيعاب تصل الى ٣٠٠ الف شخص ممكن ان يسكنوا في هذه المدينة ، فضلا عن تطوير مدينة الفاو القديمة لكي تتماشى مع التطور الحاصل ايضا هناك مطار لشحن الجوي فضلا عن الكثير من الاستثمارات الكبيرة في هذه المنطقة حيث ستكون شبه جزيرة الفاو اكبر منطقة استثمارية في الشرق الاوسط ، بعد ذلك سيتوجه العمل الى المحطات التي ستتوقف فيها القطارات وتكون ١٣ محطة مرورا بـ ١٠ محافظات .

ومع المباشرة بالعمل ترى وزارة النقل يجب وجود سكك حديدية ذات مواصفات عالمية مماثلة لسكك الاوربية يمكن من خلالها ان يصل القطار العراقي الى موانئ اوروبا دون ان تنقل البضائع من قطارات محلية الى اجنبية ، وخلال المؤتمر ناقش بعض وزراء النقل لدول المجاورة مع الحكومة العراقية حول امكانية ربط سككهم الحديدة بالطريق الاستراتيجي بدوره هذا له ردود مالية واجور كمركية قد تدر على البلد بوفرة مالية دون استهلاك موارد طاقة كبيرة ، كل هذه العوامل والايرادات الاقتصادية يمكنها ان تجعل التوازن الاقتصادي في العراق مستقر ومتكامل وفي طريقه لنمو دون توقف وليس بالبعيد من ان ينقل العراق الى ان يصبح من الدول المتقدمة اذا ما استغل بشكل صحيح [١].

**ثالثا : اثار المشروع الجيوستراتيجية :**

اصبح العراق يدرك ضرورة ايجاد رؤى وافكار تجعله يتماشى مع المحيط الخارجي الاقليمي والدولي وما يحصل من متغيرات جيوسياسية ، وبما ان العراق يمتلك موقعا جغرافيا يمكن استثماره بأشكال مختلفة يمكن الارتكاز عليه في التوجهات الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية ، حيث يمكنه توظيف الفرص المتاحة لديه لتجاوز العقبات والنمو البطيء والبعيد عن البلدان المجاورة ، والاستثمار يكون من خلال شراكات استراتيجية في مختلف المجالات وخاصة الشراكة مع دول الجوار العربية وغير العربية ، وتحسين الاداء

---

[١] _ قناة التغير , ناصر الاسدي , برنامج من بغداد , تقديم نجم الربيعي , ٣٠ مايو ٢٠٢٣ ,
https//yotu.be/pmv-LDpyw

الدبلوماسي وتطويره في المجلات المهمة ، وخلق طرق التفاعل مع هذه الدول من خلال بناء مصالح تضعه في دائرة الاهتمام العالمي والاقليمي ويمكن استغلال الجيوستراتيجية كأداة دبلوماسية فاعلة لها القدرة ان تجعل العراق ذو مكانة استراتيجية وذو سيادة متكاملة .

وعلى هذا النحو جاء مشروع طريق التنمية الاستراتيجي حيث ان نقطة انطلاق هذا المشروع هي نقطة جيوسياسية لتكيف مع تطورات التي يشهدها العالم والمنطقة في ضل الازمات المتعددة التي يشهدها العالم ، وبعد فرض تسويات سياسية التي القت بضلالها على المنطقة ، جعل العراق المشروع احد ادواته في توسيع الشراكة الخارجية فضلا عن تسويق الجيوسياسية في مكانة العراق كقوة فاعلة وفي جغرافية المنطقة [١].

[١] _ فراس عباس ، مشروع طريق التنمية العراقي ، مركز البيان لدراسات والتخطيط ، البصرة ، ٢٠٢٣

## المبحث الثالث

## اثر مشروع طريق التنمية على التوازن الاقليمي

يتجه العراق نحو احياء مشروع لطالما كان غائبا عن الافكار لأكثر من ١٠٠عام يربط البصرة جنوبا بأوروبا عبر تركيا بخط حديد سككي وطريق سريع من شان هذا الطريق ان يحول العراق الى نقطة عبور ، ان فكرة هذا المشروع القديمة تعود افاقها الى الاتفاق بين السلطان عبد الحميد الثاني والامبراطور الالماني فيليب عام (١٨٤٢-١٩١٨) الا ان المشروع توقف بسبب رفض بعض الدول الكبرى للمشروع مثل بريطانيا التي يهدد مصالحها في الخليج اذا ما استثمرت المانيا هذا المشروع ، فضلا عن رفض الاتحاد السوفيتي لان الطريق يتيح لألمانيا الوصول لحدودها الجنوبية وقد يهدد امنها ، وبدا العمل بالمشروع الا انه لم يرى النور بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى ١٩١٨م .

وبعد هذه الفترة من الركود والازمات التي مر بها العراق وجدت حكومة محمد شياع السوداني مصالح العراق تزدهر بأحياء هذا المشروع فهل ينجح هذا المشروع في العراق ؟ ويصبح الاقتصاد العراقي شبه متكامل ، وبما ان المشروع سيؤثر على المنطقة الاقليمية وعلى العالم هناك جهات رافضة لهذا المشروع واخرى مؤيدة وترى انه سيخدم الجميع والمستفيد الاكبر من المشروع هو العراق [١].

بعد استضافة بغداد للمؤتمر الذي اقيم في ٢٧ مايو ٢٠٢٣ مؤتمرا اقليميا حضره وزراء نقل لعشر دول من الخليج العربي وتركيا وايران والاردن فضلا عن ممثلين من الاتحاد الاوربي والبنك الدولي والمؤتمر خصص لطرح خطة مشروع التنمية المشروع الاستراتيجي لنقل البضائع والسلع من الشرق الى الغرب , ومن منظور الحكومة العراقية ان المشروع سيحقق امرين اساسيين للبلد هما الاول بحث عن مصدر اقتصادي اخر يقلل من اعتماد العراق على النفط ويسمح له بتنشيط الاقتصاد , اما الامر الثاني هو تعزيز الدور الجيو

[١] _ مركز عربي بوست ، طريق الحرير العراقي ، ٢٠٢٣/٦/١

استراتيجي للعراق من خلال استثمار موقعه الجغرافي , اما المنظور السياسي والاقتصادي العالمي ان المشروع سيخلق حالة من التوازن في الاقليم والعالم [١].

اما عن دور دول الجوار في المشروع تعد تركيا الشريك الرئيسي للعراق في المشروع لأنها بوابة العبور من الشرق الى الغرب ، كما تسعى ايران الى تفعيل خط سككي بين البصرة وايران عبر منفذ الشلامجة ، ايضا سورية لها الطموح بربط سككي عن طريق اللاذقية مع امكانية توفير منفذ بديل عن البحر الابيض المتوسط ، من خلال الربط بموانئ طرطوس ، وحتى الاردن تحاول الربط بميناء العقبة ، كما ابدت السعودية رغبتها بربط سككي مع العراق وهذا ما يساعدها على ربط سكك حديد العراق بموانئها في البحر الاحمر ، فضلا عن الخدمات التي سيقدمها ميناء الفاو الكبير لدول مجلس التعاون الخليجي في مجال التجارة والنقل .

من خلال مشروع التنمية يسعى العراق الى تعزيز وجوده الاقليمي والانفتاح على دول المنطقة والعالم ، ويسعى للخروج من الازمة الاقتصادية المتراكمة ، والمضي قدما لتدشين البنى التحتية المتهالكة في البلد فضلا عن انجاز المشاريع المتوقفة ، وتنشيط حركة النقل .

ويرى الباحثون ان مشروع طريق التنمية يمكن ان يحسن ويطور من العلاقات السياسية للعراق لما للاقتصاد من دور فعال في توجيه السياسة ، حيث اذا ما تم الربط بين ميناء الفاو الكبير بالبصرة جنوب العراق وبين اوروبا ودول القوقاز سيجعل من العراق حاضرا على كافة الاصعدة السياسية التي ترتبط بالمنطقة الاقليمية والعالم ، فضلا عن مساهمته في تعزيز وتحسين علاقات الجوار في المنطقة [٢].

اما اثر هذا المشروع على التوازن الاقليمي في المنطقة يمكن ان نستنتجه من ردود افعال واقوال الدول ممثلين الدول المجاورة ودول المنطقة عن طريق رؤساء او محللين او خبراء سياسيين واقتصاديين حيث لم تشهد الساحة الاقليمية اي تشكيك او عوارض

---

[١] _ وحدة الدراسات العراقية , الابعاد الجيوسياسية والاقتصادية لمشروع التنمية , مركز الامارات لسياسات , ٢٠٢٣

[٢] _ عبد العزيز الفضالي , نحن والتاريخ , مرز الرصيف لدراسات , ٨ اغسطس ٢٠٢٣

فعلية قد تصب المشروع بتلكؤ في العمل الذي من المقرر ان بيدا العمل به مطلع عام ٢٠٢٤ وفيما يلي سنعرض اهم الردود على انشاء مشروع التنمية لدول الجوار والمنطقة ومن خلال هذه الردود سيتضح ماهو تأثير المشروع على التوازن الاقليمي واهمها هي :

**اولا : الموقف التركي:**

من المسلم به ان مشروع طريق التنمية يعزز سياسة تركيا في مجال الطاقة كونها دولة مركزية وشريكة ومساهمة مساهمة فعالة في انشاء هذا المشروع ، حيث ان المشروع السككي والطريق البري التنموي الممتد من العراق الى تركيا وموانئها ، يعبر عنه اساس الاقتصاد المستدام غير النفطي حيث سيسمح لتركيا بنقل الغاز الطبيعي والنفط من العراق الى الاسواق العالمية في اوروبا وامريكا ، حيث يهدف البلدان الى اختصار المسافة التي يستغرقها المسافرون والبضائع عبر السفن وتقليل الوقت المستغرق فضلا عن رغبة تركيا ان تصبح مركزا للعبور بين قارتين حيويتين اسيا واوروبا.

وبعد جائحة كورنا والازمة الاقتصادية وما جاء بعدها من الحرب الروسية الاوكرانية حيث ان روسيا فقدت مكانتها حيث انها مورد من موارد الطاقة في حين ان الدول الاوربية تراجع استراتيجياتها لتأمين مواردها واحتياجاتها من الطقة لذلك تحاول تركيا ان تستغل الفرصة لتصبح هي مركز الطاقة والمصدر لتلك الدول ، حيث ان المشروع سيفي بالغرض لمشروع تركيا ويعزز قدرتها التنافسية في قطاع الطاقة على مستوى العالم ، حيث خلال الحرب الاوكرانية الروسية حصلت مشكلة حول سبيل ايصال الغاز المسال القطري الى اوروبا فلو كان هناك طريق التنمية لما واجهت تلك المشكلة ، في حين اذا تم انجاز المشروع سينقل الغاز الطبيعي من قطر عن طريق ميناء الفاو الكبير ومن خلال طريق مشروع التنمية ثم تركيا ومنها الى اوروبا ، كما يزيد ميناء الفاو الكبير من امكانية تركيا لتصدير موارد الطاقة العراقية الى الاسواق العالمية وتلعب تركيا دورا فعال في نطاق التجارة .

في حين اذا ما تقدمت عجلة التعاون بين العراق وتركيا من خلال مشروع التنمية سيعزز دور البلدين ويجعل دورهما ريادي متكامل في خطوط مسار التجارة العالمية وخطوط نقل الطاقة ، ومن خلال هذه الخطوط ستكون تركيا بوابة الشرق الى اوروبا وستكون جسر العبور بين اسيا واوروبا .

وبعد لقاء الرئيس التركي رجب طيب اردوغان برئيس الوزراء العراق محمد شياع السوداني خلال الزيارة الرسمية التي اجراها الاخير الى انقرة ، صرح خلالها الرئيس التركي في ختام اللقاء عزمنا واكدنا على العمل المشترك من اجل انجاز مشروع طريق التنمية الهادف الى بناء ممر بري لنقل البضائع والموارد من البصرة الى الحدود التركية ، واخذنا خطوة جادة اضهرنا من خلالها ارادتنا للعمل لتحقيق الهدف المنشود ، من خلال اعلان انقرة الذي اتفقنا عليه مع العراق ، وان مشروع طريق التنمية الاستراتيجي لا يعتبر مهما للعراق وتركيا فحسب بل للمنطقة الاقليمية وحتى العالم باسره ، وان ملايين من البشر في اوروبا والعالم سيستفيدون من قيمة خذا المشروع التي ستظهر مع انشاء الطريق ، وهذا المشروع سيعزز من ثقة التعاون الاقليمي ويطور مجال التجارة ويقوي الروابط الانسانية ، وندرك ان الدول الشقيقة الاخرى ايضا تهتم بهذا المشروع وتسعى لإنجاحه ، ويؤكد اردوغان ثقته بمشاركة دول المنطقة التي ستشترك وتسعى من اجل انجاح هذا الطريق[١] .

## ثانيا : الموقف القطري:

خلال زيارة يجريها امير دولة قطر الى بغداد وقع العراق مع قطر سلسلة اتفاقات في مجالات الطاقة و البنى التحتية واعلنت الدوحة عزمها على استثمارات ، من بينها استثمار ب٥ مليارات دولار في وقت يشهد العراق انفتاحا متزايدا على شركائه الاقليمين لتعزيز اقتصاده ، ولهذه الغاية تعمل الحكومة العراقية الجديدة الاسراع بأنشاء طريق التنمية الذي يعزز النمو الاقتصادي والشراكة مع الدول التي ترغب الاستثمار والشراكة وهذه المصالح الاقتصادية المتبادلة من شانها ان تصنع التوازن الاقتصادي والسياسي بشكل صارخ [٢].

اما الدول غير المبادرة الى الان باي اتفاقية فقد اعربت عن رغبتها التي تسعى من خلالها للارتباط بطريق التنمية العراقي الذي يربطهم بأوروبا ، لأنه ينقلهم بسرعه اكبر مما هو عليه

---

[١] _ علي سمين ، طريق التنمية العراقي تعزيز مكانة تركيا ، منصة دراسات الشرق الاوسط ، ٢٤ / ٦ / ٢٠٢٣

[٢] _مايا حجيج ، قناة اقتصاد الشرق ، مشروع طريق التنمية همزة وصل ، ١٦يونيو ٢٠٢٣ ، ogooc٣http://bit.ly

في الطرق البحرية ، فهذا السعي والحاجة متبادلة بين العراق ودول الخليج ويخفف من اجور النقل وعملية اسهل ، لا توجد دولة تتعارض مصالحها مع طريق التنمية بشكل كبير بقدر ما هو ذو فائدة لجميع دول المنطقة ، اما دول بلاد الشام يمكن ان تطالب سوريا والاردن بخطوط تمر من خلالها الى البحر المتوسط الا انهما شجعا على انشاء المشروع ، واذا ما انشا هذا الطريق ستصبح جميع الدول رابحة ومستفيدة من خدمات هذا المشروع بما فيها دول الخليج وشرق اسيا واوروبا حتى[1] .

**رابعا: الموقف السعودي :**

وقع العراق اتفاقيات ومذكرات تفاهم في مختلف القطاعات مع السعودية على هامش اجتماعات الدورة الخامسة للمجلس التنسيقي المشترك بين البلدين ، قطاعات الطاقة والاستثمار والمصارف كانت في مقدمة الملفات التي ناقشتها اللجان المشتركة وتم الاتفاق على ادخال المشاريع الخاصة بها حيز التنفيذ ، واهم ما كن موجود في المؤتمر هو انشاء مدين صناعية واقتصادية على الحدود العراقية السعودية تفتح الاجواء للبلدين والمنافذ الحدودية وتوسيع وتطوير ساحة التبادل التجاري بين البلدين ، تم اشراك شركة سالم وشركة الخريف تحت مضلة وزارة الزراعة والموارد في السعودية بترتيب مع وزارة الزراعة العراقية ، وتم الاتفاق على مصرفين الاهلي ومصرف tbi ، فضلا عن السعي باتجاه اقرار حماية المستثمر السعودي التي اكد عليها الجانب السعودي ، فضلا عن اتفاق مع شركة ارامكو السعودية لتطوير حقل غاز عكاز النفطي بطاقة تصل الى ٤٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز لتزويد الشبكة الوطنية بكميات الغاز اللازمة ، فضلا عن التعاون التجاري بين البلدين هدف اخر من اهداف مجلس التنسيق الذي يسعى الر رفع مستوى التبادل اكثر من ٥٠ بالمئة عن السقف الحالي البالغ مليار ونصف المليار دولار ، كما اكد الطرفين على التعاون المالي والمصرفي لتسهيل عملية التبادل ، وهناك مبادرات تنموية كبرى اهمها هو اطلاق الامير السعودي لشركة استثمارية هي الشركة السعودية العراقية للاستثمار ، تذليل العقبات والعراقيل امام التجارة والاتصال بين العراق والسعودية هدف يسعى اليه

[1] _ محمد توفيق علاوي ، قناة الوطن tv ، ٣٠ مايو ٢٠٢٣

الجانبين ، وعلى خلفية لذلك المؤتمر شارك وزير النقل السعودي في المؤتمر المنعقد في بغداد حول انشاء مشروع طريق التنمية الاستراتيجي وابدو رغبتهم بالاستثمار بهذا الخط الاستراتيجي وخلق شراكة اقتصادية ترفع من مستوى النمو والتوازن الاقتصادي في المنطقة والبلدين [١].

**خامسا : الموقف المصري :**

تتسم العلاقات بين العراق ومصر بالتبادل التجاري والاستثماري الصناعي والزراعي والطاقة والسياحة والبناء والتشيد ، ويعد العراق ومصر عضوين بارزين في اتفاقية تيسير وتنمية التبادل التجاري وبرنامجاها التنفيذي لإقامة منطقة تجارة الحرة العربية الكبرى بين الدول العربية ، حيث في عام ٢٠٢٠ وقع العراق ومصر عدة مذكرات تفاهم وبرنامج تعاون وبروتكولات في مجالات النقل والموارد المائية والصحة والبيئة والعمل والاستثمار والاسكان والاعمار والصناعة والتجارة والمالية بعد عام وقعت مصر والعراق بروتوكول تنفيذي لإقامة منطقة التجارة الحرة بين البلدين ويقضي بتحرير كل السلع المتبادلة ذات المنشأ الوطني في كلا البلدين من القيود الجمركية وغير الجمركية المفروضة عليهما ، وخلال قمة ثلاثية عقدها رؤساء مصر والاردن والعراق خلال ٢٠٢٠ وتم الاتفاق على مشروع الشام الجديد ، وهو خط بري بين مصر والاردن والعراق ويستهدف هذا المشروع حصول الاردن ومصر على النفط العراقي بأسعار منخفضة ، بالمقابل مد خط انابيب من البصرة الى ميناء العقبة ومنها الى مصر والبحر الاحمر ، ويهدف هذا المشروع الى تصدير الكهرباء الى كل من العراق والاردن ، وفي زيارة لرئيس العراقي محمد شياع السوداني لمصر مرة ثانية خلال ١٠٠ يوم كشفة الوفد المرافق للرئيس عن حراك لزيادة التجارة بين العراق ومصر وزيادة حجم التبادل التجاري بين العراق ومصر واعلن الاتفاق على ١١ مذكرة تفاهم بين العراق ومصر من المؤمل ابرام هذا الاتفاق [٢].

---

[١] _ محمد جبار ، تقرير تلفزيوني ، قناة العراقية الاخبارية ، ٢٥ مايو ٢٠٢٣ ، http://www.imniq

[٢] _ مايا حجيج ، قناة اقتصاد الشرق ، مشروع طريق التنمية همزة وصل ، ١٦يونيو ٢٠٢٣، http://bit.ly٣cooog

تثير التساؤلات والشكوك حول هل ان هذا المشروع منافس لقناة السويس او سيقضي على احلام قناة السويس او يسبب توقفها نهائيا ؟ سنجيب على هذه التساؤلات ، المشروع العراقي هو يختصر الرحلة بين شرق اسيا واوروبا ويختصر الطريق امام الحمولات القادمة من قلب اسيا والهند مرورا بمضيق هرمز دخولا في الخليج العربي على ميناء الفاو ومن ثم الى طريق التنمية الى تركيا فأوروبا ، في الحقيقة ان المشروع سيقتطع جزء قليل من الحمولات والنقل الخفيف المتجه نحو قناة السويس ، فالبواخر البسيطة وذات الحمولة الاقل تتجه نحو الفاو لتقليل الوقت والكلفة وسهولة نقلها من البواخر الى السكك الحديدية والطريق السريع ، وبالعكس فالركاب والحمولات الصغير المتجه من اوروبا الى الخليج ستتجه نحو طريق اسرع واقل كلفة نحو تركيا والعراق ، فهل هذا النقل يسبب نهاية قناة السويس ، فعندما نأتي الى قناة السويس ونتحدث بلغة الارقام تكوم ارقام كبيرة وقياسية لا يمكن لمشروع التنمية استيعاب ولو جزء بسيط منها ، فالحد الاقصى لطاقة مشروع التنمية هي ٤٠٠ الف حاوية قياسا بقناة السويس شي بسيط لا يهدد اقتصادها فلا يوجد وجه مقارنة بين النقل البري والبحري وخاصة في نقل الحاويات التي تتخطى اوزانها مئة مليون طن لا يمكن لسكك الحديدة استيعابها مهما كانت حمولتها وسرعتها في حين وجود ناقلات عملاقة لا يستطيع نقلها الا عن طريق البحر ، حيث تشير تقديرات قناة السويس خلال السنة الواحدة عبرت خلالها ٢٣ الف ناقلة بحرية او سفن تجارية بحمولة تقدر ١.٤ مليار طن هذا يشير الى النقل الحالي في حين في المستقبل قد تكون زيادة اعداد السفن مع زيادة الحاجة البشرية ، في حين لا يمكن الاستغناء عن قناة السويس ، نعم ستكون هناك منافسة شديدة بين قناة السويس وطريق التنمية لكن لا يؤثر طريق على الاخر او يؤدي به الى التوقف، في حين ان اغلب دول اوروبا تفضل النقل البحري لأنه اكثر امان من النقل وخصوصا داخل العراق باعتبار غير مستقر امنيا ، فبالتالي ستكون هناك منافسة لنقل البضائع والسلع بين طريق التنمية وقناة السويس دون تأثر احد المشروعين الى حد التوقف او الانهيار بحسب ما نقلت بعض الصحف والباحثين [١].

[١] _ رضا عبد السلام ، طريق التنمية هل سيقضي على قناة السويس ، ٢٨ مايو ٢٠٢٣

**سادسا : الموقف الصيني:**

السفير الصيني تسوي وي عند زيارته لبغداد اكد على اهمية مشروع طريق التنمية للعراق والمنطقة وترى الصين انه سيكون مكمل لمشروع الحزام والطريق ، واستقبل رئيس الوزراء محمد شياع السوداني السفير الصيني بحضور وزير النقل واستعرض اللقاء جميع العلاقات واوجه التعاون بين البلدين وما هي سبل تطويرها على مختلف المجالات ، واكد السوداني حرصه على الشراكة مع الدول الصديقة وتامين تنمية مستدامة تدعم جهود الشراكات وتوفير الامن والاستقرار ، ونقل السفير الصيني رغبة جمهورية الصين الشعبية وحرصها على استدامة العلاقات بين البلدين على كافة الاصعدة والمجالات ، في حين اعتبرت الصين مشروع التنمية مهم جدا للعراق والمنطقة وسيحقق ايرادات مالية للعراق ويكون طريق سلام وازدهار وينعش امال المنطقة ويكون مكمل لطريق الحرير الصيني برئيهم ونضرتهم الاقتصادية ، وابدا السفير الصيني رغبته بالاطلاع على دراسة وجدوى المشروع واستعداد الصين لتقديم اي مشورات اقتصادية وفنية من شانها انجاح المشروع بأتم وجه [١].

اما الشركات العالمية والمنظمات الاقتصادية ومن بينها البنك الدولي وممثلين الاتحاد الاوربي اكدوا على ان المشروع سيحقق تنمية مستدامة ويخلق الاستقرار والتوازن في المنطقة والعالم فضلا عن ما يحققه من ايرادات وارباح للعراق والدول المشتركة بالمشروع وحتى غير المشتركة سيخفف من اجور نقل بضائعها سواء كانت باتجاه الشرق او الغرب

[١] _ وكالة شفق نيوز الاارية ، ٢٠٢٣/٦/١

## الاستنتاجات والتوصيات

او لاً : الاستنتاجات :

١- مشروع طريق التنمية هو مشروع استراتيجي يمكنه ان ينقل العراق من حاله الى اخرى بفضل إيراداته المالية ومكانته الجيوستراتيجية

٢- تعزيز مكانة العراق سياسيا ويصبح هو صاحب مبادرة التنمية المستدامة .

٣- انفتاح العراق على العالم الخراجي من خلال عقد الاتفاقيات والشراكات الاقتصادية مع الدول المجاورة التي لطالما كان على خلاف سياسي معها .

٤- الفائدة من المشروع ليس للعراق وتركيا فحسب بل هو تنمية اقتصادية لكل دول المنطقة والعالم حيث سيختصر المسافة والوقت والتكاليف بين الشرق والغرب .

٥- سينعش امال العراق الاقتصادية ليس على مستوى التجارة والنقل فحسب وانما على كافة المستويات الصناعية والزراعية والسياحية والسكنية , وتطوير مصادر الطاقة والبنى التحتية , فضلا عن سهولة الوصول الى اوروبا عن طريق القطارات فائقة السرعة , فضلا عن ربط العراق بجنوبه وسهولة التنقل واختصار للوقت .

٦- حلول الامن والاستقرار الذين لطالما عانا منهما العراق لعقود من الزمن .

٧- القضاء على البطالة , وتوفير فرص العمل التي يعاني منها العراق حاليا , واهمها مشكلة شرائح الخريجين الباحثين عن وضائف .

٨- تخليص العراق من الاقتصاد الريعي المعتمد على السلعة الواحدة .

٩- تشغيل القطاع الخاص الذي لطالما كان متوقفا , واعتماد البلد على الموازنة التشغيلية لتمويل الموظفين .

١٠- اذا ما تم الاستقرار الاقتصادي سيحل التقارب بين الشعوب , الذي بدوره يتيح نقل الافكار والثقافات التي تقلل من الطائفية والنعرات العنصرية .

## ثانياً التوصيات:

١- على الحكومة العراقية العمل بجدية والاسراع في انشاء المشروع لما له من فوائد كبيرة تعود على البلد .

٢- يجب على الكتل والاحزاب السياسية ترك الخلافات والاطماع المالية للمصلحة الخاصة من اجل المصلحة العامة .

٣- لا يمكن قيام مثل هكذا مشاريع كبرى دون وجود امن واستقرار يزيل مخاوف الشركات الاستثمارية .

٤- نشر الاعلانات والدعايات لتعريف بالمشروع ومخرجاته من اجل جلب المستثمرين من خارج وداخل البلاد .

٥- على الخبراء الاقتصادين والفنين تقديم برامج للحكومة من شانها ان ترفع من انتاجية المشروع .

٦- على الباحثين انشاء دراسات وبحوث حول المشروع والمشاريع الاخرى من اجل الخروج بأفضل الحلول .

## المصادر


١_لؤي بحري ، سكة حديد بغداد دراسة في تطور ودبلوماسية قضية حديد برلين بغداد حتى عام ١٩١٤م ، ط٢ ، بغداد ، العراق ، ١٩٦٧، ص ١٤

٢ _ امال عمر خميس عبيد، النشاط الملاحي البريطانية في انهار العراق ( ١٨٣١م_١٩١٤م ) ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة الانبار ، منشورة ، العراق ، ٢٠١٦ ، ص٥٠

٣ _عبد العزيز سليمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ط ٢، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ص٢٠٣

٤ _روبير مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج٢ ، ت بشير السابعي،ط١ ، القاهرة ، مصر ، ص٢٢٤

٥_ يوسف حسن يوسف ، موقف البريطانيةة من سكة حديد برلين بغداد ، المجلة الاردنية لتاريخ والاثار ، المجلد السادس ، العدد الرابع ، ٢٠١٢ ، ص ١٧٦ .

٦ _ محمد شعبان صوان ، الحياة الاقتصادية في اواخر ايام الخلافة العثمانية ومقوماتها لتمديد الراسمالية الغربية ، ط١، ابن النديم لنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، ٢٠١٣م ، ص١٧٧

٧ _ علي الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني رجل زمانه ، مدونة الجزيرة ، ٢٠١٨

٨_ حسين فيض الله الجاف ، الدبلوماسية الالمانية ( ١٨٧٠_١٩١٤م ) ، مجلة البحوث والدراسات الايلامية ، المجلد رقم ١ ، الهيئة العلمية الاستثمارية ، ديوان الوقف السني ، ٢٠١١، ص٣٩_

٩ _ سيناء محمود عبدالكريم ، المنافسة الالمانية الفرنسية بعد مؤتمر برلين حتى قيام الحرب العالمية الاولى ، مجلة الدراسات في التاريخ والاثار ، العدد ٥٠ ، ٢٠١٥ ، ص٥٩٧

١٠ _ alkhbar_alaan قناة , العراق على موعد مع التاريخ , دبي , الامارات , ٢ / يونيو / ٢٠٢٣ , https;//youtu.be/-yw٠٨nbtot٨

١١_ المربد ميديا , ٢٦ مايو , ٢٠٢٣ , https://youtu.be/vrfa٣٣xr٤٨٧

١٢ _ اقتصاد الشرق , ١٦ يونيو , ٢٠٢٣ , http://bit.ly/c٠goO٣٠

١٣ _ UTV , برنامج الحق يقال , عدنان الطائي , ٢٩ مايو , ٢٠٢٣ http://youtu.be/gk١Lc٤DIH٣١

١٤_ كريم بدر , UTV , برنامج الحق يقال , عدنان الطائي , ٢٩ مايو , ٢٠٢٣ , http://youtu.be/

١٥_ موسى ابراهيم , السياسة الاقتصادية والدولة الحديثة , دار المنهل اللبني , بيروت , ١٩٩٧ , ص ١٣

١٦_ احمد دخيل , اثر عدم الاستقرار السياسي على مؤشرات التنمية البشرية في العراق بعد ٢٠٠٣ , مجلة اهل البيت عليهم السلام , العدد ١٨ , ص٣

١٧ _ احمد السهيل , ما الاشكالات التي واجهها مشروع طريق التنمية في العراق , اندبندنت العربية , ١٩ يوليو ٢٠٢٣

١٨ - هدى العزاوي , طريق التنمية يخرجنا من الاقتصاد الريعي , جريدة الصباح, ٣١/ ٥ / ٢٠٢٣

١٩ - _ نبيل بدر , UTV , برنامج الحق يقال , عدنان الطائي , ٢٩ مايو , ٢٠٢٣ ,/I٤GTREH http://youtu.be

٢٠ _ قناة العراقية الاخبارية HD , ناصر صالجح الاسدي , الاستيديو التحليلي , ٢٣ مايو ٢٠٢٣ , http://www.imn.iq

٢١ _ بريبش السعيد , فعالية التنمية المستدامة في مواجهة ظاهرة البطالة , مصر , ص١٣

٢٢_ قناة التغير , ناصر الاسدي , برنامج من بغداد , تقديم نجم الربيعي , ٣٠ مايو ٢٠٢٣ https//yotu.be/pmv-LDpyw ,

٢٣ _ فراس عباس ، مشروع طريق التنمية العراقي ، مركز البيان لدراسات والتخطيط ، البصرة ، ٢٠٢٣

٢٤ _ مركز عربي بوست ، طريق الحرير العراقي ، ٢٠٢٣/٦/١

٢٥_ وحدة الدراسات العراقية , الابعاد الجيوسياسية والاقتصادية لمشروع التنمية , مركز الامارات لسياسات , ٢٠٢٣

٢٦ _ عبد العزيز الفضالي , نحن والتاريخ , مرز الرصيف لدراسات , ٨ اغسطس ٢٠٢٣

٢٧ _ علي سمين ، طريق التنمية العراقي تعزيز مكانة تركيا ، منصة دراسات الشرق الاوسط ، ٢٤ / ٦ / ٢٠٢٣

٢٨ _مايا حجيج ، قناة اقتصاد الشرق ، مشروع طريق التنمية همزة وصل ، ١٦يونيو ٢٠٢٣، ogooc٣http://bit.ly

٢٩ _ محمد توفيق علاوي ، قناة الوطن tv ، ٣٠ مايو ٢٠٢٣

٣٠ _ محمد جبار ، تقرير تلفزيوني ، قناة العراقية الاخبارية ، ٢٥ مايو ٢٠٢٣ ، http://www.imniq

٣١ _ مايا حجيج ، قناة اقتصاد الشرق ، مشروع طريق التنمية همزة وصل ، ١٦يونيو ٢٠٢٣، ogooc٣http://bit.ly

٣٢ _ رضا عبد السلام ، طريق التنمية هل سيقضي على قناة السويس ، ٢٨ مايو ٢٠٢٣

# مجلة تبيين

مركز بحثي مستقل يعنى بتعميق مقومات البحث العلمي والمساهمة في تعميق الوعي بواقع أهمية التخطيط العلمي السليم ودراسة التحديات الحضارية القائمة، وإدراك خارطة التحولات الإقليمية والدولية ذات الأبعاد الاستراتيجية الكبرى وانعكاساتها على أوضاع العراق ومحيطه الإقليمي والدولي. وتكمن مجالات اهتمام المركز في كل من الدراسات الجيوسياسية والاستراتيجية، والاقتصادية، ودراسات المسح الميداني والدراسات الإعلامية ،والدراسات الإنسانية والمجتمعية ، إضافة الى استطلاعات الرأي العام ، وتتوافق خدماته العلمية ومجالات بحثه ودراساته مع احتياجات المجتمع والقطاعين العام والخاص والمؤسسات والمنظمات ذات الطبيعة الخدمية الاجتماعية والجمعيات الخيرية.

مركز تبيين للتخطيط والدراسات الستراتيجية
CENTER OF TABYEEN FOR PLANNING AND STRATEGIC STUDIES

مجلة تصدر عن مركز تبيين للتخطيط والدراسات الستراتيجية
وتعنى بالدراسات والسياسات الاستشرافية العامة